منشورات
المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية
سلسلة الدراسات التاريخية رقم (101)

تاريخ برقة الإسلامي

في الفترة من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجري من 400 ـ 925 هـ

تأليف
د. عبد الفتاح رجب حمد بولبيض



الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
2009

فهرس المحتويات

الفصل الرابع
حالة برقة الاقتصادية
من سنة 400 ـ 925هـ/ 1009 ـ 1519م

الفصل الخامس
الحياة الاجتماعية والحياة الثقافية في برقة
من 400 ـ 925هـ/ 1009 ـ 1519م

الإهـداء

أهدي هذا العمل إلى الأساتذة الأجلّاء:

إلى روح الأستاذ الدكتور **مراجع عقيلة الغناي** (رحمه الله).

وإلى الأستاذ الدكتور **محمد عبد الكريم الوافي** (متعه الله بالصحة والعافية).

اعترافاً مني بفضلهما لتشجيعهما لي للمضي في دراسة هذا الموضوع لما يمثله من أهمية في تاريخ ليبيا.

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور **محمد الطاهر الجراري** مدير عام المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، وكذلك الأستاذ علي بشير الزواوي بالمركز، اللذين ذللا جميع الصعاب في سبيل إخراج هذا العمل إلى حيّز الوجود.

كما أقدم خالص شكري إلى أخي الفاضل الأستاذ **يونس علي الجوير** الذي تجشم مهام توصيل واستلام ورعاية إتمام إجراءات نشر هذا الكتاب لدى المركز المذكور فجزاه الله عني خير الجزاء ووفقه الله لما فيه الخير والسداد.

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

إن موقع برقة جغرافياً قدر لها أن تقوم بدور هام في تاريخ الدولة العربية الإسلامية فعن طريقها انسابت جيوش العرب لفتح بلاد المغرب وغيرها تدفقت القبائل العربية تحمل إلى بلاد المغرب والأندلس الدين الإسلامي واللغة العربية.

ومثلما كانت برقة المعبر الذي دخلت منه العروبة والإسلام إلى بلاد المغرب، فقد كانت مدخلاً إلى الشرق الإسلامي إذ أن مدن هذا الإقليم كانت آخر مراحل الطريق الذي يقطعها الحجاج والتجار المغاربة والأندلسيين والأفارقة في طريقهم نحو المشرق، وقد فطن الفاطميون لتلك الحقيقة عندما شرعوا في إرسال حملاتهم لفتح مصر فجعلوا من برقة وبدء من بداية القرن الرابع الهجري قاعدة للانطلاق لغزو مصر.

ونرى أن برقة ظلت بؤرة ثورة وعصيان خلال العصر الفاطمي إذ قام أهلها من بني قرة وزناتة ولواته بالتحالف معاً والانضمام إلى ثورة أبي ركوة الذي أعاد الخطبة للخليفة العباسي في بغداد وحاول أن يقوض أركان الخلافة الفاطمية في مصر، وعلى الرغم من نهاية هذه الثورة بالفشل وقتل أبي ركوة إلا أن الأمور لم تستتب بشكل نهائي في هذا الإقليم للفاطميين حتى نهاية هذه الدولة وذلك بسبب ضعف السيطرة المركزية وزيادة نفوذ زعماء القبائل.

وتتمثل أهمية هذا الإقليم خلال العصر الأيوبي لكونه قد شكل ملاذاً آمناً للأيوبيين لا سيما في بداية تأسيس دولتهم في مصر والأهمية الاقتصادية بسبب

موارده المتنوعة وقد تناولت هذه الدراسة أوضاع الإقليم السياسية خلال عصر المماليك والذين استفادوا من ثرواته المتمثلة في الأغنام والغلال والخيول وكيف أن الأعراب قد وقفوا غالباً في وجه حملات المماليك الذين تعسفوا في جباية الضرائب العينية غير أنه على الرغم من دور برقة الهام كحلقة وصل بين الشرق والغرب، إلا إن ترامي أطرافها وطابعها الصحراوي وقلة سكانها كان عاملاً سلبياً حال دون أن تقوم فيها فترات التاريخ الإسلامي دولة موحدة ذات ثقل سياسي مثلما الدول المستقلة التي ظهرت في مصر أو أفريقية، إذ إنه في معظم فترات التاريخ الإسلامي كانت برقة تابعة لمصر من الناحية الإدارية لذلك لم ينل تاريخها نصيباً كبيراً من أهم المؤرخين المسلمين الذين يركزون اهتمامهم على الدول المستقرة كما أنه كانت لسيطرة الأعراب الفعلية خلال فترة الدراسة على أمور هذا الإقليم أضفى عليه نوعاً من الطابع البدوي الرعوي إذ لم تقم فيه أي نوع من أنواع الحكم الإداري المركزي.

ولذلك فإنه بالإضافة إلى أن المادة العلمية لتاريخ برقة خلال فترة الدراسة موزعة ما بين مصادر التاريخ الإسلامي الفاطمي والأيوبي والمملوكي وبعض مصادر تاريخ المغرب الإسلامي فإن الباحث قد بذل جهداً مشكوراً في قراءة عشرات الكتب وآلاف الصفحات لحصر الأخبار الواردة عن برقة خلال فترة الدراسة.

ومن خلال ما سبق يستطيع القارئ أن يقدر لهذه الدراسة أهميتها والتي قام الباحث الأخ عبد الفتاح رجب حمد عن تاريخ برقة الإسلامي من 400 ـ 925هـ والتي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من قسم التاريخ بكلية البنات بجامعة عين شمس، لقد كان على الأخ عبد القادر رجب حمد أن يجمع شتات المادة العلمية الخاصة ببرقة والموزعة في مصادر التاريخ المتعددة، وأن يقوم بتنقية ما شابها من غموض، وقد أضاف إلى هذا الجهد جهداً آخراً إذ تطرق في فصلين للتاريخ الحضاري في هذا الإقليم إذ تناول تاريخه الاقتصادي والثقافي، وبهذا يعتبر هذا العمل وحسب رأي المشرف الشخصي باكورة الدراسة المستفيضة

المتخصصة لهذا الإقليم خلال فترة الدراسة مما استحق عليه إطراء ومديح أعضاء لجنة المناقشة على نتيجة هذا العمل ثم منحته هذه اللجنة مرتبة الشرف الأولى هذا ويسعدني كأستاذ مشرف على هذا العمل أن أقدم للقارئ العربي هذا البحث العلمي الجاد.

والله ولي التوفيق

الدكتورة/ آمال محمد حسن خليل

أستاذ التاريخ الإسلامي
ورئيس قسم التاريخ بكلية البنات
جامعة عين شمس

المقدمة

لا يكاد المرء يقرأ في جل المصادر الأولية للتاريخ الإسلامي. سوى إخبار الحروب والفتن وذلك بالتركيز على دراسة الأوضاع السياسية والعسكرية.

وقد دعا ثلة من المؤرخين العرب المحدثين إلى ضرورة دراسة التاريخ الحضاري الإسلامي من خلال تراث الأمة التاريخي والأدبي والفقهي.

ولما كانت دراسة الأقاليم من ضمن الدراسات الحضارية، فإن الباحث اختار دراسة إقليم برقة في الفترة من (400 ـ 925هـ)، إذ أنه لم يدرس من تاريخ هذا الإقليم خلال العصر الإسلامي إلا ما يتعلق بالقرون الهجرية الأولى الثلاث.

يطلق مصطلح برقة جغرافياً ـ خلال الفترة موضوع البحث ـ على المنطقة الممتدة من العقبة الكبيرة شرقاً والتي تمثل حد مصر الغربي إلى سويقة مطكود (زليطن الحالية) غرباً.

وتمثل برقة امتداداً جغرافياً واسعاً، يجمع سطحه أنماطاً جغرافية متباينة، بين أراضي زراعية خصبة، وأراضي بور قاحلة، وجبال مرتفعة، ووهاد منخفضة.

ويطل هذا الإقليم بحده الشمالي على البحر المتوسط، بساحل يبلغ طوله حوالي 1500 كم، ويشترك في حده الشرقي مع مصر والسودان على طول 1000 كم تقريباً، ويتاخم حده الجنوبي بلاد تشاد، أما غرباً فيتاخم إقليم طرابلس.

استمر العرب بعد فتحهم لهذا الإقليم في استعمال التسمية القديمة له «بنطابلس» لحين من الوقت، ثم استعيض عنها بتسمية برقة إلى أهم مدن الإقليم،

والتي اتخذ منها العرب بعيد الفتح قاعدة لتجميع الجيوش في تحركها لفتح بلاد المغرب.

واهتم الفاطميون بإقليم برقة، واستحوذوا عليه مع بداية القرن الرابع الهجري، واتخذوا منه نقطة لانطلاق حملاتهم المتكررة لفتح مصر.

ويلاحظ أن ما كُتب عن تاريخ هذا الإقليم، لم يتناول فترة الدراسة إنما ركزت أغلب الدراسات على تاريخ برقة عموماً، من مرحلة الفتح حتى القرن الرابع الهجري، إن ندرة الدراسات في فترة الدراسة عن هذا الإقليم، جعل من الضرورة البحث لتغطية هذا النقص ولهذا السبب شرع الباحث في هذا الدراسة.

ويشتمل البحث على: مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وملاحق وثبت بالمصادر والمراجع.

اهتم التمهيد بتناول عرض جغرافي مختصر لتضاريس الإقليم، وموجز لتاريخه بعد ضم الفاطميين له، ولحركة أبي ركوة بالإقليم ويبين أسبابها ونتائجها.

- وتناول الفصل الأول وعنوانه هجرة بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب بالحديث عن سكان الإقليم قبيل هجرة بني سليم وبني هلال، وعن دور بني قرة السياسي في الإقليم، وتناول نتائج هجرة بني سليم وبني هلال إلى برقة.
- خصص الفصل الثاني برقة خلال العهد الأيوبي حيث تناول حملة قراقوش على برقة وأسبابها وخط سيرها كما عرض بإيجاز لنهاية قائد الحملة قراقوش في جنوب غرب الإقليم.
- عرض الفصل الثالث من البحث لإقليم برقة خلال العهد المملوكي وينقسم إلى خمسة مباحث، عالج الأول أسباب ضم المماليك لهذا الإقليم، وتناول الثاني الأدوار المتباينة لأعراب برقة تجاه دولة المماليك، وتطرق المبحث الثالث لمدينة أوجلة ودورها السياسي في عصر المماليك، بينما تحدث المبحث الرابع عن الأندلسيين ووصولهم إلى إقليم برقة، حيث استقروا في مدينة درنة وجليانة

ـ إحدى ضواحي بنغازي ـ بينما تناول المبحث الخامس قدوم هجرات من طرابلس وإقامتها في مدينة بنغازي، وقد تناول هذا المبحث تاريخ المدينة العمراني خلال العصر الإسلامي، وأصل تسميتها، وأثر الوافدين الجدد على نشاطها الاقتصادي.

- وتطرق الفصل الرابع إلى حالة برقة الاقتصادية من 400 ـ 925هـ وينقسم إلى خمسة مباحث تناول الأول آراء المؤرخين المحدثين والقدامى عن مدى الآثار التي سببتها هجرة بني سليم وبني هلال على الحالة الاقتصادية في الإقليم، وتحدث الثاني عن النشاط الزراعي والثروة الحيوانية من حيث المقومات ووضعية الأرض وعلاقات الإنتاج، وأنواع الإنتاج الزراعي والحيواني بالإقليم، بينما تطرق المبحث الثالث لأهم الصناعات ومراكزها بالإقليم، وعرض الرابع للتجارة من حيث مقوماتها ونظمها وحركة الأسواق في الإقليم، وتناول المبحث الخامس من هذا الفصل السياسة المالية في إقليم برقة، من حيث نوعية الموارد وأساليب التعامل التجاري.

- أما الفصل الخامس والأخير فقد تناول الحياة الاجتماعية والثقافية في برقة تناول المبحث الأول الحياة الاجتماعية من حيث عناصر السكان وطبقات المجتمع والمظاهر الاجتماعية، بينما عرض المبحث الثاني للحياة الثقافية إذ تناول المؤسسات التعليمية، وأثر اللغة العربية على اللهجة المحلية للإقليم، وتناول علماء الإقليم وتخصصاتهم.

- وتضمنت الخاتمة النتائج التي تم استخلاصها من البحث.

دراسة نقدية لأهم مصادر ومراجع البحث:

أولاً: كتب الأحكام والمصنفات الفقهية والنوازلية:

على الرغم من أهمية هذه المصادر المخطوطة منها والمطبوعة لا سيما في دراسة النواحي الاجتماعية والاقتصادية للعامة، إلا أن ما ورد عن هذا الإقليم كان قليلاً ومختصراً، ومنها: جامع مسائل الأحكام للبرزلي والذي أشار إلى حالة

البدو المزرية في إقليم برقة أثناء تعرضهم لحالات القحط وما ينتج عنه من ظهور المجاعات.

وقد أفاد البحث من كتاب: «**عمدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وحوادث الوقت**» لمؤلفه أحمد بن محمد زروق (ت. 899هـ/ 1493م) والذي تحدث فيه على ما يعتري المتصوفة في عصره من جهل بأمور الدين.

ثانياً: كتب التراجم والمناقب والطبقات:

إن هذا النوع من المؤلفات المعاصرة لفترة الدراسة والمتأخرة عنها نسبياً قد حوت بعض المعلومات عن الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في الإقليم، من هذه المؤلفات: «**معجم السلفي**» والذي حوى أسماء بعض علماء برقة وفيما اشتهروا به من علوم، ومزاولة بعضهم للتجارة، كما أنه انفرد بذكر وجود مسجد بيست على ساحل البحر.

وعرض مؤلف «**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**»، للدباغ لذكر بعض شعراء الإقليم وعلمائه، كما أمدنا زكي الدين المنذري (ت. 696هـ/ 1296م) في «**التكملة لوفيات النقلة**» بمعلومات عن بعض علماء برقة الذين تقلدوا بعض الوظائف في الأقاليم المجاورة.

ويعد مؤلف «**تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار**» لابن مخلوف (ت.؟) والذي يعد مختصر لتاريخ البرموني[1] المفقود، ومن أهم كتب المناقب للمتصوفة، ويعرض لكرامات المتصوفة، وانتظام العامة في زواياهم هروباً من واقعهم المعاش.

---

(1) كريم الدين البرموني: ولد بمصراتة سنة 893هـ/ 1488م تلقى اللغة والفقه على الشيخ شمس الدين اللقاني المصري بزاوية زروق بمصراتة ولحق بشيخه إلى لقانة بمصر ولازمه حتى وفاته ثم جاور بمكة، وألّف كتاباً في مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر.
ابن مخلوف: تنقيح روضة الأزهار (المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت) ص258 ـ 259 .

ويقدم مؤلف «**مناقب سيدي عبد السلام الأسمر**» لسالم بن محمد السنهوري (ت. 1050هـ/ 1606م) عرضاً لما كان يعانيه العامة في الإقليم من أمراض، وفقر، وإنعدام للأمن، وقد عرض مؤلف «**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**» لمحمد بن مخلوف (ت. ؟) للحياة الثقافية في برقة من خلال حديثه عن بعض علمائها.

ثالثاً: المصنفات التاريخية:

لم يفرد تصنيف تاريخي لتناول تاريخ هذا الإقليم، إلا أن هناك مؤلفات تراثية عديدة قد تطرقت إلى بعض أحواله.

فيما يخص التمهيد فقد أسهب مؤلف تكملة تاريخ سعيد بن بطريق للإنطاكي (ت. 333هـ/ 944م) في الحديث عن حركة أبي ركوة ضد الفاطميين.

ومن المصادر المعاصرة التي تم الإفادة منها كتاب: «**العبر**» لابن خلدون (ت. 808هـ/ 1405م) والذي يعرض للوضع السكاني في الإقليم، مثل هجرة بني سليم وتحتل مؤلفات المقريزي (ت. 845هـ/ 1441م) مكانة هامة لما تقدمه من معلومات خلال فترة البحث مثل كتاب «**اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفاء**» لما يقدمه عن دور بني قرة في برقة، في النصف الأول من القرن الخامس الهجري.

وقدم كتاب «**المقفي الكبير**» للمقريزي معلومات قيمة عن تفاصيل إحدى معارك أعراب برقة مع إحدى الحملات المملوكية، مما يدل على نقمة عربان برقة على الحكم المملوكي.

كما أسهب «**البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب**» للمقريزي في تقديمه لمعلومات تخص الوضع السكاني في الإقليم، خلال عصر المماليك.

ويقدم «**تاريخ المسبحي**» للمسبحي (ت. 420هـ/ 1029م) معلومات هامة عن طبيعة علاقة بني قرة في برقة مع الفاطميين.

ويتميز مؤلف «**الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**» لأبي شامة

(ت. 665هـ/ 1266م) بأنه يعرض أسباب إرسال صلاح الدين لحملة قراقوش إلى المغرب.

وينفرد مؤلف «**مضمار الحقائق وسر الخلائق**» لابن شاهنشاه (ت. 617هـ/ 1220م) بتقديم معلومات عن خط سير حملة قراقوش بدءاً من مصر ويقدم مؤلف «**الروض الزاهر**» لابن عبد الظاهر معلومات تتعلق بضم المماليك للإقليم.

كما قدم مؤلف «**التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار**» لابن غلبون (ت.ق. 12هـ/ 613م) وإن كان متأخراً نسبياً عن فترة الدراسة، إلا أنه عرض لمعلومات حضارية عن واحة أوجله. كما زودنا مخطوط لمجهول (ت.ق. 11هـ) بعنوان أسر أندلسية بدرنة، بمعلومات عن تملك بعض الأسر الأندلسية لأراضي زراعية في درنة.

رابعاً: كتب الجغرافيا والرحلات:

اعتمد البحث على بعض المؤلفات الجغرافية المخطوطة مثل: «**أنس المهج وروض الفرج**» للإدريسي أورد بعض المعلومات عن مراحل الطرق البرية والبحرية بالإقليم وموارده الاقتصادية.

كما زودت المؤلفات المطبوعة من المصادر البحث بمعلومات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية على نحو قد لا نجد له مثيلاً في كتب التاريخ ومنها مؤلف: «**المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب**» للبكري (ت. 478هـ/ 1094م) والذي ينفرد بتقديم معلومات عن الحالة الاقتصادية في الإقليم خلال العصر الفاطمي.

أما مؤلف «**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**» للشريف الإدريسي (ت. 548هـ/ 1153م) ففضلاً عما قدمه من تفصيلات حول الأحوال الاقتصادية في مدن الإقليم، قدم ما يفيد باستمرار دور مدينة برقة الحضاري في الإقليم وتقييمه لهذا الدور.

وتكمن أهمية مؤلف «**معجم البلدان**» للحموي (ت. 626هـ/ 1219م) في

تقديمه لمعلومات اقتصادية عن الإقليم خلال العصر الأيوبي كما أورد أسماء علماء الإقليم حسب مدنهم، عرض مؤلف **«تقويم البلدان»** لأبي الفداء (ت. 732هـ/ 1331م) ذكر أنواع السلع التجارية بميناء طلميثة وإلى النشاط التجاري لليهود بها.

كما أفاد البحث من كتابي **«الجغرافيا»** و**«بسط الأرض»** لابن سعيد المغربي (ت. 685هـ/ 1286م) حيث قدما معلومات اقتصادية عن الإقليم المتمثلة في ثروته الزراعية والحيوانية والمعدنية والمائية.

أما كتاب: **«الانتصار لواسطة عقد الأمصار»** ج 5 لابن دقماق (ت. 809هـ/ 1406م) فقد انفرد بذكر قيمة ما يجبى من الإقليم عن طريق المقطعين في بعض الفترات من عصر دولة المماليك البحرية.

وقد أفاد كتاب: **«ترتيب الرحلة للترغيب في الملة»** لابن العربي (ت. 543هـ/ 1148م) البحث معلومات عن الحالة الاجتماعية والثقافية لبعض مشايخ العربان بالإقليم كما أفاد البحث من مؤلف **«رحلة العبدري»** للعبدري (ت. 688هـ/ 1290م) فيما يخص وصفه لبعض مراحل الطريق وأساليب التبادل التجاري والحالة الثقافية في الإقليم أما مؤلف **«تاج المفرق في تحلية علماء المشرق»** للرحالة خالد البلوي (ت. 780هـ/ 1387م) فقد انفرد بوصفه لبعض الظواهر الاجتماعية السائدة في بعض نواحي الإقليم، وقد تميز **«وصف أفريقيا»** للحسن الوزان (ت. 944هـ/ 1552م) بأنه تعرض لحالة إقليم برقة الاقتصادية والاجتماعية خلال الفترة المتأخرة من زمن الدراسة.

ويؤخذ على كتب الرحلات المعاصرة لزمن الدراسة بأنها لم تقدم أي معلومات تاريخية عن مدن الإقليم الواقعة على شاطىء البحر مثل (درنة وطلميثة وبنغازي)، ويرجع ذلك إلى انحرافها عن الطرق البرية ولصعوبة الوصول إليها عن طريق الإبل لوعورة مسالكها.

كما أفاد البحث من بعض الرحلات المتأخرة نسبياً عن زمن البحث بمعلومات قيمة، إذ أن مؤلف **«نزهة الساري والسارب من أقطار المغارب إلى**

منتهى الآمال والمأرب، سيد الأعاجم والأعارب» لابن مليح (قام برحلته 1040 ـ 1042هـ/ 1630 ـ 1633م) قد أشار إلى حالة مدينة أوجلة الحضارية وإلى نشاطها الاقتصادي والعلمي.

خامساً: الدراسات الأثرية:

نظراً لما للدراسات الأثرية من أهمية لمعرفة الأوضاع الحضارية لأي إقليم، فإن الباحث قد استفاد من بعض الدراسات التي أجريت في منطقة برقة والتي قدمت معلومات عن فترة الدراسة ومن المؤلفات الأجنبية في هذا الصدد: «Godchild: Benghazi the story of A city».

والذي قدم معلومات عن وضعية مدينة بنغازي من الناحية العمرانية، خلال فترة البحث: كما وقد أفاد البحث من دراسات التنقيب الأثري في الإقليم، لمعرفة أنواع العملات النقدية المتداولة في العصر الفاطمي، والصناعات الفخارية والخزفية خلال هذا العصر، من خلال دليل متحف مدينة توكرة وبعض الدراسات التي سترد في ثبت مصادر ومراجع الدراسة.

سادساً: الدراسات الحديثة:

لأهمية الدراسات الحديثة التي قام بها بعض من الباحثين المتخصصين عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية في تاريخ المغرب، لما لها من أهمية لفهم وتغطية بعض جوانب الدراسة.

وقد أفاد البحث من مؤلفات الدكتور محمود إسماعيل كالسوسيولوجيا، المهمشون في التاريخ الإسلامي. أفاد البحث من موسوعة السوسيولوجيا في رصد وحدة الظاهرة في العالم الإسلامي، أما الثاني فقد تم من خلاله معرفة كيفية التعامل مع دراسة وفهم سلوكيات العامة لتغطية الجانب الاجتماعي من البحث. كما تمت الإفادة من كتاب «**بعض ملامح أزمة أفريقيا الاقتصادية**» تأليف لمياء محمد سالم والذي عرضت من خلاله لآراء بعض المستشرقين عن أثر هجرة بني هلال وبني سليم على اقتصاد المغرب الإسلامي.

وتناول مؤلف «**المدينة والبادية بأفريقيا في العهد الحفصي**» لمحمد حسين حالة الطرق في إقليم برقة ويؤخذ على هذا المؤلف إصداره لأحكام مطلقة بهذا الخصوص تتنافى مع ما ذكره ابن العربي والعبدري وابن خلدون في حالة توفر الأمن في طرق التجارة المارة خلال برقة أما مؤلف «**درنة الزاهرة**» لمصطفى الطرابلسي فقد تفرد بأنه أسهب في الحديث عن وصول الأندلسيين لإقليم برقة كما تناول أنشطتهم الاقتصادية.

أما مؤلفي «**بنغازي عبر التاريخ**» و«**واحات الجنوب البرقي**» لمحمد مصطفى بازامة فقد زود البحث بمعلومات قيمة عن الأحوال العمرانية والاقتصادية في هاتين المدينتين.

ومن تلك المؤلفات اليهود في ليبيا وتونس والجزائر لعطا أبو رية ويتناول بعض أنشطة اليهود في الإقليم خلال فترة الدراسة.

ومن المقالات التي نشرت بالدوريات العلمية، «**معالم تاريخ أوجلة عبر العصور**» لمحمد بشير أسويسي والذي رصد من خلاله بعض الجوانب الاقتصادية والعلمية في المدينة كما أفاد الباحث أيضاً من بحثي «**تحف إسلامية**» و«**حفريات مدينة سلطان الإسلامية**» للدكتور محمد مصطفى والتي تبين من خلالهما معرفة نوعية النشاط الحرفي الصناعي في بعض مدن الإقليم.

كما حوى مقال «**مدينة الوادي**» للدكتور عبد السلام شلوف عرضاً لأنشطة الأندلسيين وإسهاماتهم الحضارية، كما وقد أفاد الباحث من العديد من الرسائل العلمية المهمة منها: «**برقة وطرابلس خلال القرون الثلاث الأولى للهجرة**» للدكتورة أمال محمد حسن، و«**الحياة الاجتماعية والثقافية في برقة وطرابلس من القرن الثالث حتى منتصف القرن الخامس الهجري**» للأستاذ صلاح عثمان أحمد و«**التنمية وتغير القيم في المجتمع القبلي الليبي**» للدكتورة عازة عمر عبد الخالق.

- وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى أستاذتي

الفاضلة الدكتورة آمال محمد حسن خليل، التي تولتني منذ البداية برعايتها وزودتني بالعديد من مصادر البحث ومراجعة، كما كان لمشورتها وملاحظاتها العلمية طوال فترة البحث الأثر الفعال في أن يخرج البحث إلى حيز الوجود، وأتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور صالح مصطفى مفتاح والذي تفضل مشكوراً بالموافقة على أن يكون مشرفاً ثانياً على هذا البحث بالرغم من مسؤولياته العلمية والأسرية فجزاهما الله عني خير الجزاء.

التمهيد

جغرافية برقة:

يقع إقليم برقة جغرافياً غرب مصر، وقد استعمل العرب في تعريفهم له التسمية الرومانية[1] ـ بعضاً من الوقت ـ وهي بنطابلس[2].

ولا يتفق الجغرافيون المسلمون في العصور الوسطى على تحديد الحد الفاصل بين مصر وبرقة، إذ يجعله أغلبهم مبهماً عند الحديث على حد مصر الغربي، فيجعلونه برقة أو بنطابلس، دون تحديد نقطة محددة لهذا الحد[3].

ويرى شيخ الربوة أن طول الديار المصرية يبدأ من أيلة، وينتهي عند حدود برقة، ويبلغ أربعين مرحلة[4] ويذهب الحسن الوزان إلى القول بأن برقة تمتد من تخوم مصراته غرباً حتى تخوم الإسكندرية شرقاً[5]، بينما كان ابن سعيد المغربي

---

(1) Panta Polis: اسم أطلقه الرومان على إقليم برقة نسبة إلى المدن الخمس التي أسسها الإغريق، وهي قورينا وأبو لونيا وبركا وتوكيرا ويوسبريدس.

F.R Barr; Geology and Archolgy of Nortern Cyrenaica Libya. Amsterdam, Holland Breumelholf, 1963, p: 9.

(2) ابن عبد الحكم: فتوح مصر (دار التعاون، القاهرة، 1974م) ص116؛ البلاذري: فتوح البلدان (شركة طبع الكتب المصرية، القاهرة، 1318هـ) ص231.

(3) ابن دقماق: الانتصار (المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، 1309 هـ) ج4، ص14.

(4) انظر: نخبة الدهر (ليبزج، 1923م) ص229.

(5) انظر: الوزان، وصف إفريقيا (ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب، الإسلامي، بيروت، 1983، ط2) ج2، ط112.

من أكثر الجغرافيين دقة في تحديد الإقليم الشرقي إذ يجعل من العقبة الكبيرة بداية الديار المصرية[1].

ويختلف المؤرخون والجغرافيون كذلك على تحديد حد برقة الغربي لتداخله مع حدود طرابلس[2] إذ يرى بعضهم أن الحد عند المقطاع غرب مدينة أجدابية[3] أو قصور حسان[4]، ويذهب آخرون إلى أبعد من ذلك غرباً إذ يجعلون من سويقة مطكود الواقعة غرب مصراته الحالية أول مناطق برقة الغربية[5] ويحد البحر الأبيض المتوسط برقة من ناحية الشمال[6]، وكان لوقوعها على ساحل المتوسط ميزة في اتصالها المبكر بشعوبه[7]، أما حدودها الجنوبية فقد شملت من ناحية الجنوب الغربي ودان[8] ....

(1) انظر: ابن سعيد، كتاب الجغرافيا (تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، 1970، ط1) ص147.

(2) د. مراجع عقيلة الغناي: علاقة الإمارة الصنهاجية بجيرانها (المكتبة الوطنية، بنغازي، د.ت) ص11.

(3) ابن غلبون: التذكار (تحقيق الطاهر الزاوي، مكتبة النور، طرابلس، 1967، ط1) ص61.

(4) قصور حسان: نسبة إلى القائد حسان بن النعمان الذي ولاه عبد الملك بن مروان سنة 73هـ/ 692م وكلفه بمتابعة حركة الفتح العربي في إفريقية فنزل بقصور بالقرب من تاورغاء نسبت إليه فيما بعد.

انظر: د. إحسان عباس: تاريخ ليبيا (دار صادر، بيروت، 1967، ط1) ص31؛ العياشي: ماء الموائد (تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، منشأة المعارف، الإسكندرية 1996م) ص146.

(5) الحموي: المشترك وضعاً (مكتبة المثنى، بغداد، د.ت) ص262؛ روبار برنشفيك: تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م (ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ط1) ج1، ص353.

(6) الأطلس الوطني: (مصلحة المساحة، طرابلس، 1978م، ط1) ص28 ـ 29.

(7) د. جمال حمدان: الجمهورية العربية الليبية ـ دارسة في الجغرافية السياسية (عالم الكتب، القاهرة، 1973م) ص94.

(8) البكري: معجم ما استعجم (تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف، القاهرة، 1951م) ج4، ص1375؛ الحميري: الروض (مكتبة لبنان، بيروت، 1975) ج4، ص608.

وزويلة[1] ثم تنعطف باتجاه الشرق، ثم الجنوب حتى بلاد تشاد والسودان[2]

التضاريس:

ينقسم شكل السطح في برقة إلى ثلاثة أقسام هي السهل الساحلي من الحدود المصرية شرقاً، حتى خليج سرت غرباً، ويختلف هذا السهل في لون تربته فالجزء الشرقي الواقع ما بين توكرة وبنغازي تربته حمراء، تحملها الأودية المنحدرة في موسم الأمطار من الجبل[3]، وأما الجزء الغربي من هذا السهل والذي يمتد من غرب بنغازي حتى رأس المسن، بالقرب من مصراته غرباً ويطلق عليه اسم برقة البيضاء بسبب لون تربته الرملية البيضاء[4] وتشكل هضبتا الجبل الأخضر ومارماريكا القسم الثاني من سطح الإقليم إذ تحيط هضبة الجبل الأخضر بالساحل على شكل هلال لمسافة 25 كيلومتر، ويصل أقصى عرض لها حوالي 50 كيلومتر، وتتكون هذه الهضبة من طبقتين متوازيتين يبلغ ارتفاع الأودية عن سطح البحر من 250 ـ 300 متراً ويختلف من موضع إلى آخر، ويصل أقصى اتساع لها عند مدينة المرج حوالي 20 كيلومتر، ثم تضيق كلما اتجهنا شرقاً[5].

ويخترق هذه الهضبة بعض الأودية الهابطة من الطبقة العليا أما الطبقة الثانية لهذه الهضبة تبلغ ارتفاعها عن سطح البحر من 450 ـ 600 متراً وتربتها صلصالية رمادية أو سوداء مليئة بالمواد العضوية الناتجة عن تحلل النبات[6].

---

(1) ابن خلدون: العبر (دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968م) م6، ص291.

(2) د. جمال حمدان: المرجع السابق، ص94.

(3) د. محمود طه أبو العلا: جغرافية الوطن العربي (الإنجلو مصرية، القاهرة، 1977م، ط2).

(4) د. إبراهيم أحمد زرقانه: جغرافية الوطن العربي (دار النهضة، القاهرة، 1964م) ص6.

(5) د. عبد العزيز طريح شرف: جغرافية ليبيا (مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1962، ط1) ص76 ـ 77؛ د. محمد عياد: تنمية وصون الموارد البيولوجية في صحاري الوطن العربي (مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، م17، الكويت، 1986م)، ص36 ـ 37.

(6) د. الهادي مصطفى أبو لقمة، د. سعد خليل القزيري: الجماهيرية دراسة في الجغرافية (الدار الجماهيرية، سرت، 1995، ط1) ص116.

أما هضبة مارماريكا فلا يزيد ارتفاعها عن 200 متر فوق سطح البحر، وتنحدر من الساحل تدريجياً نحو الصحراء، وتقطعها بعض الأودية وتعد أقل مطراً من هضبة الجبل الأخضر[1] وتعد الصحراء من مظاهر تضاريس الإقليم إن صحراء برقة مترامية الأطراف تنحدر من الجنوب إلى الشمال، وتمتد جنوباً حتى حدود تشاد والسودان، وبها بعض المنخفضات المتناثرة التي تحوي عدداً من الواحات مثل: مرادة وجالو وواحة والكفرة، والجغبوب[2].

وأما عن مصادر المياه في الإقليم فتوجد العديد من العيون المائية في الجبل الأخضر ببرقة من أهمها عيون وادي درنة ووادي الأثرون ووادي عين مارة[3]، ويعد الجبل الأخضر من أخصب مناطق برقة بسبب تعرضه للرياح الشمالية الغربية التي تساعد على سقوط الأمطار الغزيرة في فصل الشتاء[4].

استيلاء الفاطميين على برقة 301هـ/ 913م:

إن مخاوف العباسيين من التوسع الفاطمي لم تجانب الصواب، إذ سعى الفاطميون لإمتلاك مصر، لما يمثله موقعها من أهمية حربية واقتصادية بسبب ثرائها وصلاحيتها كقاعدة للإنطلاق نحو الشام وبلاد الحجاز، والاستعداد للتوجه نحو تقويض الخلافة العباسية في بغداد[5].

ولقرب برقة من مصر فإنها شكلت القاعدة الأولى لتحقيق هذا الهدف،

---

(1) د. الهادي أبو لقمة، المرجع السابق، ص117.

(2) المرجع السابق، ص118 ـ 120؛ د. طريح شرف، المرجع السابق، ص125 ـ 127.

(3) شرف: المرجع السابق، ص335 ـ 340، د. محمد إبراهيم حسن: دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي (جامعة قار يونس، بنغازي، د.ت) ص328 ـ 330.

(4) Libya as a market for manufactured product from developing countries International trade centre, un. c. a. t.a. d, Gatt, Geneva, 1969 p: 10.

(5) د. حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، (المطبعة الأميرية، القاهرة، 1932م) ص81.

الذي بدأ في عهد الخليفة المهدي[1]. حيث أرسل قائده حباسة بن يوسف، والذي استطاع ضم سرت وأجدابية وبرقة إلى الفاطميين، ونكل بمعارضيهم في الإقليم[2]. عندما توجه حباسة بن يوسف إلى مصر، بأمر من الخليفة المهدي لمحاولة فتحها، وأردفه بحملة أخرى يقودها ابنه أبو القاسم، وقد فشلت هذه الحملة في تحقيق هدفها بسبب وصول إمدادات العباسيين إلى مصر ووقوف الشعب المصري ضد أطماع الفاطميين، الذين تمت هزيمتهم سنة 303هـ/ 915م[3].

مر أبو القاسم بن المهدي عقب انسحابه من مصر ببرقة، وأمر أهلها بضرورة بنيان سورها[4] واستخلف عليهم رجلاً من بني كنانة ومعه حامية، فقام أهل برقة بقتل أفراد الحامية وقائدها[5] ويتبين من خلال تمسك أهل برقة بمذهبهم السني[6] ولأهمية برقة عند الفاطميين أرسل الخليفة المهدي إليها حملة يقودها ابن مدين اللهيصي وقام بمحاصرة المدينة ثمانية عشر شهراً، حتى سقطت في يده سنة 304هـ/ 916م وظل على ولايتها حتى وفاته سنة 306هـ/ 918م[7].

شهدت برقة خلال ولاية الوالي أفلح الناشب ـ الذي تولى أمر برقة خلال

---

(1) افتشيوس (المكنى بسعيد بطريق)، التاريخ المجموع (الآباء اليسوعيين، بيروت، 1909م) ص79، 80.

(2) الكندي: المصدر السابق. ص286 ـ 287 ـ ابن عذارى: البيان المغربي. ج1 (دار صادر بيروت، 1950م) ج1 ص235 ـ 236.

(3) ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص235 ـ 236.

(4) في هذا دلالة على تخوف أبي القاسم من قدوم جيوش مصرية لاستعادة برقة، ولو تم ذلك وزودت بحامية قوية من مصر لامكن استرجاعها من أيدي الفاطميين.

(5) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1 ص239 ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء (تحقيق شعيب الأرنؤوط، إبراهيم الزئبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ط2) ج15، ص84.

(6) د. صالح مصطفى مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (الشركة العامة للنشر. بيروت، 1978م ط1) ص147.

(7) ابن عذارى: المصدر السابق ج1 ص241، 244، 254.

عهد المعز الفاطمي (341 ـ 365هـ/ 952 ـ 975م) ـ قيام ثورة بني قرة وبعض قبائل الأعراب إلا أنه تمكن من قمعهم[1].

اهتم المعز الفاطمي بأمور إقليم برقة فعين على مدنه الولاة[2] ووجه عنايته إلى الاهتمام بموانيها[3] وعندما عزم على المسير إلى مصر أصدر أوامره لولاته على مدن برقة بحفر الآبار وبناء القصور، في كل مراحل الطريق إلى مصر[4] وقد صحب معه إلى مصر فرقة البرقية التي تنسب إلى برقة[5] وترك المعز أفلح بن ناشب والياً على برقة، والذي شهدت المدينة في عهده بعض الزدهار[6].

تولى القائد يانس ولاية برقة بأمر من الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة 388هـ/ 998م وأراد أن يضم إليه طرابلس، غير أن قبائل صنهاجة امتعضت من ذلك، وكانت نهاية يانس القتل على أيديهم سنة 391هـ/ 1001م[7].

أراد الحاكم أن يعيد سيطرته على طرابلس، فأرسل حملة عسكرية بقيادة يحيى بن علي وأمر بني قرة أن يسيروا معه، وحيث أن هؤلاء لم يتعودوا على حياة الجندية كما أنهم تذمروا لعدم حصولهم على غنائم فقرروا

---

(1) إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين (تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ط1) ص671.

(2) ابن أبي دينار: المؤنس (دار المسيرة، بيروت، 1993م، ط3) ص61، الجودري: سيرة الأستاذ جودر (تحقيق: محمد كمال حسين، الفكر العربي، القاهرة، 1954م) ص95.

(3) النعمان: المجالس والمسايرات (تحقيق الحبيب الفقي، دار المنتظر، بيروت، 1996م) ص445، إدريس عماد الدين: المصدر السابق، ص653.

(4) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص81، ابن الخطيب: أعمال الإعلام (تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م) ق3، ص59.

(5) المقريزى: اتعاظ الحنفا (تحقيق: د. جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1996م) ج2، ص181.

(6) المصدر السابق، ج1، ص249.

(7) التجاني: رحلة التجاني (المطبعة الرسمية، تونس، 1958م) ص182

الانسحاب[1] لم يغفر الحاكم ذلك لبني قرة، فاستدعى عدداً من مشائخهم وقتلهم فنفرت عنه بنو قرة[2].

ثورة أبي ركوة في برقة (395/397هـ ـ 1004/1006م):

ظهر في برقة رجل يسمى أبا ركوة[3]، نزل في جوار بني قرة وكان يعلم الصبيان القرآن الكريم واشتهر بذلاقة لسانه، وحسن خلقه، وكان ينسب نفسه إلى بني أمية[4]، وأنه كان من الفارين من تعقب المنصور بن أبي عامر[5] في الأندلس، وقد استغل سخط بني قرة على الفاطميين فبدأ يدعو إلى تغيير المنكر

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص177، المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص34.

(2) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص268، د. عبد اللطيف محمود البرغوتي: تاريخ ليبيا الإسلامي (دار صادر، بيروت، 1973م) ص249.

(3) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.
انظر: ابن منظور: لسان العرب (دار صادر، بيروت، 1956م) ج14، ص333.

(4) يختلف المؤرخون في تحديد نسب أبي ركوة إلى الأمويين فابن الأثير يرى بأنه من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان.
انظر: الكامل: ج9، ص139.
ويذهب الأنطاكي إلا أنه من ذرية عثمان بن عفان ﷺ.
انظر: تكملة تاريخ سعيد بن بطريق (الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م)، ص188.
أما المقريزي فيقول: ـ (يقال: إنه ولد رجل من موالي بني أمية).
انظر: اتعاظ الحنفا ج2، ص66.
ويرى محمد عنان أن أبا ركوة ما هو إلا دعي وليس بأموي وإنما أراد أن يخلق لنفسه قاعدة اجتماعية وسياسية تمكنه من الوصول إلى الحكم شأنه في ذلك شأن بعض طالبي السلطة في عصره.
انظر: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية (مؤسسة الجانجي، القاهرة، 1959م) ص186.

(5) المنصور بن أبي عامر المعافري: قدم إلى غرناطة لتلقي العلم ثم نال حظوة عند صبح أم هشام المؤيد الأموي فجعلته وصياً على ولدها فحجر عليه وصار المتصرف في أمور الدولة وقضى على مناوئيه وتوسع في الفتوحات في بلاد الفرنجة ومات سنة 393هـ/ 1002م.
انظر: ابن الأثير: الكامل، ج9، ص176.

من سب السلف من الصحابة على المنابر، وزعم بأنه على علم بالغيبيات، وانتحل شعراً نسبه إلى مسلمة بن عبد الملك بن مروان فيه نبوءة عن تملكه لمصر، ووصف حالته:

وابن هشام قائم في برقة ... به ينال عبد شمس حقه

يكون في بربرها قيامه ... وقرة العرب لها إكرامه

كما أنه نظم أشعاراً تدعو إلى طلب المجد والثورة وعدم الاستكانة إلى الذل والخضوع ومنها قوله:

إن لم أجلها في ديار العدا ... تملأ وعر الأرض والسهلا

فلا سمعت الحمد من قاصد ... يوماً ولا قلت له سهلاً[1]

التفت قبيلة بني قرة العربية وقبيلتا لواتة وزناتة البربريتين على نصرة أبي ركوة، فقام بالإصلاح بين بني زناتة وبني قرة، ولما وصل نبأ أبي ركوة إلى والي مدينة برقة صندل الأسود كتب إلى الحاكم يستأذنه في حربه، فأمره بالكف عنه[2]، ويبدو أن تحركات أبي ركوة في قرى برقة لأخذ البيعة لنفسه من أهلها جعلته يشعر بأن لديه القوة الكافية لإعلان الثورة[3].

بدأ أبو ركوة في شهر جمادى الآخرة سنة 395هـ/ 1004م بالسيطرة على إقليم برقة، ثم ضرب حصاراً على المدينة نفسها غير أنه لم يستطع دخولها لمناعة أسوارها ودفاع واليها وحاميته، كما أن جزء من قبيلة لواتة تحرك لمحاربة أبي

---

(1) المقري: نفح الطيب (تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، 1968م) ج2، ص658.
ومن أشعار أبي ركوة التي تدعو صراحة إلى الثورة قوله:
بالسيف يقرب كل أمر ينزح ... فاطلب به إن كنت ممن يفلح
وقوله:
على المرء أن يسعى لما فيه ... نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر
انظر: المقري: ج2، ص658.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص198.

(3) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص60 ـ 61.

ركوة ونجدة أهل مدينة برقة، ويبدو أن تلك الأنباء وصلت إلى أبي ركوة في وقت مبكر فسار مسرعاً لمقاتلتهم، وهزمهم عند موضع يسمى أسقفة وهرب الباقون منهم إلى شعب الجبال[(1)].

رجع أبو ركوة إلى مدينة برقة بعد أن قمع حركة قبيلة لواتة، واستمر في حصارها، وضيّق على أهلها لمدة خمسة أشهر، فقرر الحاكم بأمر الله أن ينجد واليه على برقة فأرسل إليه حملة بقيادة القائد إينال التركي، فرفع أبو ركوة حصاره عن مدينة برقة، وانطلق لملاقاة حملة إينال واتخذ بعض التدابير التي تدل على معرفته لطبيعة الأرض بين برقة ومصر إذ أرسل ألف فارسٍ، وأمرهم بالمسير إلى جيش ينال في ذات الحمام[(2)] وأن يناوشوه ثم ينسحبوا وفي طريق عودتهم يقومون بتغوير الآبار التي على الطريق، ولما انسحب جند أبو ركوة إليه قرر المسير على رأس قواته، ولقي جيش إينال المنهك من العطش وطول الطريق في موضع يسمى عيون النظر، ورغم البسالة التي أبداها إينال إلا أنه وقع في الأسر بعد أن تخلى عنه أغلب جند حملته من كتامه، واستأمنوا من أبي ركوة بسبب ما لحقهم من الأذى من الحاكم بأمر الله[(3)].

عندما وصلت أنباء هذه الهزيمة إلى والي برقة صندل الأسود قرر مغادرة المدينة إلى مصر بسبب ما تعانيه من قلة المؤن فخرج إلى مصر عن طريق البحر معه حاميته[(4)].

نال أبو ركوة بعد هذه الانتصارات مكانة مميزة في برقة[(5)]، وأصبح صاحب

---

(1) يحيى بن سعيد: المصدر السابق، ص188.

(2) ذات الحمام: هي الحمام الحالية التي تقع غرب مدينة الإسكندرية بنحو 70كم.
انظر: محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية (الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1994م) ق2، ص264.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص199؛ يحيى بن سعيد، المصدر السابق، ص189.

(4) يحيى بن سعيد: المصدر السابق، ص189.

(5) ثمة اختلاف بين المؤرخين عن السياسة التي اتبعها أبو ركوة مع أهل مدينة برقة بعد =

الأمر والنهي فيها فدعا إلى مذهب السنة وتلقب بأمير المؤمنين الناصر للدين الثائر لله، ونقش ذلك على عملته التي سكها ببرقة[1].

بدأ أبو ركوة في التخطيط للشروع بالزحف نحو مصر[2]، فكتب أوامره بأنه سيقطع بني قرة بعض الجهات في مصر مثل المحلة وتنيس، ثم جدد البيعة لنفسه، وانطلق بجيشه نحو مصر، فالتقى بالجيش الفاطمي الذي كان يقوده فضل بن صالح في ذات الحمام ربيع الأول 396هـ/ 1005م، وانتهت المعركة لصالح أبي ركوة وغنم أتباعه السلاح والمال[3].

تخوف الحاكم بأمر الله من صدى انتصارات أبي ركوة على الجيش الفاطمي بين المصريين فعمد إلى تغيير سياسته ويقول ابن الأثير عن ذلك:

«أهمته نفسه وملكه وعاود الإحسان إلى الناس والكف عن أذاهم»[4].

يرى المقريزي أن دخول أبي ركوة إلى مصر كان بتدبير من الحاكم، لكي يستدرجه، ويتم القضاء عليه بسهولة وبشكل سريع، إذ أمر قادته بأن يكتبوا إلى

= دخوله إليها فابن الأثير يرى أن أبا ركوة قسم الغنائم مع أتباعه بأن جعل لنفسه ثلثها، والثلثان الباقيان لبني قرة وزناته، وأمرهما بالكف عن الرعية والنهب وأظهر العدل، وأمر بالمعروف.

انظر: الكامل: ج9، ص199.

بينما يذكر يحيى بن سعيد بأنه وضع وأتباعه أيديهم على أنعام أهل برقة وأموالهم.

انظر: تكملة تاريخ سعيد بن بطريق، ص189.

(1) المصدر نفسه: ص189.

(2) تحرك أبو ركوة من برقة إلى مصر سنة 396هـ/ 1005م وبصحبته أتباعه من العرب بنسائهم وأولادهم ودوابهم ومواشيهم من موضع إلى آخر، ودخلوا عمل الإسكندرية بعد أن تعرضت برقة للمجاعة والغلاء فسير إليهم الحاكم حملة عسكرية بقيادة قابل الأرمني غير أن قابل الأرمني هزم وتم قتله.

انظر: يحيى بن سعيد: تكملة تاريخ سعيد، ص190.

(3) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص62 ـ 63.

(4) انظر: الكامل، ج9، ص200.

أبي ركوة يعلموه بأنهم على رأيه، ويدعونه إلى القدوم لتخليصهم من ظلم الحاكم، فلما تواترت الرسل من مصر على أبي ركوة انطلت عليه الحيل فحشد قواته وسار إلى مصر[1].

دفعت الانتصارات التي حققها أبو ركوة على الجيوش الفاطمية الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى الاعتماد على عناصر متعددة في الجيش للقضاء على هذه الحركة بسبب تخاذل فرق بني كنانة، ولهذا فقد قام الحاكم بإدخال فرق من السودان والترك والديلم والأرمن للجيش الفاطمي[2]، كما أنه استقدم القادة والجند من بلاد الشام فحضرت إليه مجموعات كبيرة، وولّى عليهم المفرح بن دغفل الطائي[3].

بدأ أبو ركوة في قتاله للفاطميين في معركة مباشرة عند كوم شريك[4]، وقتل فيها أعداداً كثيرة من الجانبين ورأى الفضل بن عبد الله قائد الجيش الفاطمي أن يستميل قادة أبي ركوة، حتى يعلم ما يدبره أبو ركوة، ووجد مراده في القائد القري أبي ماضي الذي أخذ يعلمه بخطط وتدبير أبي ركوة[5].

ولقد وقع أبو ركوة في خطأ فادح عندما خرج من معقله في برقة ووسع ميدان القتال مع الفاطميين، مما أدى إلى بعثرة قواته التي مهما بلغت كثرتها فإنها لا يمكن أن تكون بحال من الأحوال مثل قدرة وكفاءة الجيوش المدربة في مصر والشام.

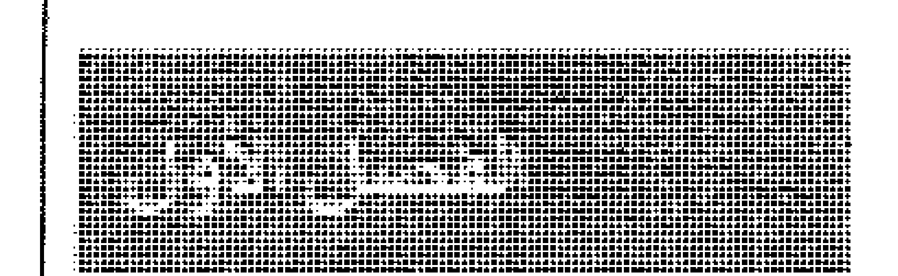
بدأ موقف أبو ركوة يسير نحو الضعف بعد أن كانت خططه تصل تباعاً إلى قائد الجيوش الفاطمية فتمت هزيمته، وثبط أبو ماضي بني قرة عن نصرته ففر إلى

---

(1) انظر: اتعاظ الحنفا، ج2، ص62.
(2) يحيى بن سعيد: المصدر السابق، ص190.
(3) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص62.
(4) كوم شريك: اسم لموضع قرب الإسكندرية. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص495.
(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص199.

النوبة في ذي القعدة 396هـ/ 1005م إلى أن قبض عليه ملكها روفائيل وسلمه للفاطميين، ولم تجد استجداءاته وأشعاره شيئاً من أجل العفو عنه، وتم قتله في جمادى الآخرة سنة 397هـ/ 1006م[1].

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص64 ـ 65؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص371؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، 202؛ د. عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية (دار المعارف، القاهرة، 1981، ط2) ص53 ـ 54.

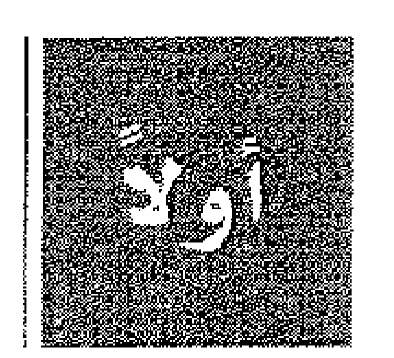


هجرة بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب

أولاً : سكان برقة قبيل هجرة بني هلال وبني سليم.

ثانياً : الحالة السياسية لإقليم برقة قبيل هجرة بني هلال وبني سليم.

ثالثاً : نتائج هجرة بني هلال وبني سليم.



سكان برقة قبيل هجرة بني هلال وبني سليم

سكن هذا الإقليم في الفترة التي سبقت قدوم هجرة بني هلال وبني سليم.

أولاً: البربر:

قبيلة لواتة:

تعد من أقدم قبائل البربر في برقة[1]، وقد حرف الإغريق الاسم إلى ليبتاي الذي أطلق فيما بعد على الإقليم، وقد اختلف المؤرخون في تحديد أصل هذه القبيلة[2]، فابن حزم يذكر أن نسابة البربر يزعمون أن لواتة وسدراتة ومزاتة ترجع إلى أصول مصرية[3]، بينما يذهب مؤرخو العرب بأن لواتة من أصل بربري[4].

وقد شكلت لواتة في برقة أهم عناصر السكان حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ومثلت أكبر فروع البربر البتر فيها[5]، واحتلت رقعةً جغرافيةً واسعةٍ، كما سيطرت على العديد من المناطق الرعوية، وامتدت منازل اللواتيين من

---

(1) ابن خرداذبة: المسالك (وزارة الثقافة، دمشق، 1999م، ط1) ص126.

(2) إسماعيل كمالي: طرابلس الغرب (ترجمة وتحقيق حسن الهادي بن يونس، مطابع الثورة العربية، طرابلس، 1997) ص14؛ د. إحسان عباس: المرجع السابق، ص11.

(3) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب (دار الكتب العلمية، بيروت، 1998) ص496، 498.

(4) وقد فند ابن خلدون الرأي القائل بأن لواتة ترجع بأصلها إلى قبيلة حمير اليمنية بقوله: «إنهم بمعزل عن العرب».
انظر: العبر، م6، ص192.

(5) المصدر نفسه، م6، ص234.

الرمادة والعقبة[1] حتى وادي مخيل[2] وبرنيق[3] وأجدابية التي تشكل أحد مواقع اللواتيين، وتمتد قبيلة مزاتة اللواتية من سرت إلى ودان وتاورغاء[4]، وقد جاورتها قبيلة سدراتة اللواتية[5].

شهدت مواقع لواتة في برقة تحولاً واضحاً مع بدايات القرن الرابع الهجري إذ نزح جزء كبير من المدن إلى القرى، إذ أنهم كانوا ظواعن في نواحي برقة يعتمدون على الترحال[6].

إن التعبير الشامل الذي استعمله مؤرخو العرب عند الحديث عن البربر في برقة، كان لا بد أن ينصرف على لواتة التي كانت تشكل أغلبية البربر في برقة فأجدابية كان فيها أحياء من البربر[7]، أما سرت فقد كان سكانها من البربر، يتجولون في المراعي الواقعة بالقرب منها عند نزول الأمطار، ويحترفون رعي الإبل والغنم، وكانت أكثر ثراءً من أجدابية في تلك الآونة بسبب جودة مراعيها[8].

ووصفت مدينة برقة بأنها محاطة ببادية تسكنها طوائف من البربر[9]، وربما يرجع نزوح اللواتيين نحو الجنوب بسبب ما قام به الفاطميون عقب دخولهم برقة

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص235، 238.
(2) اليعقوبي: البلدان (تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ط1) ص182.
(3) المصدر نفسه: ص181؛ الإدريسي: نزهة المشتاق (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت) م1، ص311.
(4) اليعقوبي: المصدر السابق، ص181 ـ 182.
(5) محمد مصطفى بازامة: تاريخ برقة في العهد العثماني (دار الحوار، بيروت، 1994) ص7.
(6) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص235.
(7) ابن حوقل: صورة الأرض (دار الجيل، بيروت، د.ت) ص70.
(8) المصدر نفسه، ص69؛ المقدسي: أحسن التقاسيم (مطبعة بريل، ليدن، 1909م) ص224.
(9) ابن حوقل: المصدر السابق، ص70.

من مجازر وحشية ومصادرة لبربر لواتة وسلب لأموالهم[1]، ومن المحتمل أن يكون نزوح جزء كبير من قبيلة لواتة بسبب السياسة التي انتهجها الفاطميون في قمع حركات مناوئيهم في برقة[2]، ولا سيما أن جزء من لواتة كان قد تضامن مع حركة أبي ركوة في برقة[3].

وخلاصة ما سبق نرى أن قبيلة لواتة كانت حتى نهاية القرن الثالث الهجري موزعة بشكل ملحوظ في أغلب نواحي برقة، ويقوم أفرادها برعي قطعانهم في المناطق الساحلية غير أن هذا الوضع لم يلبث أن تغير بعد قدوم الفاطميين إلى برقة، حيث نكلوا بمعارضيهم بقوة، ورافقتهم عناصر جديدة على المنطقة مثل كتامة، كما كان لانضمام لواتة إلى حركة أبي ركوة أثراً في نزوحهم من مناطق السلطة الفاطمية في الشمال إلى المناطق الجنوبية من برقة.

قبيلة زناتة:

تنحدر زناتة من قبيلة ضريسة البترية[4]، وقد آزرت هذه القبيلة ثورة يزيد بن مخلد بن كيداد ضد الفاطميين سنة 336هـ/ 947م في نواحي أفريقية وطرابلس، ولهذا السبب تعرضت لسخط الخلفاء الفاطميين الذين أوصوا ولاتهم على أفريقية بتعقب زناتة ومزاتة، كما أنهم شجعوا صنهاجة أعداء زناتة التقليديين في حروبهم ضد زناتة[5].

كما أيدت قبيلة زناتة ثورة أبي ركوة في برقة ضد الفاطميين، وقد أصلح أبو ركوة ما كان بين زناتة وقبيلة بني قرة العربية، كما منح ثلثي الغنائم لبني قرة وزناتة[6]، ويبدو أنهم كانوا ذوي قوة في العدة والعدد حتى يتقاسموا ثلثي الغنائم

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص236، 244.
(2) الكندي: المصدر السابق، ص274.
(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، 198.
(4) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص181.
(5) ابن الخطيب: المصدر السابق، ق3، ص65.
(6) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص38؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، 198.

مع بني قرة، وهذا ما يؤكده ابن الأثير إذ يقول: «إن زناتة هم أهل برقة، وأنه لما دخلها بنو هلال وجدوها خالية ـ قليلة السكان ـ لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز بن باديس»[1] ويرجح الباحث أن تكون حروب المعز مع قبائل برقة قد حدثت بعد سنة 403هـ/ 1012م وذلك عندما طردت قبائل برقة الوالي تموصلت بن حميد الذي ولاه المعز بن باديس[2].

قبيلة كتامة:

وصلت قبيلة كتامة إلى برقة بصحبة الفاطميين بعد فتحها سنة 301هـ، ولما بذله الكتاميون من جهود في سبيل إقامة الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب، فقد أسند إليهم الخلفاء الفاطميون العديد من الوظائف المهمة في دولتهم التي من بينها ولاية الولايات، وكان من ضمنها برقة التي تعاقب على ولايتها عدد من الكتاميين مثل حباسة بن يوسف الكتامي[3]، كما أن أبا القاسم بن عبد الله المهدي جعل في برقة حامية كتامية، غير أن أهلها قاموا بقتل جميع أفرادها بمجرد سفر أبي القاسم وجيشه إلى أفريقية[4]، وقد أسند الفاطميون ولاية برقة بعد هذه المذبحة إلى ابن مدين اللهيصي الكتامي الذي قمع ثورة برقة بشدة وظل على ولايتها حتى وفاته سنة 306هـ/ 918م[5].

قبيلة صنهاجة:

بدأت صنهاجة في النزوح من المغرب إلى برقة في عهد العزيز الفاطمي، الذي طلب منه بلكين بن زيري أن يوليه طرابلس بالإضافة إلى ولاية أفريقية، فولاه عليها وأضاف إليه سرت وأجدابية من برقة[6].

(1) انظر: الكامل، ج9، ص567.
(2) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص111.
(3) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص236.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص241.
(5) المصدر نفسه، ج1، ص244.
(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص665؛ ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص318.

ولما قضى الحاكم على ثورة أبي ركوة في برقة التي كادت أن تقضي على الوجود الفاطمي في مصر، ظل بنو قرة الذين سبق أن ساندوا أبا ركوة يثيرون المشاكل ضد الفاطميين في برقة، فما كان من الحاكم الفاطمي إلا أن أسند برقة إلى باديس بن منصور الصنهاجي سنة 403هـ/ 1012م، الذي بدأ يتعقب زناتة أعداء صنهاجة التقليديين[1]، وقد سكن بعض من قبيلة صنهاجة برقة قبل قبيلة لمطة الصنهاجية التي استوطنت ما بين أوجلة وأجدابية[2].

ثانياً: العرب:

شكل العرب في الفترة التي سبقت هجرة بني هلال وبني سليم في برقة المرتبة الثانية من الناحية العددية بعد البربر، وقد مثلت برقة قاعدة لانطلاق جيوش الفتح والحملات الموجهة لقمع حركات الخوارج في بلاد المغرب[3].

وقد نتج عن استقرار العرب المسلمين ببرقة توالد جيل من أبناء العرب في مناطق الرباطات والثغور على طول ساحل البحر المتوسط، ويبدو أن برقة كانت أكثر أمناً وبعداً عن النزاعات التي سادت البلاد الإسلامية في ذلك الوقت[4].

وقد شكل العنصر اليمني أغلب العرب في برقة، أما العنصر القيسي فقد كان وجودهم ببرقة أقل من اليمنيين في تلك الفترة[5].

ومن القبائل العربية التي استوطنت برقة في تاريخ مبكر من دخول العرب إليها قبيلة بني مدلج الذين دخلوها برفقة عمرو بن العاص، واستوطنوا بعض المناطق الواقعة من برقة غرباً إلى الإسكندرية شرقاً، وتعد منطقة خرائب القوم[6]

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، م4، ص131.
(2) اليعقوبي: المصدر السابق، ص183.
(3) د. السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص415 ـ 416.
(4) البلاذري: المصدر السابق، ص117.
(5) د. صالح مصطفى: المرجع السابق، ص190.
(6) خرائب القوم: تقع خرائب القوم شرق مدينة برقة بنحو 296 ميلاً، انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص87 ـ 88.

من المناطق التي سكنها بنو مدلج[1]، كما استوطنت قبيلتا بلي وجهينة القحطانيتين منطقة الرمادة ببرقة[2].

وشكلت برقة ملاذاً آمناً للفارين من تعسف السلطة في مصر، أو لأصحاب المذاهب والنزعات السياسية المحاربة، فقد لجأ إلى برقة جزء كبير من قبيلة بني لخم القحطانية بعد أن هزموا أمام الأندلسيين في الإسكندرية عام 200هـ/815م[3] كما نزح جزء آخر منهم عقب هزيمتهم أمام القائد الأفشين سنة 216هـ/831م الذي استطاع قمع تمردهم، وقد سكن بنو لخم بالجبل الشرقي من برقة، وسكن معهم في هذا الجبل قبيلة صدف الذين نزحوا من مصر وربما يرجع نزوحهم بسبب ميولهم العلوية[4] كما لجأت إلى برقة قبيلة بني جذام العربية بعد نزاعها مع بعض القبائل العربية في مصر، أثناء ولاية عبد الله بن سعد وقد عاشوا في جبلي برقة الشرقي والغربي[5].

ويبدو أن سكنى العرب للجبال في برقة يعد استثناء لما ذكره ابن خلدون من أن العرب لا يسكنون الجبال، وإنما يحبذون السهول، غير أن ذلك لا ينطبق تماماً مع عرب برقة الذين يرجع أغلبهم إلى أصول يمنية ومن المعروف أن اليمنيين تعودوا على سكنى الجبال بسبب الطبيعة الجغرافية لبلادهم[6].

(1) البكري: المصدر السابق، ص4.
(2) اليعقوبي: المصدر السابق، ص180؛ البلاذري: المصدر السابق، ص232.
(3) د. السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (دار النهضة العربية، بيروت 1981م) ص224. سعد زغلول: مجتمع الإسكندرية، (جامعة الإسكندرية، الإسكندرية 1973م) ص226.
(4) اليعقوبي: البلدان، ص181؛ د. حورية عبده سلام: علاقات مصر ببلاد المغرب منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية (رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1974م) ص96.
(5) اليعقوبي: المصدر السابق، ص181.
(6) حسن محمد جوهر، محمد السيد أيوب: اليمن (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م ص139 ـ 140.

وسكن مدينة ودان ببرقة بعض من بني سهم القرشيين[1]، وعرب من حضرموت اليمن[2]، كما دخل برقة عدد من قبيلة بني قرة الهلالية في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، وانضموا إلى ثورة أبي ركوة ضد الفاطميين[3].

ثالثاً: الروم:

وقد استحوذوا على بلاد برقة[4]، وقد أطلق عليهم العرب الروم بالرغم من أن أغلب هؤلاء يرجعون إلى أصول لاتينية من فرنسا وإيطاليا. لأن العرب لم يكونوا في بدء ظهورهم يعرفون إلا الروم الذين سبق أن احتكوا بهم في بلاد الشام[5]، ولا ينفي هذا وجود عناصر بيزنطية أوروبية، إنما أُطلق اسم الروم من باب تغليب الكثرة، وقد سيطر هؤلاء على الوظائف وقيادة الجيش[6] وقد استطاع الروم أن يجدوا لأنفسهم حلفاء في بلاد الشمال الأفريقي إذ تقربوا من البربر سكان السواحل (البرانس) الذين تأثروا بالحضارة اللاتينية، كما اعتنق جزء منهم الديانة المسيحية[7].

وبدأ الروم يتركون مواقعهم على الساحل ويهاجرون إلى أوطانهم الأصلية بعد أن بدأ العرب يستقرون في بلاد شمال أفريقية ودخول الكثير من البربر في الدين الإسلامي[8].

رابعاً: الزنوج:

تتداخل برقة عبر أراضيها الجنوبية مع بلاد السودان، وترتبط معها بطريق

---

(1) د. البرغوثي: المرجع السابق، ص264.
(2) البكري: المصدر السابق، ص11.
(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص198.
(4) د. إحسان عباس: المرجع السابق، ص9 ـ 10.
(5) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص214.
(6) د. صالح مصطفى: المرجع السابق، ص181.
(7) د. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص139 ـ 140.
(8) د. صالح مصطفى: المرجع السابق، ص182.

القوافل التي تحمل الرقيق إلى بعض المدن في برقة الجنوبية، وقد كان وصول الرقيق الأسود إلى جنوب برقة يرجع إلى عصور قديمة، وزاد الطلب على الرقيق الأسود في الدول الإسلامية إذ استعان بهم الخلفاء والسلاطين في تكوين الجيوش[1]، ففي العصر الفاطمي توصل بعضهم إلى منصب الولاية على المدن والأقاليم مثل صندل الأسود الذي تولى أمور برقة في عصر الحاكم بأمر الله الفاطمي[2]، كما تم جلب الزنوج إلى البلدان الإسلامية لغرض استخدامهم في الفلاحة والحراسة والمهن الصناعية[3].

خامساً: اليهود:

عندما فتح العرب إقليم برقة لم يتعرضوا لليهود بسوء[4]، وقد وصلت إلى برقة بعد استقرار الفتح الإسلامي هجرات يهودية جديدة تمركزت على بعض النقاط الساحلية[5]، كما شهدت خلال العصر الفاطمي، لا سيما في عهد المعز لدين الله قدوم العديد من هجرات اليهود إلى برقة[6].

---

(1) ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج1، ص120 ـ 121؛ المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص61.

(2) يحيى بن سعيد: المصدر السابق، ص189.

(3) هاشم العلوي القاسمي: مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1995م) ج1، ص303.

(4) عامل المسلمون اليهود في برقة معاملة حسنة بالرغم من زعم بعض مؤرخي اليهود بأن الكاهنة داهية التي قاومت الفتح الإسلامي كانت يهودية إلا أن ذلك كان قول الكتاب اليهود بسبب أهدافهم المغرضة إذ أن الكاهنة لم تكن يهودية بل كانت تدين بالوثنية.
انظر: حاييم الزعفراني: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، (ترجمة: أحمد شعلان، عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، 1987، ط1)، ص11؛ السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص248.

(5) د. عطا أبو رية: اليهود في ليبيا وتونس والجزائر (دار بتراك، القاهرة، 2005م، ط1) ص28 ـ 29.

(6) المرجع نفسه، ص111؛ حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر (مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1961م) ص142.



الحالة السياسية لإقليم برقة قبيل هجرة بني هلال وبني سليم (400 ـ 442هـ)

ظلت برقة خالية من أي شكل من أشكال الحكم المباشر للفاطميين حتى بعد القضاء على حركة أبي ركوة إذ لا تذكر المصادر التاريخية وجود ولاة معينون من قبل الفاطميين إنما تناوبها عدد من زعماء بني قرة والذين تفاوتت درجة ولائهم لدولة الفاطميين.

تختلف الآراء حول المعاملة التي عامل بها الفاطميون بني قرة بعد دحرهم لثورة أبي ركوة، ولا سيما أن بني قرة قد وقفوا مع هذا الثائر ضد دولتهم، فابن خلدون يورد خبرين متناقضين عن موقف الحاكم بأمر الله من وقوف بني قرة مع أبي ركوة في ثورته، ففي الأول يذكر أن الحاكم بأمر الله عفا عنهم، أما في الثاني فيذكر أن الحاكم أرسل إلى بعض مشايخ بني قرة بالأمان للمجيء إلى القاهرة ثم قتلهم[1].

فسر الدكتور إحسان عباس ما ذكره ابن خلدون على أن الخبرين غير متناقضين لأنهما وقعا في زمنين متباعدين[2]، ويرى الباحث كذلك إلى أن عفو الحاكم عن بني قرة بسبب الجهود التي بذلها الشيخ ماضي بن مقرب في تثبيط قبيلته عن نصرة أبي ركوة[3]، غير أنه يبدو أن جزء من بني قرة لم يكن راضياً عن الفاطميين، بسبب ما قام به هؤلاء من قتل لبعض زعمائهم[4]، كما أن الرغبة في

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص37.

(2) د. إحسان عباس: المرجع السابق، ص125.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص199.

(4) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص51.

السلب والنهب كانت جامحة لدى هؤلاء الأعراب، ولا سيما بعد أن خابت آمالهم بعد هزيمة أبي ركوة إذ استولوا في سنة 402هـ/ 1011م على هدية أرسلها باديس بن المنصور إلى الحاكم، ولم يكتفوا بهذا بل زحفوا على مدينة برقة ففر واليها عن طريق البحر إلى مصر[1].

أرسل الحاكم بأمر الله الفاطمي قوات من العرب والجيوش لإعادة سيطرته على بني قرة، ولكنها لم تستطع فرض هيمنتها عليها فرأى الحاكم ـ بسبب انشغاله باضطرابات بلاد الشام ـ أن يعهد بولاية برقة إلى باديس بن المنصور الصنهاجي، فأرسل إليه سنة 403هـ/ 1012م هدايا قيمة وسجل بإضافة برقة وأعمالها إليه، الأمر الذي لم يرق لبني قرة إذ كيف يولي الحاكم برقة لأمير بربري، وهي منطقة بخلاف مناطق المغرب الأخرى تكتظ بعدد من القبائل العربية والتي تعد قبيلة بني قرة من أكثرها عدداً وذلك حسب رأي الباحث.

استمر بنو قرة في إعلان عدائهم للفاطميين، وذلك بالاستيلاء على الهدايا المتبادلة بين المعز والحاكم، ففي سنة 405هـ/ 1014م، بعث باديس بن المنصور بهدية قيمة إلى الحاكم بأمر الله تتكون من مائة فرس بسروج محلاة، وثمانية عشر جملاً من الخز والسمور والثياب السوسية وعشرين وصيفة وعشرين فتى من الفتيان الصقالبة، ومعها هدية مرسلة من أخت باديس إلى أخت الحاكم، ووضعت هذه الهدايا في مركب تحت إشراف يعلى بن فرج، فلما رسا المركب في برقة هاجمته قبائل بني قرة، واستولت على جميع ما فيه، وبذلك تكون قد أعلنت تحديها لباديس والخليفة الفاطمي على السواء[2].

وقد حدد المقريزي موضع نهب هذه الهدية بشكل أكثر وضوحاً إذ يذكر ذلك في حوادث سنة 405هـ/ 1014م:

«وفيها بعث نصير الدولة أبو مناد باديس من أفريقية هدية عظيمة إلى الغاية

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص92.

(2) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص362.

للحاكم بأمر الله، فوصلت إلى مدينة برقة لأربع عشرة من رجب وسارت منها سابع رمضان حتى وصلت لك[1]، فأخذها بنو قرة عن آخرها»[2].

وزاد بنو قرة على ما فعلوه ـ من نهب للهدية وإمعاناً في تحدي الصنهاجيين والفاطميين على السواء ـ بأن زحفوا على مدينة برقة ففر واليها التابع للصنهاجيين حميد بن تموصلت إلى أفريقية، فتولى أمور برقة مختار بن قاسم القرى[3]. وأصبحت برقة منذ ذلك الوقت في يد قبيلة بني قرة، ولا بد أن الفاطميين قد أرسلوا إلى برقة عدد من الحملات العسكرية بعد هذه الواقعة غير أن ذلك لم يضع حداً لهيمنة هذه القبيلة على برقة[4].

ولا يستبعد الباحث أن تكون قبيلة زناتة البربرية في برقة قد ساندت حليفتها القديمة بني قرة في تمردها ضد الفاطميين والصنهاجيين، وعلى الرغم من صمت المصادر التاريخية على تفصيل ذلك إلا أن بعضها قد أشار إلى أن العرب الهلالية لما دخلوا برقة وجدوها خالية ـ أي: قليلة السكان ـ لأن أهلها من زناتة قد أبادهم المعز بن باديس، ولا يستبعد الباحث أن ذلك قد تم بعد أن تضامن بنو زناتة مع بني قرة في رفض تبعية برقة للصنهاجيين[5].

استمر تحكم بني قرة في أمور ولاية برقة، وكان شيخهم مختار بن القاسم قد حاول التقرب من الفاطميين عندما سعى في القبض على أحد الثوار عليهم، والذي لجأ إلى جوار شبل القرى أحد مشايخ بني قرة، ولما طلب منه مختار بن

(1) لك: مدينة إسلامية ترجع إلى العصر الفاطمي تقع إلى الشرق من مدينة طبرق بمسافة 120كم واشتهرت كمرسى بحري للسفن انظر: د. فضل علي محمد: مدينة مرسى لك والمدن القديمة والموانئ البحرية في المرمريكا (مجلة البحوث التاريخية العدد الثاني، مركز الجهاد، طرابلس، 1997م) ص91.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص111.

(3) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص111.

(4) د. إحسان عباس: المرجع السابق، ص126.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص567؛ المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص111.

القاسم أن يسلم إليه ضيفه رفض شبل ذلك، مما أدى إلى نشوب المعارك بينهما[1]، ومن خلال ما ذكره المقريزي[2] والمسبحي[3] يبدو أن برقة كانت ملاذاً للفارين من تعقب الفاطميين في مصر إذ نجد أن رفاق الشريف الحسيني المتهم بتدبير اغتيال الحاكم بأمر الله قد لجأ بعضهم إلى الهروب نحو برقة[4].

ظل مختار بن القاسم هو المتصرف في شؤون برقة حتى سنة 420هـ/ 1029م، ثم خلفه ماضي بن مقرب، الذي ربما يكون قد نال هذه الزعامة برضى من الفاطميين لأنه كان قد قدم لهم خدماته التي سهلت القضاء على حركة أبي ركوة[5].

لم تدم زعامة ماضي بن مقرب على بني قرة في برقة طويلاً[6]؛ لأن أغلبهم كانوا يضمرون العداء والكراهية للفاطميين[7]، فانتقلت رئاستهم لجبارة بن مختار الذي سرعان ما قطع تبعيته للفاطميين، بعد أن سمع بخلع المعز لطاعتهم، وأرسل إلى المعز بن باديس بأفريقية بالسمع والطاعة، ويعلمه بأنه هو وأهل برقة قد أحرقوا رايات العبيديين، ولعنوهم على المنابر التي كانوا يخطبون عليها، كما أنهم دعوا للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وذلك في سنة 443هـ/ 1051م[8].

(1) المسبحي: تاريخ المسبحي (تحقيق د. أيمن فؤاد سيد، ونيازي بيانكي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت، ص28.

(2) انظر: اتعاظ الحنفا، ج2، ص104. (3) انظر: تاريخ المسبحي، ج40، ص27.

(4) المسبحي: المصدر السابق، ج40، ص27 ـ المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص140.

(5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص201.

(6) المسبحي: المصدر السابق، ج40، ص48.

(7) عن ذلك يذكر ابن ميسر أنه عندما قام الوزير اليازوري سنة 443هـ/ 1051م بتولية مقرب بن ماضي على بني قرة المقيمين بالبحيرة، رفضوا ذلك، وشقوا عصا الطاعة، فحاربهم اليازوري، ولجأ جزء منهم إلى برقة.
انظر: المنتقى من أخبار مصر (تحقيق د. أحمد فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1987م) ص12.

(8) ابن ميسر: المصدر نفسه، ص12 ـ 13.

نستخلص من عرضنا السابق أن أتباع المذهب الشيعي قد تعرضوا للمضايقة، والقتل، ومصادرة أملاكهم في أفريقية منذ عام 407هـ/ 1016م، إلا أن الخلفاء الفاطميين تغاضوا عن ذلك، واستمروا في إرسال هداياهم إلى المعز بن باديس[1].

ولذا فإن الباحث يرى أن هذه القطيعة المذهبية لم تكن السبب المباشر للسماح لبني هلال ومن معهم من العرب بالمسير إلى برقة وأفريقية وامتلاكها، وأن سوء مخاطبة المعز للوزير اليازوري لا تكفي وحدها لتحرك هذه الجموع البشرية، وللأسف فإن المصادر التاريخية قد كررت هذا السبب وجعلت منه سبباً أساسياً لهذه الهجرة[2]؛ لأنه من غير المقنع أن تقوم دولة كدولة الفاطميين بسبب خصام كلامي بين أحد وزرائها وأحد ولاتها بإرسال بدو بني هلال ولا سيما أن الدولة آنذاك كانت تحدق بها بعض الأخطار الخارجية والداخلية، المتمثلة في ظهور خطر السلاجقة السنيين، ومكائد الخلفاء العباسيين وضعف شخصية المستنصر، واستبداد الأمراء في عصره، فكان من الأجدى أن تكون ردة فعل الخلافة الفاطمية أن ينحى هذا الوزير، وتتم ترضية المعز بن باديس، خاصة وأن هذا الوزير كان محل كره وامتعاض عدد من ولاة الأقاليم مثل المعز بن باديس، وثمال بن صالح صاحب حلب[3]، لذا فإنه من الناحية المنطقية كان على الباحث أن يسبر أغوار المصادر التاريخية للبحث عن أسباب أخرى لهذه الهجرة، ففي برقة نجد خروج أهلها من بني قرة وزناتة عن طاعة الفاطميين بداية بانضمامهم إلى حركة أبي ركوة ومناصرتهم له[4]، ثم نهبهم للهدايا الواصلة والمرسلة إلى الفاطميين التي تمر بأراضي برقة[5]، واحتجاجهم على أن تضاف برقة لأعمال

---

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص388، 392؛ المقريزي: المصدر السابق. ج2، ص115.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص55؛ ابن خلدون: المصدر السابق، م6، 26.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص29.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص198.

(5) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص92؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ص375.

المعز بن باديس الصنهاجي، فزحفوا عليها مما اضطر واليها إلى الفرار عبر البحر إلى أفريقية[1]، كما أن برقة أصبحت ملاذاً وملجأ للهاربين من ملاحقة الفاطميين في مصر[2]، ويعد العامل الاقتصادي من أهم عوامل ظهور هذا الحدث، إذ أن فترة حكم المستنصر الفاطمي (427 ـ 487هـ/ 1035 ـ 1094) كانت في معظمها تتسم بالاضطرابات الاقتصادية والأوبئة[3].

وقد أوضح المقريزي مدى ارتباط الحالة الاقتصادية في مصر بحالة النيل ومنسوب مائه وأثر ذلك على حالة المحاصيل الزراعية، فإذا نقص هذا المنسوب عن ستة عشر ذراعاً أصيبت الأراضي الزراعية بالجفاف، وإذا زاد المنسوب على ذلك غرقت الأراضي الزراعية بما عليها من محاصيل، وعند حدوث القصور أو الزيادة تشهد مصر أزمات اقتصادية تتمثل في نقص الأقوات وغلاء الأسعار وظهور الأوبئة والمجاعات[4].

وكانت القبائل العربية من بني هلال وبني سليم ومن معهم من القبائل التي أسكنها الفاطميون شرق النيل مصدر قلق وفوضى، ويعزو الباحث ذلك إلى قلة المراعي في تلك المنطقة وشدة جفافها وهي بالتالي لا تشكل سكناً ملائماً لتلك الأعداد الهائلة من الأعراب وعائلاتهم وأنعامهم.

وللدلالة على أهمية هذا العامل الاقتصادي في حدوث هذه الهجرة فإنه بمجرد وصول الدفعة الأولى من القبائل المهاجرة إلى أراضي برقة كتبوا إلى إخوانهم بالقدوم. وعن ذلك يقول ابن سعيد:

(1) المقريزي: المصدر نفسه، ج2، ص111.
(2) ابن ميسر: المصدر السابق، ص12.
(3) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج5، ص1 ـ 5.
(4) انظر: إغاثة الأمة (مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت) ص35 ـ 38.
للاستزادة ومعرفة أثر منسوب النيل على المحاصيل الزراعية.
انظر: محمد حمدي المناوي: نهر النيل (الدار القومية، القاهرة، 1966م) ص173 ـ 174؛ د. فتحي عبد العزيز أبو راضي: المناخ والبيئة دراسة في المناخ التطبيقي لبيئة دلتا النيل (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991م) ص45 ـ 48.

«إنهم وجدوا بلاداً في نهاية الخصب ولا لهم فيها ناه ولا مزاحم بل جميعها بحكمهم حيثما شاؤوا وتوجهوا فانثال من بقي من العرب بمصر على المسير إلى أفريقية»[1].

ومن أجل أن تتخلص دولة الفاطميين من الأعباء المترتبة على إقامة هؤلاء البدو في مصر فإنها حفزتهم على التوجه غرباً[2].

وافق المستنصر الفاطمي على رأي وزيره اليازوري الذي قام في سنة 441هـ/ 1049م، بزيارة القبائل العربية في مواقعها بصعيد مصر، وأزال ما بين بني زغبة ورياح من مشاكل، بسبب الحروب التي كانت قد نشبت بينهم من قبل، ومنح رؤساء هذه القبائل أموالاً جزيلة، وأعطى عامة القبائل بعيراً وديناراً لكل واحد منهم، وسمح لهم باجتياز النيل غرباً وقال لهم على لسان سيده المستنصر: «قد أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الأبق فلا تفتقرون»[3]. وكتب إلى المعز مهدداً ومتوعداً بقوله: «أما بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً، وحملنا عليها رجالاً كهولاً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً»[4].

وقام المستنصر بإقطاع الأراضي في طرابلس وأفريقية لعدد من رجالات هذه الحملة، فعقد لموسى بن يحيى المرداسي على القيروان وباجة، ولحسن بن سرحان على قسنطينة، وولى بني زغبة على طرابلس وقابس[5].

---

(1) انظر: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة (تحقيق د. حسين نصار، مطبعة دار الكتاب، القاهرة، 1970) ص79 ـ 80.

(2) وذلك ما لخصه الوزير اليازوري في قوله: «إن صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا أولياء للدعوى وعمالاً بتلك القاصية، وارتفع عدوانهم عن ساحة الخلافة، وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها، وأمر العرب البادية أسهل من صنهاجة الملوك».
انظر: ابن خلدون: العبر، م6، ص14.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص31.

(4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص296؛ التجاني: المصدر السابق، ص19.

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص41 ـ 42.

اجتازت القبائل العربية نهر النيل، واستمرت في سيرها غرباً حتى وصلت برقة التي استقرت فيها بعضاً من الوقت، إذ وجدوا فيها ـ كما سبق وأن وضحنا ـ مرعى خصباً لمواشيهم، ومنها كتبوا إلى بقية إخوانهم بمصر بضرورة اللحاق بهم، ويغرونهم بخصب مراعيها فلحقهم من بقي منهم في مصر(1).

استعاد الفاطميون ما سبق أن دفعوه من أموال لأفراد الهجرة العربية الأولى إلى أفريقية من أقربائهم الذين رغبوا في اللحاق بهم إذ استلموا دينارين من كل شخص يرغب في الذهاب إلى بلاد المغرب(2).

وبهذا تكون أمنية بني هلال وبني سليم قد تحققت باجتياز النيل، ونالوا بغيتهم في الحصول على أراضٍ رحبة واسعة في بلاد المغرب(3).

استقرت الموجة الأولى في برقة سنة 442هـ/ 1050م لبرهة من الزمن، ثم أرسلوا الشيخ مؤنس بن يحيى إلى أفريقية ليستطلع أخبارها، فنزل ضيفاً على المعز بن باديس، وأطلع المعز على سبب مجيئه، فأراد المعز أن يستعين ببني رياح قوم مؤنس بن يحيى كحرس وجنداً له، ولكن مؤنس رفض هذا العرض، معتذراً بأن قومه ليس من السهل طاعتهم له، فلم يقتنع المعز بهذا القول، وحط من شأنهم، فأخبره مؤنس بأنهم قوم لا طاقة لك بهم، فاستخف المعز ببني هلال، وقال: هم دون ذلك فرجع مؤنس إلى قومه ببرقة، وحفزهم على محاربة المعز(4) الذي خذله عرب الفتح في أفريقية، وقبيلتي زناتة وصنهاجة، ولم يستطع جنده من السودان أن يقف أمام هجمات القبائل العربية(5).

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص296.

(2) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2، ص217.

(3) التجاني: المصدر السابق، ص18.

(4) الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا (دار المعارف، القاهرة، 1963م، ط2) ص221؛ محمد رجب الزائدي: قبائل العرب في ليبيا (دار الكتاب الليبي، بنغازي، 1968م، ط1) ص75 ـ 76.

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص33. =

لن يتطرق البحث للحديث عن تفاصيل تطور الأحداث التاريخية التي نتجت عن تدهور العلاقة بين الفاطميين وبني زيري ومجيء بني هلال لبعدها المكاني عن حدود الإقليم[1].

= وحول المزيد من التفاصيل عن الأحداث التي وقعت بين المعز بن باديس والهلاليين في أفريقية.
انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص56 ـ 57، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص417 ـ 422، 428 ـ 431، 454 ـ 457، ابن خلدون المصدر السابق، م6، ص325 ـ 327، 334 ـ 337، 339 ـ 341.

(1) حول معرفة تلك الأحداث: ـ
انظر: مجهول: إنسان العيون (مخطوط بالهيئة المصرية العامة رقم 919) ورقة 420 ابن الأثير: الكامل ج6 ص456، ج8، ص489، ج9، ص427، 450، 456، 477، 529، ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص267، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص295 ـ 296، ص388، ص392، الذهبي: المصدر السابق، ج18، ص140، النويري: نهاية الإرب (تحقيق: د. حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1983م) ص142، ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص317، م9، ص294، المقريزي: إغاثة الأمة (مكتبة الثقافة، القاهرة، 1999م)، ص13 ـ 14، اتعاظ الحنفا، ج1، ص100 ـ 101، ج2، ص16، 212 ـ 214، 216، 223، 225، 242، 245، السيوطي: حسن المحاضرة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ن، القاهرة، 1986م)، ج2، ص22، الصفاقسي: نزهة الأنظار (تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ط1) ص368، د. محمود إسماعيل عبد الرازق: (المالكية والشيعة بأفريقيا إبان قيام الدولة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، 23، 1976م) ص85 ـ 93، د. حسن علي حسن المرجع السابق، ص115 ـ 117، د. أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس صحيفة المعهد العربي للدراسات الإسلامية، مدريد، 1957، ص660.

ثالثاً

نتائج هجرة بني هلال وبني سليم

ارتبطت تسمية الهجرة التي كانت تضم عدد من القبائل العربية والمتوجهة من صعيد مصر إلى بلاد أفريقية في منتصف القرن الخامس الهجري باسم هجرة بني هلال[1] أو بني هلال وبني سليم، مع أن هذه الهجرات ضمت بعضاً من القبائل الأخرى، ويرجع ارتباط هذه الهجرة ببني هلال وذلك بكثرة عددهم

---

(1) بنو هلال: ينتسب الهلاليون إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وينقسم الهلاليون إلى خمسة أقسام وهم بني شعثة وبني ناشر وبني نهيك وبني عبد مناف وبني عبد الله، وقد كانت مواطن بني هلال قبل الإسلام عند جبل غزوان بالقرب من الطائف، وقد كانوا من الأعراب الذين حاربوا الرسول ﷺ في يوم حنين، ولما استقرت الدولة الإسلامية وبدأت الفتوحات، انتقل بنو هلال إلى بداية الشام يحترفون الرعي والزراعة وقطع الطريق، وقد تعاقبت عليهم حملات العباسيين للحد من تعديهم على المسافرين من الحجاج والتجار، ولما قامت حركة القرامطة في البحرين انضم إليها عدد من قبائل الأعراب كان من بينها قبيلة بني هلال، ولما قام الفاطميون بالدخول إلى مصر تصادموا مع القرامطة وأشياعهم من القبائل العربية فتمت هزيمة القرامطة وانسحبوا إلى البحرين، ورأى الخليفة الفاطمي العزيز 365هـ ـ 386هـ/ 975م ـ 996م نقل بعض من القبائل العربية، التي ناصرت القرامطة إلى صعيد مصر وأنزلهم على الضفة الشرقية من النيل، ولكنهم أضروا بالبلاد واعتدوا على ممتلكات أهلها.

انظر: ابن حزم، المصدر السابق، ص273؛ القلقشندي: نهاية الإرب (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) ص392؛ المقريزي: البيان والإعراب (تحقيق عبد المجيد عابدين، عالم الكتب، القاهرة، 1961م، ط1) ص28؛ الناصري: الإستقصا (وزارة الثقافة، الدار البيضاء، 2001م) ج1، ص68؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص261؛ ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص27؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2، ص216؛ د. حسن علي حسن: الغزو الهلالي للمغرب أسبابه ونتائجه (المجلة التاريخية =

بالنسبة لعدد القبائل التي رافقتهم أو لسهولة استعماله على ألسنة الناس[1]، ومن ضمن القبائل التي رافقت الهلاليين قبيلتا فزارة وأشجع من غطفان وجشم من هوازن وقبيلة سلول بن مرة وقبيلة المعقل اليمنية وقبيلة عمرة بن أسد وقبيلة عدوان بن عمرو القيسية وقبيلة بني فهم القيسية[2]. وتأتي أهمية قبيلة بني سليم القيسية في أنها الأكثر عدداً في القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد المغرب بعد بني هلال[3].

تركت هذه الهجرة على منطقة المغرب الأدنى آثاراً سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية فمن الناحية السياسية كانت المنطقة تخضع ـ إذا ما استثنينا برقة ـ لكيان سياسي واحد، هو الحكم الزيري فتغير مدة من الزمن إلى حكم مناطق تحكم في شؤونها مجموعة من الأسر العربية شكلت قوة عسكرية لتحقيق

= المصرية، م24، 1977م) ص107؛ د. عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي (جامعة القاهرة، القاهرة، 1956م) ص61.

(1) المقريزي: البيان والإعراب، ص126؛ د. عبد الحميد يونس: المرجع السابق، ص62.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص31.

(3) بنو سليم: يرجع بنو سليم بنسبهم إلى سليم بن منصور بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ورئاستهم في الجاهلية لبني الشريد بن خفاف بن بهثة بن سليم، وقد التحق بنو سليم بالدعوة الإسلامية مع النبي ﷺ يوم فتح مكة، وقد قدم لواؤهم على ألوية القبائل.

كانت مواطن بني سليم في جزيرة العرب موزعة على بعض الأماكن مثل حرة بني سليم وحرة النار بالقرب من تيماء وعالية نجد بالقرب من خيبر، ثم ارتحلوا منها إلى الحجاز وسكنوا بالقرب من المدينة واحترف بعضهم قطع الطريق كما رحلوا إلى الشام والعراق بقصد النهب والإغارة وانضموا إلى دعوة القرامطة ولما هزم القرامطة تم ترحيل بني سليم بأمر العزيز الفاطمي إلى العدوة الشرقية من النيل.

انظر: ابن حزم: المصدر السابق، ص27، 31، 86، 261؛ ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص72؛ القلقشندي: المصدر السابق، ص271 + قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان (تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، بيروت، 1982م) ص24؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985) ج2، ص544 ـ 545.

مصالحها، وتدخلت في الصراعات الدائرة في أفريقية فوقفت بعضاً من الأسر الهلالية[1] في صف تميم بن المعز بن باديس في صراعه مع حمو بن مليك، الذي ساندته أسر أخرى من بني هلال، حيث حاربت بعضها البعض بسبب المصالح المادية التي كانت تحرك هذه القبائل، وشهدت منطقة أفريقية ظهور دول أسرية كدول الطوائف التي قامت في الأندلس، إذ استولى بنو هلال على المنطقة الممتدة من دواخل قابس إلى الغرب، بينما ظل بنو زيري في المهدية وما حولها، واستقل حمو بن مليك البرغواطي مع حلفائه من زغبة ورياح الأثبج، وعدي في صفاقس، واستقر بنو حماد في بجاية، وبنو خراسان في تونس سنة 458هـ/ 1065م[2].

هذا الأمر لا ينطبق بهذه الكيفية على إقليم برقة، إذ أنها شهدت بداية تقلص حكم الولاة منذ حركة أبي ركوة سنة 395هـ/ 1004م، وظهور حكم أو هيمنة القبيلة، وقد تناوب بنو قرة مشيخة القبيلة حتى حدوث هجرة بني هلال وبني سليم ووصولهم إلى برقة، فآثر بنو قرة أن يهاجروا مع قومهم من بني هلال إلى أفريقية. وتصمت المصادر التاريخية عن أسباب ترك بني قرة لبرقة. هل كان ذلك بناءً على الاتفاق الذي تم بين القبائل على أن تكون برقة وطرابلس لبني سليم وأفريقية لبني هلال فكان لزاماً على بني قرة أن يغادروا برقة مع بني قومهم من الهلاليين إلى بلاد أفريقية[3].

يرجح الباحث أن يكون بنو قرة قد رأوا الابتعاد عن برقة لقربها من أعدائهم التقليديين في مصر، ولا سيما في ظل هذه الظروف الجديدة.

لم يقم بني سليم بتكوين كيانات سياسية في برقة، لتمسكهم بطابع حياتهم البدوي والرعوي، وعاشوا في تجمعات رعوية تقوم على رعي الماشية، وزراعة

(1) ابن الأثير: الكامل، ج10، ص16، 29، 242، 298.

(2) د. السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص673.

(3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص91.

بعض المحاصيل التي تعتمد على مياه الأمطار، كما هيمنوا على القبائل العربية التي سبقتهم إلى برقة منذ عصر الفتح، وعلى البربر القاطنين ببرقة، وعلى اليهود المقيمين في بعض الموانئ البرقية في طلميثة ودرنة[1].

كما أن هجرة بني سليم إلى برقة زادت من عزلتها السياسية، فعلى الرغم من أن هذه القبائل قد استوطنتها بمباركة الفاطميين، وهي بالتالي كانت تحت تبعيتهم إلا أنها كانت تبعية اسمية، وذلك ما نستشفه من خلال المصادر التي تطرقت إلى بعض الأحداث في برقة، إذ أنها كانت ملجأ للأفراد والجماعات الهاربة من تعقب الفاطميين في مصر، فعندما نشب القتال في البحيرة بين بني قرة والطلحيين ضد الفاطميين في سنة 443هـ/ 1051م، جرد إليهم الوزير اليازوري الجيوش ففروا إلى برقة وتركوا البحيرة[2].

ويذكر المؤرخ ابن ميسر أن مجموعة من قبائل الأعراب أحدثوا شغباً بناحية البحيرة سنة 469هـ/ 1076م مستغلين غياب بدر الدين الجمالي لمهمة عمل في أسوان، غير أن بدر الدين لم يلبث أن عاد وقام بطرد المشتركين في هذا الشغب من قيس وسليم إلى برقة[3].

كما أنه في خلال الأزمة التي حدثت بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر على من يتولى الخلافة، أراد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أن يلي الخلافة القاسم أصغر أولاد المستنصر، ولقبه بالمستعلي، بدلاً من الابن الأكبر نزار، وحاول الوزير أن يفرض رأيه على كبار رجال الدولة[4]، غير أن نزار رفض الاعتراف بسياسة الأمر الواقع، وخرج إلى الإسكندرية وبرفقته أخوه عبد الله والأمير محمود بن مصال اللكي، وقد وقف والي الإسكندرية ناصر الدين أفتكين

(1) انظر: ص102 ـ 104.
(2) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص218.
(3) انظر: المنتقي، ص44.
(4) المقريزي: المصدر السابق، ج3، ص11 ـ 12.

إلى جانب الأمير نزار وبايعه بالخلافة، فخرج الأفضل على رأس جيشه لمحاربة هذا الحلف وذلك في محرم سنة 488هـ/ 1095م، إلا أن الهزيمة سرعان ما لحقت به، فانسحب إلى القاهرة وشرع في إعادة تنظيم صفوفه، ويبدو أنه استغل الدعاية في أنه يعد حامياً ومدافعاً عن الخليفة الشرعي القائم في الحكم، وهذا ما جعلهم يشتركون معه في صد هجوم نزار على القاهرة، وأراد الأفضل استغلال هذه الظروف، فسار على رأس قواته في أثر جيش نزار، وأنزل بهم الهزيمة بالقرب من الإسكندرية، واضطر نزار وأتباعه إلى الرجوع إلى الإسكندرية فتبعه الأفضل، وقام بتشديد الحصار على المدينة، ولما رأى محمود بن مصال اللكي شدة هذا الحصار فر إلى جهة برقة في ثلاثين مركباً، ونزل في بلدة لك سنة 488هـ/ 1095م، وتمكن الأفضل من القبض على القائد أفتكين والأمير نزار وقام بقتلهما، ثم توالت كتب الأفضل إلى محمود بن مصال في لك يعلن له الأمان، فرجع ابن مصال إلى القاهرة، ثم رضي عنه الأفضل وأكرمه(1).

نستخلص مما سبق عدم وجود سلطة حقيقية للفاطميين في إقليم برقة في تلك الفترة، إذ لو كان لهم أي نوع من النفوذ الحقيقي لتمت محاربة محمود بن مصال اللكي فيها.

وعندما حدثت ثورة في أرض البحيرة وبرقة سنة 543هـ/ 1148م، حيث قام شخص ادعى أنه ابن لنزار بن المستنصر الفاطمي، وقد انضمت إليه لواتة، فسير إليه الحافظ الفاطمي الجيوش، غير أنه استطاع هزيمتهم فأرسل إليه بقوات أخرى، واستمال قادة لواتة بالمال حتى استطاعوا القبض على هذا الثائر وتم قتله(2).

أما عن النتائج الاقتصادية لهذه الهجرة على إقليم برقة فيجب أولاً أن نعرف الظروف الاقتصادية السائدة في برقة قبيل هذه الهجرة، إذ شهدت برقة قدوم

(1) ابن ميسر: المصدر السابق، ص35 ـ 37؛ المقريزي: المصدر السابق، ج3، ص13 ـ 14.

(2) ابن ميسر: المصدر السابق، ص88؛ المقريزي: المصدر السابق، ج3، ص186.

العديد من الحملات العسكرية التي أثرت على أحوالها الاقتصادية، مثل حملة حباسة بن يوسف سنة 301هـ/ 913م، وأبي مدين اللهيص سنة 304هـ/ 916م التي تميزت بسياسة التنكيل والقتل ومصادرة الأموال[1].

وعندما وصلت قبائل بني هلال وبني سليم إلى برقة وجدتها شبه خالية، إلا من قلة من السكان بسبب تشريد المعز بن باديس لسكان برقة[2]، مما يدل على أن القبائل العربية من بني سليم وبني هلال لم تتعرض لأي نوع من المقاومة، ولا صحة لهذا التهويل في الخراب الذي مفاده أن العرب غورت المياه، واحتطبت الشجر، ولا ينفي الباحث حدوث بعض هذا التخريب الذي نتج عن كثرة عدد هؤلاء الوافدين برفقة أنعامهم وعائلاتهم، ولا شك أن مرور أعداد هائلة من الدواب، ولا سيما الإبل، قد أوقع التلف بالأراضي الزراعية التي مروا بها، أما مسألة تغوير المياه وقطع الأشجار ففي هذا تناقض لما يعرفه البدوي من قيمة المياه والمراعي لحيواناته.

وقد وصف ابن خلدون خراب الأعراب أو العرب برقة أثناء حركة هذه القبائل العربية بقوله:

«وكانت بها الأمصار المستبحرة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وأمثالها فعادت يباباً ومفاوز كأن لم تكن»[3].

يعاب على هذا الرأي اعتماد صاحبه على الإطناب والمبالغة في تفسير هذا الحدث، وقد تأثر بنشأته الارستقراطية في كتاباته عن الأعراب، أو أنه أراد محاباة دول الحكام التي قام بخدمتها في عصر كتابته لمؤلفاته التاريخية، كما أنه قام بتأليف كتاباته بعد حدوث هذه الهجرة بنحو ثلاثة قرون، وللأسف فإن كثيراً من المؤرخين العرب من القدامى والمحدثين قد أخذوا بآراء ابن خلدون، دون

(1) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص241، 244.
(2) ابن خلدون: المصدر السابق، م4، ص131.
(3) انظر: العبر، ج4، ص204.

تمحيص أو تدقيق في نظرته للآثار الاقتصادية المترتبة على هذه الهجرة، كما تلقفت آراءه أقلام بعض المستشرقين من ذوي النزعة العنصرية[1] بقصد التحامل على العرب وعزلهم عن البربر سكان البلاد الأصليين، كما ظهر عدد من المستشرقين المنصفين[2] الذين رأوا في الاعتماد على كتابات ابن خلدون حول هذه المسألة ابتعاداً عن الموضوعية التي يجب أن يتسم بها المؤرخ بسبب تأثر ابن خلدون بحياته الارستقراطية في نظرته إلى البدو، ولبعد عصر ابن خلدون عن زمن حدوث هذه النقلة، لقبائل الجزيرة العربية إلى المغرب الأدنى، كما أن المؤرخين الذين عاصروا فترة هذه الهجرة لم يشيروا إلى ما ذهب إليه ابن خلدون من أن بني هلال ومن معهم من قبائل العرب قد قاموا بإشعال النيران في المدن، وقطعوا الأشجار والغابات، ومن أمثال هؤلاء البكري سنة 487هـ/ 1094م، إذ لم يرد في كتاباته شيء عن هذه المبالغات، وإلى هذا الرأي ذهب المستشرق جون بونس، بينما تذهب كلود كاهين إلى أن: «دمار وتدهور أفريقية كان قد بدأ قبل وصول هذه القبائل الرعوية إلى أفريقية» بينما يرى المستشرق لاكوست «أن الرؤية التي ذهب إليها ابن خلدون هي أسطورة، ولكنها غذيت في إطار الأيديولوجية الاستعمارية، كما أنه يلقي بلومه على ما ذهب إليه بعض الدارسين في تشبيههم لدخول بني هلال إلى أفريقية بغزوات المغول لبلاد المشرق»[3].

وأما من الناحية الاجتماعية والثقافية فعلى الرغم من أن الفتح العربي لشمال أفريقية كان سابقاً على هذه الهجرة بحوالي أربعة قرون، إلا أن انتشار

---

(1) من الذين تحاملوا على الأعراب غوتيه وشارل جوليان.
انظر: عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج2، ص91 ـ شارل أندريه جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، ج2، ص98.

(2) من المستشرقين الذين لم يعزوا خراب أفريقيا وبلاد المغرب إلى الأعراب وحدهم جون بونس وكلود كوهن.
انظر: لمياء محمد سالم: بعض ملامح أزمة أفريقيا الاقتصادية (مركز جهاد الليبين، طرابلس، 1999، ط1) ص216.

(3) لمياء محمد سالم: المرجع السابق، ص216.

اللغة العربية بين البربر كان بطيئاً بالنسبة إلى طول الفترة الزمنية، ويرى الباحث أن برقة كانت أكثر حظاً في انتشار اللغة العربية بين سكانها، إذ أنها كانت أقل فتناً وحروباً، كما أنها كانت ملاذاً لعدد من القبائل العربية، وذلك بحكم قربها من مصر، ولكونها كانت قاعدة أولى للجيوش العربية الإسلامية في الغرب الإسلامي، ولكن هذا لا يمنع من أن هجرة بني هلال وبني سليم قد تركت أثراً إيجابياً على إقليم برقة من هذه الناحية، فقد عمق وزاد من انتشار هذه اللغة بين سكانه، ولعب دوراً في إجادتهم لها، وهو ما نوه به الرحالة الذين زاروا هذا الإقليم[1].

كما كان لهذه الهجرة أثراً واضحاً على سكان برقة من الناحية الاجتماعية، إذ أن معظمهم اندمجوا في القبائل العربية وانتسبوا إليها حتى صاروا عرباً خلصاً، وتركت قبائل البربر عاداتها القديمة، وزالت الفروق بينهم في اللباس والمأكل والتقاليد، وانحصر اللسان البربري في دائرة ضيقة في بعض الواحات مثل أوجلة ومرادة[2].

(1) العبدري: رحلة العبدري (تحقيق د. علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، 1999م، ط1) ص206 ـ 207.

(2) الزائدي: المرجع السابق، ص114 ـ 115.

الفصل الثاني

برقة
خلال العصر الأيوبي

أولاً : حملة قراقوش على برقة والحدود الشرقية لدولة الموحدين وآراء المؤرخين حول أسبابها.

ثانياً : سير الحملة ونهاية قراقوش.

أولاً حملة قراقوش على برقة والحدود الشرقية لدولة الموحدين

استطاع صلاح الدين بفضل جهوده أن يوحد الجبهة الإسلامية في دولة واحدة[1] من برقة غرباً حتى الموصل شرقاً، وقد قام بتوجيه حملة إلى برقة ببلاد

(1) انتاب الدولة الفاطمية في آخر أيامها الضعف، عندما بدأ يتولى أمورها خلفاء غير أكفاء مما أدى إلى استبداد الأمراء، ودخولهم في صراعات دموية من أجل تولي منصب الوزير، وكان الوزير الفاطمي شاور بن مجير السعدي قد لجأ إلى نور الدين زنكي في الشام لكي يعيده إلى منصب الوزارة الذي خلعه منه الأمير ضرغام، فأنجده نور الدين بحملة يقودها أسد الدين شيركوه، ولما تحقق هدف شاور وعاد إلى الوزارة بدأت منه بوادر الخيانة، وبادر بالاتصال بعموري ملك بيت المقدس بقصد إخراج قوات نور الدين زنكي، عندئذ صمم نور الدين على محاربة هذا الوزير وبتأثير من شيركوه، اقتنع بالتمهيد للاستيلاء على مصر؛ لأهميتها عند الإعداد لتحرير بيت المقدس، ويبدو أن هذه التدابير قد وصلت إلى مسامع شاور فقام بمحالفة الفرنجة على محاربة قوات نور الدين في مصر، عندئذ أرسل نور الدين مدداً عسكرياً؛ يقوده صلاح الدين، فانسحبت قوات الفرنجة إلى القدس، وتم القبض على شاور حيث قتل بمباركة الخليفة الفاطمي العاضد عام 564هـ/ 1168م، وقام الخليفة العاضد بإسناد الوزارة إلى صلاح الدين، واستطاع صلاح الدين أن يسوس الأمر بحكمة، وتمكن من القضاء على مناوئيه، واستطاع بمساعدة المصريين صد هجوم الملك عموري على مصر، وأمام إلحاح نور الدين قام صلاح الدين بإسقاط الخطبة للخليفة الفاطمي الذي كان على فراش الموت، وخطب للخليفة العباسي، وبعد وفاة نور الدين؛ استطاع صلاح الدين أن يوحد مصر والشام في دولة واحدة، وأن يحرر بيت المقدس.
انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3، ص260، 282 ـ 285؛ ابن شداد: النوادر السلطانية: (مطبعة الآداب، القاهرة، 1317هـ) ص29؛ أبو شامه: الروضتين (دار الجيل، بيروت، د.ت) ج1، ص130؛ علي البنداري: سنا البرق (تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، 1979م) ص19؛ ابن واصل: مفرج الكروب (تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م) ج1، ص155؛ أبو الفداء: المختصر (دار =

المغرب اختلفت الآراء عن أسباب توجيهها، فالفريق الأول من المؤرخين يرى أنها لا تعدو كونها مغامرة ذات مصالح شخصية، ويختلفون في تحديد الشخص المسؤول عن ذلك، فيرى البعض أن الأمير الأيوبي تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين هو الذي أمر قراقوش بالذهاب على رأس طائفة من جنده إلى المغرب للسيطرة عليه(1)، ويحمل فريق آخر من المؤرخين القائد قراقوش مسؤولية هذه الحملة، ومنهم التجاني الذي يرى بأن وحشة وقعت بين صلاح الدين، ونور الدين فخاف صلاح الدين من أن يتحرك نور الدين ويستولي على مصر فأراد صلاح الدين أن يمهد للانسحاب إلى مكان آخر في حالة حدوث ذلك، فرأى أن يكون المغرب أو اليمن هو مكان ملاذه وأشار تقي الدين عمر على عمه صلاح

= المعارف، القاهرة، 1999م، ط1) ص75؛ د. تيسير بن موسى: غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين (الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، د.ت) ص164؛ د. سيده إسماعيل كاشف: صلاح الدين بطل وحدة الصف العربي الإسلامي (عالم الكتب، بيروت، 1986م، ط1) ص29 ـ 30.

(1) عن ذلك يذكر المؤرخ أبو الفداء في تناوله لأحداث سنة 581هـ/ 1185م أن تقي الدين عمر كان نائباً عن عمه صلاح الدين في إدارة ولاية مصر وكان معه الأفضل بن صلاح الدين، فأرسل تقي الدين عمر إلى عمه صلاح الدين يشكو من ابنه قائلاً:

«إني لا أتمكن من استخراج الخراج فإني إذا أحضرت من عليه الخراج وأردت عقوبته يطلقه الملك الأفضل، فأرسل السلطان وأخرج ابنه الأفضل من مصر واقطعه دمشق».

يبدو أن صلاح الدين قد شك في أن لابن أخيه أطماع في تأسيس ملك مستقل في مصر بعد موته فقام بتولية أخيه العادل، وجعله نائبه على مصر، ثم قام باستدعاء تقي الدين من مصر، الذي تردد في المجيء، ونوى اللحاق بقراقوش في برقة، غير أن صلاح الدين استدعاه وولاه على حماه ومنبج والمعره وكفر طاب وميافارقين».

انظر: أبو الفداء: المختصر، ج3، ص90.

وأما المؤرخ العيني فيرى أنه لما فتح شمس الدين الأيوبي اليمن ـ شقيق صلاح الدين ـ وصار نائباً عليها أراد تقي الدين أن يؤسس ملكاً مستقلاً ببلاد المغرب، ورأى أنه من الضرورة أن يستولي على برقة؛ لكي ينطلق إلى بلاد المغرب، فأرسل مملوكه قراقوش من أجل ذلك.

انظر: العيني: عقد الجمان، ج1، ص228 ـ 229.

الدين بأن يذهب إلى بلاد المغرب، غير أن تقي الدين رجع عن عزمه لما عرف من كثرة المهالك في طريق المغرب، بسبب العربان، فاستعفى من ذلك، فقرر القائد قراقوش مملوك الأمير تقي الدين عمر، أن يفر بطائفة من الجند وفر معه القائد إبراهيم بن قراتكين[1]، وأخذ بهذا الرأي ابن خلدون[2]، وابن غلبون[3].

وجاء في الرسالة التي بعث بها صلاح الدين إلى الموحدين مستنصراً إياهم على الوقوف معه ضد الصليبيين سنة 586هـ/ 1190م، ما يؤيد رأي التجاني حيث نفى مسؤوليته عن حملة قراقوش وقراتكين.

«وإن سأل ـ أي: أسامة بن منقذ رسوله إلى الموحدين ـ عن المملوكين يوزبا وقراقوش، وذكر بما فعلا في أطراف المغرب بمن معهما من نفايات الرجال. . . فيعلمهم أن المملوكين ومن معهما ليسوا من وجوه المماليك والأمراء ولا من المعدودين في الطواشية والأولياء، وأن العادة جارية أن العساكر إذا طالت ذيولها وكثرت جموعها خرج فيها وانضاف إليها، فلا يظهر مزيدها ولا نقصها . . ولا يقدر من مثلهما أنه ممن يستطيع نكاية ولا يأتي بما يوجب شكوى من جناية»[4].

وقد استند الأستاذ رشيد الجميلي إلى هذه الرسالة، وعدها دليلاً على عدم مسؤولية صلاح الدين عن تلك الحملة دون أن يقارنها بأية نصوص تؤيد أو تعارض هذا الرأي[5].

ويرى ابن كثير أن هذه الحملة لم تتحرك صوب الغرب إلا برأي من صلاح الدين، وأنه هو الذي أمر قراقوش بذلك، فابن كثير مثلاً يؤكد ذلك أثناء تناوله لحوادث سنة 568هـ/ 1182م أن صلاح الدين أرسل سرية من الجند يقودها

---

(1) التجاني: المصدر السابق، ص111 ـ 112.
(2) انظر: العبر، م6، ص394.
(3) انظر: التذكار، ص65.
(4) أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص171.
(5) انظر: العلاقات السياسية بين الأيوبيين والموحدين في المغرب الأقصى (مجلة المؤرخ العربي، العدد 35، 1988م) ص165 ـ 168.

قراقوش إلى بلاد طرابلس وأفريقية[1]، أما المقريزي فيذكر أن صلاح الدين أرسل عيونه إلى برقة قبل أن يرسل إليها الحملة، فرجعوا إليه يؤكدون عدم وجود قوات موحدية بها، فقرر أن يعقد اجتماعاً بالإسكندرية، مع عدد من الأمراء، أسفر عن القيام بإرسال حملة إلى الغرب على أن يتولاها تقي الدين عمر[2].

ومما يؤكد مسؤولية صلاح الدين عن هذه الحملة أن العماد الكاتب أورد نص الرسالة التي بعث بها نور الدين زنكي بناءً على ما كتب له تابعه صلاح الدين ونائبه على مصر إلى الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله سنة 568هـ/ 1172م، ينبئه بأن عساكره في مصر قد استولوا على برقة، وسيطروا على حصونها ومعاقلها إلى حدود المغرب[3].

ويتضح من ذلك أن ضم برقة كان بناءً على رأي من صلاح الدين وبتأييد من نور الدين، إذ أن صلاح الدين، كان لا يعمل أي شيء إلا بعد مشورة نور الدين، والأخذ برأيه[4].

كما بعث صلاح الدين برسالة إلى الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله سنة 571هـ/ 1175م، يوضح له فيها الأسباب التي جعلته يرسل هذه الحملة إلى المغرب، جاء فيها:

---

(1) انظر: البداية (دار الرشيد، حلب، د.ت) ج12، ص293.

(2) يذكر المقريزي ذلك بقوله: ـ

«فقيل له ـ أي: عن طريق عيونه ـ إن في برقة أموالاً متسعة، وليس بها إلا عربان غير مانعة... وعقد بالإسكندرية مشوراً حضره أبوه نجم الدين أيوب، والأمير شهاب الدين الحارمي، وتقي الدين عمر بسبب المسير إلى بلاد المغرب ومبادرة زرعها قبل حصاده، واستقر الرأي على أن تقي الدين عمر بن شاهنشاه نجم الدين أيوب يتوجه بعسكره ومعه خمسمائة فارس وتقررت أحوالهم في النفقة عليهم على كورة البحيرة».

انظر: السلوك (تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1970م) ج1، ص48.

(3) أبو شامه: المصدر السابق، ج1، ص215.

(4) المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص198؛ البنداري: المصدر السابق، ص114.

«ولنا في المغرب أثر أغرب، وفي أعماله أعمال دون مطلبها مهالك كما يكون المهلك دون المطلب، وذلك أن بني عبد المؤمن قد اشتهر أن أمرهم قد أمر وملكهم قد عمر وجيوشهم لا تطاق، وأمرهم لا يشاق، ونحن نحمد الله قد ملكنا ما يجاورنا من بلاد تزيد عن شهر وسيرنا إليها عسكراً بعد عسكر، فرجع بنصر بعد نصر، ومن البلاد المشاهير والأقاليم الجماهير برقة، قفصة، وقسطيلة، توزر كل هذه تقام فيها الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بأمر الله»[1].

يتضح مما سبق صحة ما ذهب إليه القائلون بمسؤولية صلاح الدين عن هذه الحملة، إذ أن الرسالة نفسها التي بعثها للخليفة العباسي تؤيد ذلك، والرأي الذي ذهب إليه المؤرخ العيني من أن نفس تقي الدين رغبت في الملك بعد أن أسس شمس الدولة لنفسه ملكاً في اليمن، يتعارض مع الواقع التاريخي، إذ أن شمس الدولة لم ينشئ لنفسه ملكاً مستقلاً عن أخيه في اليمن، إنما كان ذلك بناء على أمر من صلاح الدين، وأنه كان نائباً فيها يتصرف برأيه ومشورته[2].

أما بالنسبة إلى رأي التجاني ومن أخذ به من المؤرخين اللاحقين فإنه لا يمكن الاعتماد عليه، إذ لا نجد أحداً من المؤرخين المعاصرين للعهد الأيوبي ـ الذين كان منهم من يعمل في البلاط الأيوبي ـ، يذكر بأن الوحشة التي حدثت بين صلاح الدين ونور الدين قد جعلت صلاح الدين يرسل حملة إلى بلاد المغرب، مع أن بعضهم ربط ذلك بحملة النوبة واليمن، فابن الأثير يقول:

«إن صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون أن نور الدين كان قد عزم الدخول إلى مصر، فاستقر الرأي بينهم أنهم يمتلكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن»[3].

---

(1) أبو شامة: المصدر السابق، ج1، ص242.

(2) المصدر نفسه، ص216 ـ 217 ـ ابن الأثير: المصدر السابق، ج10، ص396.

(3) انظر: الكامل، ج10، ص386.

ويذهب الدكتور عز الدين موسى إلى القول بأن التجاني هو أول من ربط بين حملة قراقوش على برقة بالوحشة التي وقعت بين صلاح الدين ونور الدين، ويرى بأن التجاني بعيدٌ عن هذا الحدث زماناً ومكاناً، إذ أنه توفي مع بدايات القرن الثامن الهجري، وقد عاش في =

ويعد ابن الأثير من أهم المؤرخين المعاصرين للدولة الأيوبية، وهو الذي ربط بين الوحشة التي وقعت بين صلاح الدين ونور الدين وبين سياسة صلاح الدين التوسعية، ولكنه لم يشر إلى حملة صلاح الدين إلى المغرب على أنها كانت ملجأ لصلاح الدين عند تأزم العلاقة مع نور الدين.

ولا يتفق الباحث مع قول التجاني: أن قراقوش وأتباعه إنما خرجوا فارين إلى برقة والمغرب، فإذا كان هذا الرأي منطقياً فكيف يتعارض ذلك مع الخبر الذي أورده المقريزي أن القائد إبراهيم قراتكين أرسل كتاباً إلى مصر يطلب إمداده بالمساعدة جاء فيه: «إنه إذا أنعم عليه بتقوية بلغ أغراضاً بعيدة وسير أموالاً عتيدة»[1] وقد توالت الإمدادات الأيوبية إلى هذه الحملة[2].

أما الرسالة الثانية التي ذكرها أبو شامة وفيها ينفي صلاح الدين أي علم لديه عن هذه الحملة، فهي الأخرى لا يمكن الاعتماد عليها إذ كان هو المخطط لها، والرسالة تحوي ما يفيد بأن صلاح الدين كان يتابع حركات الحملة بالرغم من انشغاله بما يدور في الشام، ويتضح ذلك من خلال حديثه عن قراقوش ويوزبا في هذه الرسالة بالرغم من أن بينهما حوالي اثنتي عشرة سنة، الأولى سنة

= تونس، ولم يذكر الذين أرخوا للدولة الأيوبية من المشارقة شيئاً عن ذلك أمثال ابن شداد، والعماد وأبي شامة مع أنهم تناولوا حملة شمس الدولة على اليمن.

انظر: دراسات في تاريخ المغرب (دار الشروق، بيروت، 1983م) ص20.

(1) انظر: السلوك، ج1، ق1، ص74.

(2) وقد وصلت إمدادات إلى قراقوش سنة 579هـ/ 1183م يقودها شجاع الدين بن شكل، كما وصلته إمدادات سنة 580هـ/ 1184م يقودها القائد يوزبا.

انظر: محمد بن شاهنشاه الأيوبي: مضمار الحقائق (تحقيق د. حسن حبشي، القاهرة، 1968م) ص167.

ويبدو أن بعض الإمدادات كان متواضعاً بسبب انشغال صلاح الدين بعد وفاة نور الدين سنة 569هـ/ 1173م، في ضبط أمور الشام وبمحاربة الصليبيين، وقد علق صلاح الدين على ذلك بقوله: «العمري إن فتح المغرب مهم ولكن فتح بيت المقدس أهم والفائدة به أتم والمصلحة منه أخص وأعم» انظر: أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص70.

568هـ/ 1172م، والثانية 580هـ/ 1183م، هذا من ناحية معرفته بما حققته تلك الحملة من مكاسب وأضرار واضطرابات للموحدين، ولهذا نجده يقلل من أثر تلك الحملة على دولة الموحدين من ناحية أخرى، والرسالة التي أرسلها صلاح الدين مع أسامة بن منقذ للموحدين سنة 586هـ/ 1192م، التي ورد فيها تنصله من أي مسؤولية عن الحملات التي انطلقت سابقاً إلى بلاد المغرب[1] ولكنها لا يمكن أن تمحو ما كتبه إلى الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله سنة 571هـ/ 1175م، التي صرح فيها مباشرة بمسؤوليته عن هذه الحملة في سياق حديثه عن توسعات الأيوبيين في المغرب على حساب الموحدين[2].

إن السبب الذي جعل صلاح الدين يتنصل من تلك المسؤولية سنة 586هـ/ 1192م، هي الظروف التي دعته لمراسلة الموحدين من أجل طلب مساعدتهم عبر البر والبحر للوقوف ضد الصليبيين بعد استرجاعه لبيت المقدس، إذ تكالبت عليه أمم الفرنجة لمحاربته واسترجاع بيت المقدس[3].

نستنتج مما سبق مسؤولية صلاح الدين المباشرة في إرسال هذه الحملة، ومن الأسباب التي دفعته لذلك، الرغبة في تأمين الحدود الغربية لمصر من تطلعات الموحدين التوسعية، إذ أن ابن تومرت خلال رحلته التي قام بها لطلب العلم في بلاد الشرق الإسلامي تمكن من الإطلاع عن كثب على أحوال المسلمين، ومدى تشرذم الدويلات الإسلامية، وضعف الخلافة العباسية في بغداد، وعلى انحطاط أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. لهذا رأى ابن

(1) أبو شامة: المصدر السابق، ج2، ص171.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص242.

(3) عن ذلك يقول المؤرخ أبو الفداء يصف وضع الشام في تلك الفترة بقوله:
«وبلغ المسلمون وصول ملك الألمان، وقد سار من بلاده إلى القسطنطينية، بمائة ألف مقاتل، واهتم المسلمون بذلك، وآيسوا من الشام بالكلية».
انظر: المختصر، ج3، ص99.

تومرت بعد عودته إلى المغرب ضرورة العمل على تحقيق خلافة واحدة تضم عالماً إسلامياً موحداً[1].

وقد ساق ابن تومرت أحاديث موضوعة عن الرسول ـ ﷺ ـ قرأها على أتباعه معلناً لهم بأن الرسول ﷺ تنبأ بدولته التي ستشمل شرق الأرض ومغربها[2]، وقد تطلع خلفاؤه إلى نشر دعوته، كما أنهم رغبوا في تغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في المغرب والمشرق الإسلامي[3]، وقد أشار الرحّالة ابن جبير إلى أن أهل الإسكندرية ومصر وفقهاءها ينتظرون مجيء الموحدين بفارغ الصبر[4].

ومن خلال ما كتبه المراكشي تبين أن فكرة غزو مصر ما فتئت تراود الخليفة أبا يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن إذ يقول عنه: «فبلغني من غير واحدٍ أنه صرح بالرحلة إلى المشرق، وجعل يذكر البلاد المصرية، وما فيها من المناكير والبدع، ويقول نحن إن شاء الله مطهروها، ولم يزل هذا عزمه إلى أن مات»[5].

إن مطامع الموحدين في امتلاك مصر التي يعلمها حتى العوام ـ كانت ولا

(1) د. ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 924 ـ 936هـ (دار المعارف، الإسكندرية، 1985م) ص52 ـ 53.

(2) د. مراجع عقيلة الغناي: سقوط دولة الموحدين (منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م) ص195.

(3) تدل على ذلك القصائد التي مدح بها الموحدين، فالشاعر عبد السلام الجراوي مدح أبا يعقوب بن عبد المؤمن بقوله: ـ

ستملك أرض مصر والعراقا   وتجري نحوك الأمم استباقا

وللشاعر نفسه أيضاً:

سينظم السعد مصر في ممالكه   حتى يدوخ منها خيله حلبا
إلى العراق إلى الحجاز إلى أقصى   خراسان ليتلوا جيشه الرعبا
هو الذي كانت الدنيا   تؤمله وكل بمصر له مازال مرتقبا

انظر: د. رشيد الجميلي: المرجع السابق، ص164.

(4) انظر: رحلة ابن جبير (تحقيق د. حسين نصار، دار مصر، القاهرة، 1992م) ص88.

(5) انظر: المعجب (تحقيق د. محمد زينهم عزب، دار الفرجاني، القاهرة، 1994م) ص235.

شك غير خافية على صلاح الدين الأيوبي، الذي رأى أنه من الضرورة بمكان تأمين حدود مصر الغربية، فقام بإرسال هذه الحملة ليستولي على المغرب الأدنى، ويجعل منه خطاً دفاعياً أمام مشروع الموحدين التوسعي نحو المشرق، ومن خلال الرسالة التي بعث بها صلاح الدين إلى الخليفة المستضيء سنة 571هـ/ 1175م تبين تفطنه لأطماع الموحدين وما قام به من أعمال للحيلولة دون تحقيقها[1].

ويدل هذا على عمق سياسة صلاح الدين الذي دأب على تأمين حدود دولته، إذ أنه أمن حدودها الشمالية والشرقية مع الصليبيين[2]، وأمن حدودها الجنوبية من فلول أنصار الفاطميين الهاربين إلى بلاد النوبة[3]، وكان لزاماً عليه أن يؤمن حدودها الغربية ولذلك فإنه أرسل هذه الحملة إلى تلك الجهة[4].

ولا يستبعد الباحث أن يكون للعامل الاقتصادي دور في تجريد الحملة إذ يذكر المقريزي أن مصر عانت سنة 567هـ/ 1171م من موجة برد شديدة سببت تلفاً لمعظم محاصيلها الزراعية، مما أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية في البلاد[5]، وقد أدت هذه الأزمة بصلاح الدين إلى البحث عن حل لها بسبب كثرة نفقاته، فأخبره رجاله الذين بعثهم إلى الغرب أن ببرقة الكثير من الغلات والمحاصيل الزراعية فقيل له: «إن في برقة أموالاً متسعة»[6].

---

(1) أبو شامه: المصدر السابق، ج1، ص242.

(2) العماد الأصفهاني: الفتح القسي (تحقيق محمد محمود صبيح، الشركة الدولية، القاهرة، 2003م) ص82 ـ 118.

(3) العيني: المصدر السابق، ج1، ص112 ـ 113.

(4) يرى الدكتور مراجع الغناي أن الأيوبيين كانوا على علم بسياسة الموحدين الهادفة للتوسع في العالم الإسلامي، وأن مصر ستكون هدفهم الأول للانطلاق نحو الشرق لذا فإن صلاح الدين رأى أن يستولي على زمام المبادرة بأن يؤمن حدود مصر الغربية.
انظر: سقوط دولة الموحدين، ص198.

(5) انظر: السلوك، ج1، ق1، ص47.

(6) المصدر نفسه، ص48.

فتشاور مع بعض مستشاريه بالإسكندرية وانتهى الأمر به أن تخرج حملة لمبادرة الزرع قبل موعد الحصاد.

ويرى الباحث أنه على الرغم من أهمية هذا العامل إلا أنه يعد ثانوياً؛ لأن حماية حدود الدولة الغربية هو العامل الرئيس في إرسال هذه الحملة.



سير الحملة ونهاية قراقوش

سار شرف الدين قراقوش مملوك الأمير الأيوبي تقي الدين عمر ومعه مملوك آخر يدعى إبراهيم قراتكين سنة 567هـ/ 1172م إلى الغرب، ولما وصلا إلى العقبة[1]، اتفقا على تقسيم الجيش إلى فريقين[2].

ولا تحدثنا المصادر عن الطريق الذي اتخذه قراتكين حتى وصوله إلى طرابلس، بينما تذكر أن قراقوش انحرف بمن معه من العقبة جنوباً، ودخل إلى سنترية ـ واحة سيوة ـ وخطب فيها لصلاح الدين وسيده تقي الدين عمر، وبعث بكتاب فيها إلى تقي الدين ثم سلك الطريق الصحراوي الجنوبي إلى أوجلة[3]. وذلك لقصر هذا الطريق بالنسبة لطريق الشمال، ولوقوع مدينة أوجلة على هذه الطريق في تلك الفترة حسبما يذكر العيني أن القائد قراقوش اجتمع بأحد الرجال من المغرب حدثه عنها، ووصف له كثرة خيرها وغزارة أموالها، وضعف أهلها، ورغبة في الدخول إليها[4].

أحاط قراقوش حركة سيره بنوع من السرية، إذ كان يسير ليلاً، ويكمن نهاراً، لمدة خمسة أيام، حتى وصلا إلى أوجلة، التي استقبله حاكمها، وسأله أن

---

(1) العقبة: العقبة الكبيرة وتعرف بعقبة السلوم.
انظر: الطاهر الزاوي: معجم البلدان الليبية (مكتبة النور، طرابلس، 1968م، ط1) ص328.

(2) ابن واصل: المصدر السابق، ج1، ص236؛ التجاني: المصدر السابق، ص112.

(3) أبو شامه: المصدر السابق، ج1، ص260؛ المقريزي: المصدر السابق، ج1، ق1، ص60.

(4) العيني: المصدر السابق، ج1، ص229.

يقيم عنده، وزوجه بابنته، وطلب منه أن يحميه من غارات الأعراب، على أن يعطيه ثلث ثمار المدينة، فوافق قراقوش على ذلك، وكان نصيبه من هذا المال ثلاثين ألف دينار، أخذ عشرة منها لنفسه، ووزع باقيتها على مرافقيه، ولما سمع أهل مدينة أرزاقية القريبة من أوجلة بصنيع قراقوش مع أهل أوجلة وحمايته لهم من الأعراب أرسلوا إليه ووصفوا له رخاء بلادهم، ووعدوه تمليكه عليهم فأجابهم إلى ذلك، ووكل أحد من رجاله على إدارة أمور أوجلة يقال له صباح، وترك معه تسعة فرسان وتصادف ذلك مع وفاة صاحب أوجلة فوثب أهلها على أصحاب قراقوش وقتلوهم، فرجع قراقوش إلى أوجلة وحاصرها حتى افتتحها، وأوقع عقوبة شديدة بأهلها، حيث قتل منهم سبعمائة رجل، وغنم منهم أموالاً طائلة[1]، وأحكم سيطرته عليها، ثم توجه غرباً واستولى على زويلة وأسر حاكمها محمد بن خطاب وقام بتعذيبه لكي يدله على أموال المخبأة، فمات تحت التعذيب[2].

(1) العيني: المصدر السابق، ج1، ص229.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، م6، ص291؛ ابن غلبون: المصدر السابق، ص66.

بالقرب من طرابلس عقد قراقوش تحالفاً مع قبيلتي دياب ورياح، واجتاحوا المدينة ولم تلبث وفود العربان أن دخلت في طاعته، ثم قرر العودة إلى مصر سنة 571هـ لتخوف جنده من مرض الطاعون الذي انتشر في بلاد المغرب والأندلس، وربما يرجع السبب الحقيقي لرغبته في جلب عدد أكبر من الجند.

عاد قراقوش إلى برقة سنة 573هـ/ 1177م، ونزل بأوجله ثم توجه غرباً إلى أن وصل إلى سويقة بن متكود في شمال غرب برقة، حيث توافد عليه شيوخ دياب مثل حميد بن جارية، وأعطوه مواثيقهم على نصرته وأعلنوا خلعهم لطاعة الموحدين. استطاع قراقوش بمساعدة بني دياب هزيمة الموحدين في موضع يعرف بالسكة سنة 577هـ، وفر القائد الموحدي أبا موسى بن عبد المؤمن إلى القيروان.

ووصلت إلى قراقوش سنة 579هـ/ 1183م إمدادات عسكرية من مصر، وتوافدت عليه القبائل للدخول تحت طاعته مثل بني زغب ونفزاوة وعوف فانطلق إلى مدينة تونس غير أنه لم يتمكن من دخولها.

تحالف قراقوش مع بني غانية على أن تكون البلاد مناصفة بينهم، من بونه غرباً لبني =

اتجه قراقوش من زويلة غرباً إلى طرابلس وأفريقية، ودخل في تحالفات عديدة غير أنه غلب مصلحته الشخصية، ووقع في بعض الأخطاء التي أدت إلى انسحـــابه إلى جنوب غرب برقة حيث لقي حتفه قتلاً في ودان 609هـ/ 1212م[1].

ويرجح الباحث أن الدولة الأيوبية لم تمد قراقوش بأي مدد أو قوات بعد انسحابه من طرابلس واستقراره في ودان بسبب انشغال دولة الأيوبيين بالحروب

= غانية، ومنها شرقاً لقراقوش، فاحتلوا جميع أفريقية فيما عدا تونس والمهدية، لما علم الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب بذلك أرسل جيشاً يقوده يعقوب بن أبي حفص تمت هزيمته بموضع يعرف بعمره، عندئذ قرر الخليفة الخروج بنفسه على رأس قواته إلى القيروان، وفي الحامة تمت هزيمة قراقوش وأحلافه، ثم قام الخليفة الموحدي بدخول قابس ووجد فيها أهل قراقوش فحملهم معه إلى مراكش.

دخل قراقوش بعد هذه المعركة في طاعة الموحدين سنة 583هـ/ 1187م وتلتزم المصادر بالصمت عن أسباب ذلك، وربما يرجع ذلك إلى رغبته في استرجاع أهله ثم لم يلبث أن نبذ طاعة الموحدين سنة 586هـ/ 1190م ودخل قابس ووقع في خطأ فادح عندما أمر بقتل بعض مشائخ الدبابيين مثل طوق المحمودي وحميد بن جارية، مما ألب عليه قبائل بني سليم الذين تحالفوا مع بني غانية، ففر من طرابلس إلى ودان التي استقر فيها إلى أن تم قتله سنة 609هـ/ 1209م.

(1) انظر: ابن شاهنشاه: المصدر السابق ص34 ـ 35، 37 ـ 38، 53 ـ 55، 68 ـ 71، 164 ـ 167، 170، 202 ـ 204، الحموي: المصدر السابق، ج1 ص512، المراكشي: المصدر السابق، ص224 ـ 225، 227، 238، النويري: المصدر السابق، ج28، ص371 ـ 372، ابن خلدون: المصدر السابق م6، ص229، 291، 395 ـ 396، المقريزي: السلوك، ج1، ق1 ص65، العيني: المصدر السابق ج1، ص229 ـ 230، الحميري: المصدر السابق ص587، ابن غلبون: المصدر السابق ص66، 68، الناصري: المصدر السابق، ج2، ص160، محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (لجنة التأليف، القاهرة، 1964م، ط1) ج3، ص145، د. السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص802، علي أحمد: الموحدون وبني غانية (دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان، 31، 32، 1989م) ص195، اتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م (ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1991م، ط2) ص110.

الصليبية[1] وتصارع الأمراء الأيوبيين على السلطة بعد وفاة صلاح الدين سنة 589هـ/ 1193م[2]، يرى السيد عبد العزيز سالم بأن نفوذ الموحدين قد وصل إلى برقة شرقاً[3]، بينما ترى ابتسام مرعي بأن نفوذهم لم يتعد ودان، أما ما يقع وراءها شرقاً فقد ظل تابعاً للأيوبيين، الذين حرصوا على أن تكون برقة تحت تبعيتهم تأميناً لدولتهم في مصر من تطلعات الموحدين التوسعية. كانت برقة في تلك الفترة مجالاً لبني سليم، ليست للموحدين أية سيطرة عليها، وقد استمال بنو غانية بعضاً من أهلها من بني سليم في حروبهم ضد الموحدين[4].

ولا تمدنا المصادر التاريخية بتفاصيل عن الكيفية التي حكم بها الأيوبيون برقة، وربما يرجع ذلك إلى أنهم قد تركوا لأعراب من بني سليم تسيير ذلك، ولم تشهد برقة خلال فترتهم شهرة لأية من المراكز الحضارية الواقعة في شمال الإقليم، بينما كانت أوجلة الواقعة في الجنوب من أهم تلك المراكز والتي ترك فيها قراقوش بعد توجهه غرباً من ينوب عنه في حكمها[5].

(1) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، (مطبعة حداد، البصرة، 1967) م4 ج2، ص70.

(2) ابن العديم: زبدة الحلب، (تحقيق: محمود سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1968) ص132، أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع (نشر عزت العطار، 1974م) ص79، ابن الفرات: المصدر السابق، من 4، ج2، ص70، المقريزي: السلوك، ج1، ص128.

(3) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ج2، ص804.

(4) ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص145.

(5) العيني: المصدر السابق، ج1، ص230.

الفصل الثالث

برقة
خلال العصر المملوكي

أولاً : أسباب ضم المماليك لبرقة.

ثانياً : أعراب برقة وموقفهم من دولة المماليك.

ثالثاً : مدينة أوجلة في العصر المملوكي.

رابعاً : الأندلسيون في برقة.

خامساً: العائلات الطرابلسية واستيطانها في مدينة بنغازي في برقة.

أولاً | أسباب ضم المماليك لبرقة

كان من الطبيعي أن تظل تبعية برقة لمصر، التي استمرت حتى نهاية الدولة الأيوبية، غير أن المماليك البحرية في مصر، انشغلوا في تثبيت دعائم كيانهم السياسي منذ 648هـ/ 1250م، وذلك بالتصدي لمحاولات أيوبي الشام في إعادة الحكم الأيوبي على مصر[1]، والوقوف ضد الغزو المغولي على مصر[2]، كما أن صراعات المماليك على السلطة شغلت حيزاً من الزمن، حتى وصول الظاهر بيبرس إلى الحكم سنة 658هـ/ 1259م، الذي أرسى دعائم الدولة، واتبع سياسة حكيمة مع كبار مؤيديه من أمراء المماليك الذين آزروه في انقلابه ضد السلطان قطز، فوزع عليهم المناصب الهامة، وبذلك ضمن ولاءهم، فساندوه على تسيير أمور الدولة، مما دعم استقرارها الداخلي[3].

وتقرب بيبرس من العامة بأن خفف الضرائب[4]، واهتم بالثغور لمنع الاعتداءات الخارجية وجدد بناء القلاع التي خربها المغول في حمص وحوران، وزودها بالذخيرة والمؤن والجند[5]، وأمر ببناء أبراج لمراقبة الحدود مع

---

(1) المقريزي: المصدر السابق: ج1، ص368 ـ 369؛ بيبرس المنصور: التحفة الملوكية (تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م) ص28.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص428، 431.

(3) د. محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (دار النفائس، بيروت، 1997م، ط1) ص89.

(4) بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان: (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م، ط1) ص13.

(5) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر (تحقيق د. عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976م، ط1) ص93.

الصليبيين لمنع تعديهم على المسلمين، وبنيت بأمره العديد من المنائر التي تربط العاصمة بمناطق الحدود وزودها بالمراقبين والجند[1]. كما قام بتقوية جيوشه لمواجهة أعداء الدولة فعمد إلى شراء المماليك من آسيا الصغرى، وشواطىء البحر الأسود[2]، واهتم بتقوية الأسطول حتى زادت سفن الأسطول المملوكي في عهده على أربعين سفينة[3].

وبعد أن قام السلطان بيبرس بأعماله التي ساهمت في إرساء دعائم الدولة وحماية حدودها الشرقية، كان لزاماً عليه أن يتجه بعنايته إلى حدود الدولة الغربية، والتي تتمثل في برقة التي ظلت سياسياً واجتماعياً امتداداً طبيعياً لمصر حتى نهاية دولة الأيوبيين، وقد لعب العامل السياسي دوراً هاماً في جعل بيبرس يضم هذا الإقليم، إذ تخوف من تطلعات الحفصيين الذين وصلت سيطرتهم حتى حدود برقة الغربية[4]، كما أن العلاقات الحفصية المملوكية سادها بعض الفتور، بسبب تنصيب الحفصيين أنفسهم كخلفاء منذ سنة 652هـ/ 1254م[5].

قام بيبرس بإعادة إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة بأن استدعى أحد العباسيين إليها سنة 659هـ/ 1260م مما زاد في التباعد والنفور مع الحفصيين، ويتضح ذلك من كتابات مؤرخي المماليك التي تقلل من أهمية الخلفاء الحفصيين، إذ يذكر ابن تغري بردى في حوادث سنة 652هـ/ 1254م، أنه قد «وصلت الأخبار من الغرب باستيلاء إنسان على أفريقية، وادعى أنه خليفة وتلقب

(1) القلقشندي: صبح الأعشى (تحقيق د. محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م) ج4، ص445، 447.

(2) القلقشندي: المصدر السابق، ج4، ص457 ـ 464؛ سمير علي الخادم: الشرق الإسلامي والغرب المسيحي (دار الريحاني، بيروت، 1989م، ط1) ص353.

(3) المقريزي: الخطط، ج3، ص315.

(4) هنريكودي اغسطيني: سكان ليبيا (ترجمة وتحقيق د. خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1990) ص9.

(5) القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص121.

بالمستنصر»[1] وقد طعن القلقشندي في صحة نسبهم إلى قريش[2].

ويرى الباحث أن للعامل الاقتصادي دوراً في ضم بيبرس لبرقة، ولا سيما في تلك الفترة، إذ أن دولة المماليك كانت في حاجة لبعض المواد الأساسية التي يمكن الحصول عليها من إقليم برقة مثل الخشب الذي يمكن الحصول عليه من الجبل الأخضر الذي يتميز بغاباته الطبيعية الكثيفة[3]. حيث كانت في حاجة ماسة للخشب لبناء أساطيلها الحربية اللازمة في حروبها ضد الصليبيين[4]، إذ أن أخشاب مصر لم تعد كافية لبناء السفن، فلجأت إلى الاستيراد من بلاد آسيا الصغرى وغرب أوروبا عن طريق تجار البندقية[5]، كما كانت برقة تشتهر بوجود مادة القطران[6] التي تدخل في بناء السفن، وجودة خيولها[7] التي تحتاجها دولة المماليك في حروبها البرية مع الصليبيين والمغول[8].

---

(1) انظر: النجوم الزاهرة، ج7، ص32.

(2) انظر: صبح الأعشى، ج1، ص415 ـ 416.

(3) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص415.

(4) المقريزي: المصدر السابق، ج3، ص315.

(5) ف. هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى (ترجمة د. أحمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991م) ص75 ـ 79؛ آ. أشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى (ترجمة د. عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، 1985) ص387؛ د. نعيم فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (الهيئة المصرية، القاهرة، 1973م) ص249.

(6) بيبرس المنصوري: المصدر السابق، ص50.

(7) د. إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى (القاهرة، الكتاب العربي، 1968م) ص157.

(8) بيبرس المنصوري: المصدر السابق، ص50.

ثانياً أعراب برقة ومواقفهم من دولة المماليك

تشير المصادر التاريخية إلى أن أول اتصال لدولة المماليك بإقليم برقة كان في سنة 662هـ/ 1263م، عندما كلف السلطان بيبرس أحد مشايخ بني سليم ويدعى عطا الله بن عزاز بجباية الماشية والزروع[1].

بهذا الأسلوب الذي اتبعه بيبرس في محاولته الهيمنة على برقة نرى أن سيطرة المماليك على برقة في تلك الفترة كانت لا تتعدى جمع الزكاة والعشور عن طريق مشايخ قبائل مختارين من سلاطين المماليك، وقد قام السلطان بيبرس بإضفاء بعض المظاهر التشريفية على هؤلاء المشايخ إذ أنعم على عطا الله بن عزاز بسناجق وتشريفات[2].

وقد قابل أعراب برقة مسألة دفع الزكاة والعشور للمماليك بنوع من الرفض والمخالفة والاستغراب، ففي سنة 665هـ/ 1247م أرسل بيبرس الأمير جمال الدين السعيدي وابن عزاز لاستخراج زكاة الغنم من عرب الجواشنة في برقة، فاستخرجوها بعد مخالفة ومجادلة[3].

وعلى الرغم من بعض الروايات التاريخية التي تدلنا على مدى سريان أوامر

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص520؛ ابن شداد: الملك الظاهر (فرنز فسيباذ ان، 1983م) ص71.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ج1، ص590؛ ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219.

(3) ابن شافع الكاتب: حسن المناقب (تحقيق د. عبد العزيز الخويطر، مطابع القوات المسلحة، الرياض، 1976م) ص114.

السلطان بيبرس على عربان برقة في تلك الفترة، وذلك عندما أرسل إليهم أوامره بحفر الآبار، وإرسال النجدات إلى تونس 669هـ/ 1270م عندما تعرضت لحملة لويس التاسع[1]، إلا أن أوامر بيبرس كثيراً ما تعرضت للعصيان في برقة، وذلك عندما رفض الأمير بلبوش سنة 671هـ/ 1272م، دفع الزكاة، مما دعا الأعراب الموالين للمماليك إلى مساعدتهم في مهاجمة الأمير بلبوش وهزيمة أتباعه، وأرسلوه أسيراً إلى القاهرة، بعد أن استولوا على سبعين حصناً كانت تابعة له، وقد قام بيبرس بإطلاق سراح هذا الأمير بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق، وأعاده أميراً على برقة، ولكنه لم يلبث أن توفي بعد وصوله إليها[2].

إن فرض سيطرة بيبرس على إقليم برقة كانت على مراحل، فهو لم يفرض سيطرته على هذا الإقليم الواسع في زمن معين، إذ توالت الحملات في عهده التي كان يدعمها الأعراب الموالين له في برقة إلى المناطق التي تمتنع عن دفع زكاة الماشية أو الزروع، أو الأماكن الجديدة التي تضم إلى سيطرة الدولة في برقة، فقد أرسل السلطان بيبرس في جمادى الآخرة سنة 674هـ/ 1275م عطا الله بن عزاز لأخذ زكاة الغنم، ومعه القائد صارم الدين أزبك، وعدد من جند المماليك، فرجعوا إلى مصر ومعهم صاحب مدينة طلميثة يحمل مفاتيحها[3].

يتضح من الأحداث التي وقعت في برقة أن سيطرة بيبرس على برقة كانت بواسطة بعض الأمراء من الأعراب مثل عطا الله بن عزاز، وأنها لم تكن تحت سيطرة الدولة مباشرة، مما جعلها في بعض الأحيان ملاذاً لبعض الفارين من

---

(1) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص373؛ جوانفيل: مذكرات جوانفيل القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام (تحقيق د. حسن حبشي، القاهرة، 1986، ط1) ص310 ـ 313.

(2) بيبرس المنصوري: زبدة الفكرة (تحقيق رونالد. س. ريتشارد، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998م) ص139؛ ابن أيبك كنز الدرر، الدرة الزكية (تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ن، القاهرة، 1972م) ص173.

(3) ابن شداد: المصدر السابق، ص104.

تعقب بيبرس، مثل الأمير علم الدين رضوان الذي يصفه المؤرخ شافع بن علي بقوله: «من أرباب الفتن والعمل على الدول»[1].

وقد تنبه السلطان بيبرس لما يقوم به هذا الأمير من تأليب للأمراء عليه، ولما شعر بنية بيبرس في التخلص منه، فر هارباً إلى برقة، والتحق بعربانها، فأرسل إليه بيبرس، أماناً لكي يعود، فرفض واستمر في كيده لبيبرس حتى انتهى به الأمر قتلاً على يد عطا الله بن عزاز بأمر من السلطان بيبرس[2].

وقد وصف ابن سعيد التجمعات الحضرية في برقة بأنها لا تعدو أن تكون قصوراً متناثرة يقطنها العرب أو تحت خفارتهم[3]، أما العبدري وهو الذي لم تسلم من نقده حتى الحواضر العريقة في العالم الإسلامي، فإنه قد غمط برقة حقها، وركز في حديثه على وصف طريق الحج ومدى جهل أعراب برقة، وبين كيف أنها كانت خالية من أي نوع من العمران والإدارة، وأن الأعراب هم المستحوذون عليها[4].

وخلال عصر السلطان كتبغا (694 ـ 696هـ/ 1294 ـ 1296م) في سنة 695هـ/ 1295م وصلت أنباء إلى مصر من برقة مفادها أن منصور بن روق ـ ربما يكون من أمراء الأعراب ببرقة ـ قد سمح للآباء ببيع أولادهم إلى تجار الفرنج، لعدم مقدرتهم على إعالتهم بسبب المجاعة في ذلك العام، فكلف السلطان كتبغا القائد بيبرس المنصوري بالمسير على رأس حملة إلى برقة، للتأكد من صحة هذا النبأ، غير أن انقلاب الأمراء المماليك على السلطان كتبغا حال دون وصول هذه الحملة إلى برقة، إذ أرسل السلطان الجديد حسام الدين لاجين (696هـ ـ 698هـ/ 1296 ـ 1298م) إلى قائد الحملة يأمره بالرجوع فامتثل للأمر[5].

---

(1) انظر: حسن المناقب، ص98.

(2) ابن شافع: المصدر السابق، ص98.

(3) انظر: الجغرافيا، ص14.

(4) انظر: رحلة العبدري، ص201 ـ 203.

(5) بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، 306.

وقام السلطان حسام الدين لاجين بجباية الأموال من الأعراب والأمراء الذين أقطعهم بعض الأعمال ببرقة[1].

وظلت برقة تحت التبعية المملوكية خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر، وتعد فترة حكم السلطان الناصر قلاوون الثالثة (709 ـ 741هـ/ 1309 ـ 1340م) هي أكثر الفترات في تاريخ برقة توافراً في المعلومات حول علاقتها بدولة المماليك، ولا سيما فيما يخص إرسال التجاريد لجباية زكاة الأغنام والثمار.

فقد أرسل السلطان الناصر قلاوون سنة 719هـ/ 1319م تجريدة عسكرية يقودها الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي ومعه ثلاثمائة من فرسان أجناد الحلقة، وعدد من الأمراء وعربان البحيرة يقودها فائد وسليمان بني مقدم، اللذين أعلما السلطان الناصر بن قلاوون بوجود فرسين عند جعفر بن عمر أحد أمراء برقة، فأرسل السلطان الناصر بن قلاوون في طلبهما فأنكر، فما زالا يوغران صدر السلطان عليه، حتى قام بإرسال هذه الحملة بحجة أن جعفر بن عمر كان يغير على أعراب برقة الداخلين تحت طاعة الناصر، كما أنه كان يمتنع عن إرسال الزكاة[2].

ويبدو أن الأمير جعفر بن عمر كان على قدر من القوة، إذ أن الحملة المرسلة إليه سلكت طريقاً غير معروف، حتى يصل إلى العرب فجأة، وقد استعان قائد الحملة بدليل ماهر، أوصلهم عبر طريق مختصرة إلى مضارب جعفر بن عمر في ثلاثة عشر يوماً بدلاً من شهرين عبر الطريق المعتاد[3].

وصلت الحملة إلى برقة، وعسكرت بالقرب من مضارب جعفر بن عمر، وأرسل قائدها إلى جعفر يدعوه إلى الطاعة، فبعث جعفر بن عمر يعلمه بأنه لا

---

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، ج4، ص115.

(2) اليوسفي: نزهة الناظر (تحقيق د. أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، 1986) ص331؛ المقريزي: المقفي الكبير (تحقيق محمد اليعلاوي، الغرب الإسلامي، بيروت، 1991) ج2، ص337 ـ 338.

(3) المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص338.

يزال على طاعة السلطان، واستفسر منه عن أسباب مجيء هذه الحملة، فأرسل إليه قائد الحملة بأنه يحمل مرسوماً سلطانياً فليأتِ حتى يسمع ما فيه، فواعده جعفر على الحضور في اليوم التالي، إلا أنه لم يأت بنفسه، بل أرسل أخاه وعدد من شيوخ قومه، فأبى قائد الحملة أيتمش إلا حضور جعفر بنفسه[1].

أرسل جعفر بن عمر إلى أعراب برقة يستنفرهم لمحاربة المماليك، ولما بدأت وفودهم تتقاطر إلى مخيمه، تخوف إيتمش من أن يحشد جعفر عدداً من الأعراب لا يستطيع مقاتلتهم، فقرر مبادرة القتال بأن أمر الأعراب الذين رافقوه بالبقاء على الحياد، وأصدر أوامره إلى مائة وخمسين من فرسان المماليك بالمرابطة في أماكنهم حتى يصل الأعراب، وعندما يكونون في مدى الرمي بالنبال يرمونهم بها، وقد قام عرب برقة بشن ثمان هجمات على جند المماليك، انتهت كلها بالفشل، لعدم تكافؤ الأسلحة وطرق التعبئة، فالمماليك كانوا مزودين بالسيوف والأقواس كجنود نظاميين ومدربين، أما الأعراب فقد كان تسليحهم مقتصراً على نوع من الرماح يصل طوله إلى ثماني أذرع مما شكل عائقاً في حركة القتال ومبادرته ويعتمد على الالتحام المباشر القريب، وهذا ما فطن له القائد أيتمش، فأصدر أوامره إلى جنوده برمي العرب بالسهام قبل أن يصلوا إليهم[2].

وبالرغم من قتال العرب عند بيوتهم إلا أن النتيجة كانت حاسمة، إذ قتل العديد من أعراب برقة، وتم أسر أكثر من ستمائة منهم، ويبدو أن الأوامر الصادرة إلى هذا القائد من السلطان الناصر ألا يعتدي على نساء الأعراب، أو أنه كان على جانب من العفة، إذ أصدر أوامره على جنده بألا يقتحموا بيوت الشعر التي تقطنها العرب، ولا يعتدوا على نسائهم، وقام بمعاقبة المخالفين بشق أنوفهم وقطع أيديهم، وانتهت المعركة لصالح المماليك، ولم يمت من جندهم إلا فارساً واحداً وبلغ عدد الجرحى اثني عشر جريحاً.

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص338.

(2) المصدر نفسه، ص339.

ظل أيتمش في برقة ستة أيام، ثم رجع إلى مصر، ومعه غنائمه التي تمثلت في أعداد هائلة من الإبل والغنم، حتى بيع الجمل بمصر من 20 ـ 30 درهماً، ورأس الغنم بدرهم واحد، ولم يعد للصوف والسمن قيمة في أسواق مصر بسبب هذه الحملة[1].

وبعد رجوع القائد أيتمش بجنده إلى مصر، لحق بهم جعفر بن عمر، واستنجد بالأمير بكتمر الساقي، الذي أجاره وأدخله على السلطان، واعترف بخطيئته، وشكا من فائد وسليمان، ويبدو أنه كان مستاءً من تولية عرب البحيرة على برقة[2].

وتوالت الحملات المجردة إلى برقة في عصر الناصر بن قلاوون 720 ـ 726هـ/ 1320 ـ 1325م، التي يقودها أمراء المماليك لجباية زكاة الغنم والماشية والزروع[3].

وقد اختلف النظام الذي اتبعه سلاطين المماليك في إدارة شؤون برقة متبعين نظام الإقطاع، إذ أنها أقطعت لبعض الأمراء من المماليك، ولا تحدثنا المصادر التي أطلعنا عليها إلا على الأمير ناصر بن المحسني، ويبدو أن الأمراء المقتطعين كانوا لا يقيمون بها. إنما يتوجهون إليها في أوقات معينة لجباية زكاة الغنم وعشور الثمار، ثم أقطعت في أغلب الأوقات لعربان مصر من بني سليم،

(1) المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص339 ـ 340.

(2) عن ذلك يذكر المقريزي أن جعفر بن عمر قال للسلطان:
«ما جرت لنا عادة ولا لآبائنا بإعطاء زكاة الغنم، ولا يتجاسر علينا أحد ولولا جراية السلطان، ما طالت أيديهم منا شيء، وها أنا أتيت أطلب العفو من مراحم السلطان وأقوم بكل ما يأمرني به، ولا تحكم العرب في».
انظر: المصدر السابق، ج3، ص37؛ القلقشندي: ضوء الصبح (تحقيق محمود سلامة، مكتبة الواعظ، القاهرة، 1906م، ط1) ص267 ـ 268.

(3) مجهول: تاريخ سلاطين المماليك (تحقيق زيترتشين، بريل، ليدن، 1919م) ص169، 176.

وقد كان الأمير فايد بن مقدم هو المقدم على عربان برقة في عهد الناصر، بينما تولى زعامة برقة مع منتصف القرن الثامن الهجري بني جعفر من بني سليم، ثم انقسمت برقة في عهدهم إلى زعامات صغيرة يتولاها عدد من المشايخ[1].

ويذكر ابن خلدون أن بني سليم في برقة هم أصحاب النفوذ بها، إذ لم يتول أحد في ولاية برقة سواهم، وقد كان يخدمهم البربر واليهود الذين يحترفون التجارة والزراعة[2].

ويعد المؤرخ القلقشندي 841هـ/ 1437م من آخر المؤرخين الذين عاصروا دولة المماليك ذكراً لأسماء مشايخ برقة في ذلك الوقت[3].

كما استغلت دولة المماليك عرب البحيرة في قمع تمرد قبائل برقة في بعض الأحيان، واستعانت بأعراب برقة من أجل تأديب أعراب البحيرة، ففي سنة 819هـ/ 1416م وجه السلطان شيخ المحمودي حملة عسكرية إلى منطقة البحيرة استولت على كثير من الجمال والغنم والبقر والخيل، ثم كتب إلى عرب لبيد من أهل برقة بنزول البحيرة وقتال أهلها[4].

---

(1) يذكر ابن خلدون بني سليم من هيت في برقة بقوله:
«وهم ما بين السدرة من برقة إلى العقبة الكبيرة، ثم الصغيرة للحدود الإسكندرية، فأول ما يلي الغرب منهم بنو أحمد لهم أجدابية وجهاتها وهم عدد ويرجعون إلى شماخ وقبائل شماخ لها عدد وأسماء ولها العز في هيب لكونها حازت المخصب من بلاد برقة مثل المرج وطلميثة ودرنة».
انظر: العبر، م6، ص143.

(2) المصدر نفسه، ص144.

(3) يقول القلقشندي عن ذلك: ـ
«والأمر اليوم في برقة في عمر بن عريف، وهو رجل دين، وكان أبوه عريف ذا دين متين رأيته في الإسكندرية بعد الثمانين والسبعمائة، واجتمعت به فوجدت آثار الخير؛ ظاهرة عليه».
انظر: صبح الأعشى، ج4، ص73.

(4) المقريزي: السلوك، ج4، ص351.

وقد ضعفت سيطرة المماليك على برقة في أواخر عصر دولة المماليك الجراكسة، وامتنع أهلها عن دفع زكاة الماشية، ولم تجد الحملات التي كان يرسلها السلاطين الجراكسة في جعلهم يؤدون ما عليهم بانتظام[1].

ونتج عن ضعف سيطرة المماليك على هذا الإقليم أن أصبح ملاذاً لأعراب مصر الفارين من تعقب المماليك الجراكسة، إذ التجأ إليها بدر بن سلام، زعيم قبيلة بني مقدم السليمية[2].

سيطر أعراب برقة على بعض الأماكن فيها، واستطاعوا تأسيس بعض التجمعات الحضرية التي نشأت في القرن التاسع الهجري/ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، ومن هذه الأماكن درنة التي كانت عبارة عن حصن صغير تسكنه مجموعة من اليهود الذين كانوا يألفون سكن الحصون[3]، تمتعت مدينة درنة بأرض خصبة، وتوفرت فيها مياه عذبة تنحدر إليها من جهة الجنوب من إحدى العيون[4].

واستقرت قبيلة أولاد علي السعادي بالبادية التي تقع بالقرب من درنة، وقد رغبوا في استغلال الأراضي الخصبة في درنة، وتصادف ذلك مع قدوم قافلة من الحجيج الأندلسي إلى درنة فعرض عليهم شيخ أولاد علي أبو هندي البقاء والاستيطان بدرنة، على أن يستغلوا الأراضي الزراعية مقابل أن يتملكوا ثلث أراضي درنة، فوافقوا واستقدموا أسرهم سنة 894هـ/ 1488م[5].

---

(1) عن ذلك يقول ابن إياس: ـ

«كان بها من الأعراب جماعة كثيرة ذو بأس وقوة، وكان سلطان مصر يغزوهم كل وقت، ويخرج إليهم الأمراء والعساكر يحتاطون على أموالهم ومواشيهم ويقتلون منهم جماعة ولا يرجعون على ما هم فيه من الفساد».

انظر: نشق الأزهار (مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، رقم 439 جغرافيا) ورقة 18.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ج3، ص415.

(3) ابن سعيد: المصدر السابق، ص147.

(4) د. طريح شرف: المرجع السابق، ص236 ـ 237.

(5) مصطفى عبد العزيز الطرابلسي: درنة الزاهرة (منشورات جامعة درنة، 1999م، ط1) ص45.

ثالثاً مدينة أوجلة في العصر المملوكي

بدأت مدينة أوجلة[1] تزدهر اقتصادياً بعد تدهور المراكز العمرانية في شمال برقة، وذلك منذ منتصف القرن السادس الهجري، إذ كانت اسماً لناحية تضم مجموعة من القرى[2]، التي يرى الباحث أنها كانت غير متباعدة من ناحية المسافة، وقد اتخذت أسماء حديثة في بداية العصر العثماني في جالو واجخرة[3].

تحدث الإدريسي عن دور أوجلة الاقتصادي، ومزاولة أهلها للتجارة والزراعة، مما يدل على استقرارهم الحضاري[4]، أما ابن سعيد فقد وصفها بأنها عمارة في صحراء تحتوي على مياه ونخيل، وتحت خفارة بني هيب السليميين[5].

ويبدو أن أهمية هذه المدينة ازدادت لا سيما عندما بدأت المراكز الحضارية الأخرى في التدهور حتى منتصف القرن التاسع الهجري[6].

نستخلص مما سبق أن مدينة برقة التي كانت قصبة الإقليم، وأجدابية التي

(1) عن أوجلة يقول الإدريسي: مدينة صغيرة ومتحضرة، فيها قوم ساكنون كثيروا التجارة، وذلك على قدر احتياجهم واحتياج العرب، وهي في ناحية البربر يطيف بها نخل وغلات لأهلها، ومنها يدخل إلى كثير من أرض السودان، نحو بلاد كاوار وكوكو وهي في رصيف طريق الوارد عليها والصادر عنها كثير.

(2) البكري: المغرب (نشر د.ي سلان، صورة بالأوفست عن طبعة الجزائر 1957م) ص12.

(3) محمد مصطفى بازامة: واحات الجنوب البرقي بين الأسطورة والتاريخ (دار الحوار، بيروت 1994م، ط1) ص211.

(4) انظر: نزهة المشتاق، ج1، ص310.

(5) انظر: بسط الأرض (تحقيق د. خوان قرنيط خسين، تطوان، 1958م) ص80.

(6) يصف الإدريسي بعض مدن شمال برقة في عصرة بقوله: =

تميزت بموقعها على طريق القوافل، ظلتا عامرتين حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ثم لم تلبثا أن أخذتا في التدهور التدريجي الذي استغرق قرابة قرنين من الزمن.

= «مدينة برقة مدينة متوسطة المقدار، ليس بكبيرة القطر وليس بصغيرة غير أنها في هذا الوقت عامرها قليل، وأسواقها كاسدة، وكانت فيما سلف على غير هذه الصفة».
انظر: نزهة المشتاق، ج1، ص310.
ووصف مدينة أجدابية بقوله:
«في ضحضاح من حجر مستو كان لها سور فيما سلف، أما الآن فلم يبق فيها إلا قصران في الصحراء».
انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص311 وقد تحدث ابن سعيد عن مدينة برقة فوصفها بأنها كانت قاعدة الإقليم، وقد خربها العرب وقال بأن اسمها في عصره قد أصبح مدينة المرج ونلمس في حديثه تناقضاً واضحاً، إذ كيف يخربها العرب وتظل مدينة باسم جديد هو المرج، ومن المحتمل أن تكون قد تدهورت عمرانياً بسبب بعض الحروب والزلازل التي داهمت الإقليم.
انظر: بسط الأرض، ص80 ـ ابن ايبك، الدر الفاخر، ص102.
أما إجدابيا فلم يذكر عنها ابن سعيد سوى أن المعز الفاطمي صنع بها صهاريجاً للماء وأن الطريق عبرها إلى الفيوم أقصر من طريق الساحل.
انظر: بسط الأرض، ص62.
يبدو أن مدينة برقة تدهورت بعد ذلك إذ لم يذكرها أبو الفداء ت732هـ/ 1331م كمدينة إنما تحدث عن الإقليم بقوله:
«وبرقة ولاية طويلة، وقد استولت عليها العرب وليس بها في زماننا مدينة جليلة ممصرة».
انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان (المكتب التجاري، بيروت، د.ت) ص137.
تطرق العبدري في رحلة إلى الحجاز إلى وصف برقة وأهلها وقد كانت نظرته إلى الأقاليم التي مر بها نظرة الفقيه الناقد لذا أتت ملاحظاته على هذه الأقاليم ناقدة ولاذعة، تحدث عن مدينة برقة قائلاً:
«ليس هناك مدينة تسمى برقة» مما يدل على اندثار مدينة برقة اندثاراً كاملاً، وأما مدينة أجدابية فقد اندثرت إذ يقول عنها العبدري: «هي حُصين (تصغير حصن) قديم على هيئة دار كبيرة عالية ذكر بعض المؤرخين أنه كان بها ماء جارٍ ونخل، وليس هناك إلا قصر ماثل في خلاء من الأرض، لا ماء جار ولا شجرة واحدة».
انظر: رحلة العبدري، ص482.

قد استقطبت أوجلة عدداً كبيراً من سكان مدينتي برقة وأجدابية، بعد أن استحال عليهم البقاء بهاتين المدينتين، بسبب انحسار حركة التجارة بهما، وبداية تحول نمط الحياة فيهما إلى نمط بدوي قليل الاستهلاك، غير مغرم باقتناء الفاخر والكمالي من الأشياء، ولانعدام حالة الأمن التي لا توفر سلامة للفرد الذي لا قبيلة له تحميه، لذلك اتجه إلى الصحراء، أو هاجر إلى بلدان أخرى[1].

وأصبحت أوجلة حلقة الوصل بين شرق الشمال الأفريقي ومغربه، ولا سيما بعد أن فقد المسلمون سيادتهم على جزر المتوسط، وزاد من مكانتها اضمحلال مدينتي برقة وأجدابيا في شمال برقة، فأصبحت أهم مركز عمراني لكونها المكان الوحيد الذي يحوي عمارة في برقة.

إن استقرار جزء من سكان مدن الشمال البرقي في أوجلة لا بد وأن يكون قد نقل معه ثقافاتهم ونمط حياتهم، ويبدو أن أهمية أوجلة هي التي جعلت قراقوش يترك طريق الساحل إلى طريق أوجلة التي مثلت مركز برقة العمراني، وظلت أوجلة مركز الحكم الرسمي لبرقة خلال عصر الأيوبيين والمماليك، وقد استمرت مكانتها بعد ذلك إذ ذكرها ابن مليح الذي دخلها في القرن الحادي عشر الهجري وقال عنها: «إن كبيرها حينئذٍ غائب بناحية برقة في بعض طاعته»[2].

وقد ظلت أوجلة أهم مركز حضاري في برقة حتى قدوم العثمانيين، ويتبين ذلك من خلال حجم الحملة التي جهزها العثمانيون لاحتلالها، فبينما كانت حملتهم إلى مدينة بنغازي في الشمال تتكون من سفينتين وثلاثمائة جندي، نجد أن حملتهم التي أرسلوها عبر الصحراء إلى أوجلة تتكون من ستة آلاف جندي مزودين بالأسلحة النارية والمدفعية وعدداً من محاربي قبائل ترهونة وغريان وبني وليد ومسلاته ومصراتة، وفرقة من الأرقاء الأوروبيين[3].

---

(1) بازامة: المرجع السابق، ص218.

(2) انظر: أنس الساري (تحقيق محمد الفاسي، فاس، 1968م) ص36.

(3) ابن غلبون: المصدر السابق، ص161 ـ 162؛ محمد مصطفى بازامة: بنغازي عبر التاريخ (دار ليبيا، بنغازي، 1968م) ج1، ص252.

رابعاً الأندلسيون في برقة

مع بداية ضعف غرناطة وجنوب الأندلس[1] بدأ المسلمون في المدن التي استولى عليها الإسبان يتعرضون إلى الحرمان من حقوقهم في ممارسة عباداتهم وأعمالهم، ويلقون الكثير من الصلف والعنف، وقد ساعد على ذلك تعاليم جماعة الرهبان والقساوسة، الذين يحملون على الإسلام حقداً دفيناً، مما دعا بعض علماء المسلمين إلى دعوة أهل الأندلس إلى الهجرة، عندما بدأت عمليات الإبادة، وقد كان ذلك قبل سقوط غرناطة، وذلك عندما بدأ الضعف ينتاب الممالك الإسلامية في الأندلس[2]، وكانت تونس من ضمن الأماكن التي قصدها النازحون من الأندلس[3]، وقد خرج من هؤلاء ركب للحج ومروا خلال عودتهم بمدينة درنة في برقة فعرض عليهم أهلها بالإقامة بينهم فأقاموا وكونوا نواة للاستقرار الحضري في المدينة التي لم تلبث أن بدأت في العمران بعد أن زاد

---

(1) مر الوجود العربي الإسلامي في الأندلس بأدوار من القوة والضعف حول ذلك.
راجع: ابن الآبار: الحلة السيراء (تحقيق د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م) ج1، ج2، ص35 ـ 36؛ المراكشي: المصدر السابق، ص18 ـ 19؛ ابن الخطيب: الإحاطة (الخانجي، القاهرة، 1974م، ط1) ص13؛ مجهول: أخبار القصر في انقضاء دولة بني نصر (تحقيق د. حسين مؤنس، الزهراء للإعلان، القاهرة، 1991م، ط1، ص114؛ د. علي مظهر: محاكم التفتيش (مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، 1947م) ص4؛ عادل سعيد بشتاوي: الأندلسيون المواركة (دار أسامه، دمشق، 1985م، ط2) ص32، 34، 35؛ محمد عبده حتامله: محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة (دار الشعب، عمان، 1977م) ص57؛ د. حسين مؤنس: غرناطة تحفة من تحف الفن وعجيبة من عجائب التاريخ (مجلة العربي، العدد 89، الكويت، 1966م) ص74.

(2) مجهول: أخبار القصر، ص114؛ عادل بشتاوي: المرجع السابق، ص90 ـ 91.

(3) بشتاوي، المرجع السابق، ص169.

هؤلاء في نشاطها الاقتصادي، بزيادة رقعة أراضيها الزراعية[1].

كما وصل جماعة من مدينة جيان[2] بالأندلس، واستقروا بضاحية غرب مدينة بنغازي أُطلق عليها جليانة، تحريفاً لاسم المدينة التي جاء منها هؤلاء الوافدين[3].

(1) مصطفى الطرابلسي: المرجع السابق، ص45؛ نيقولاي ايفانوف: الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 ـ 1574م (ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، 1988م، ط1) ص215.

(2) جيان: مدينة بالأندلس كثيرة الخصب رخيصة الأسعار وبها جنان وبساتين.
انظر: الحميري: الروض المعطار، ص183.

(3) د. عبد السلام شلوف: مدينة الوادي (مجلة الثقافة العربية، العدد العاشر، السنة الخامسة، الدار الجماهيرية، مصراته، 1997م) ص86، الطاهر الزاوي: معجم البلدان الليبية، ص110.



العائلات الطرابلسية واستيطانها في مدينة بنغازي في برقة

كانت مدينة برنيق ـ والتي سميت فيما بعد ببنغازي ـ في بداية العهد العربي الإسلامي بلدة صغيرة ذات أطلال أثرية، والعرب هم الذين أطلقوا عليها اسم برنيق بدلاً من برنيكي عندما استبدلوا حرف C اللاتيني بحرف القاف العربي[1].

وقد ذكرها بعض الجغرافيين والمؤرخين المسلمين بهذا الاسم، ومن هؤلاء اليعقوبي عندما تحدث عنها في سياق حديثه عن إقليم برقة: «إن له من المدن برنيق وهي مدينة على ساحل البحر المالح، ولها ميناء عجيب في الاتفاق والجودة تجوز فيه المركب، وبرنيق من مدينة برقة على مرحلتين»[2].

ويؤكد هذا النص على وجود هذه المدينة، ودور مينائها في بقائها، ومن الملاحظ أن بعض الرحالة والجغرافيين من العرب لم يذكروها، ويرجع ذلك إلى انحرافها عن طريق القوافل المعتاد الذي ينطلق من برقة (المرج) إلى أجدابيا، مما جعل بعض الدارسين يرون أنها اندثرت منذ ذلك الوقت، ومن هؤلاء الرحالة والجغرافيين ابن خرداذبة، إذ لم يذكرها في كتابه المسالك والممالك، ويرجع ذلك إلى عدم مروره بها، فهو يصف الطريق الواصل بينهما، وبين أجدابية[3]، ويتكرر ذلك مع قدامة بن جعفر في كتابه الخراج[4]، وابن حوقل في مؤلفه صورة

(1) بازامة: بنغازي عبر التاريخ، ص33.

(2) انظر: البلدان، ص181.

(3) انظر: المسالك والممالك، ص86.

(4) انظر: كتاب الخراج (دار البيان، بيروت، د.ت) ص223 ـ 224.

الأرض[1]، والمقدسي في كتابه أحسن التقاسم[2].

لم تحظ برنيق بزيارة هؤلاء الجغرافيين في القرن الرابع الهجري، مما جعل المؤرخين المحدثين يرون بأن المدينة كانت أطلال وخرائب لمدينة برنيكي القديمة كما لم يذكرها البكري في القرن الخامس الهجري ولم يصف إلا برقة وأجدابية[3] ويقع الجغرافي الإدريسي في الخطأ عندما يتحدث عن تحديد مكان برنيق ويجعلها تقع ما بين برقة (المرج) والإسكندرية[4]، بينما تقع غرب مدينة برقة، ويقع ياقوت في الخطأ نفسه عندما يقول: أنها مدينة بين الإسكندرية وبرقة، وكان ذلك في القرن السابع الهجري[5].

ويرجع وقوع هؤلاء الجغرافيين في هذا الخطأ إلى كونهم لم يزوروا إقليم برقة، بل اكتفوا بالنقل عن زائري تلك النواحي التي تقع المدينة بالقرب منها.

وفي النصف الثاني من القرن السابع الهجري يصفها ابن سعيد في كتابه الجغرافيا بأنها: «على هيئة خليج سماه جون برنيق، ولم يزد على ذلك شيئاً»[6] أما الرحالة العبدري فقد ذكر في رحلته بأن هناك إلى غرب برقة (المرج) أرضاً تسمى برنيق[7].

نجد من خلال ما سبق أن اسم برنيق كان لا يزال يستخدم في أكثر من مصدر معروف على أنه اسم الخليج أو أرض مدينة بالرغم من وجود فاصل زمني، وهذا ما يؤكد استمرار وطبيعة المكان واستمرار وجود الاسم.

---

(1) انظر: صورة الأرض، ص69 ـ 70.
(2) انظر: أحسن التقاسيم، ص225 ـ 226.
(3) انظر: المغرب، ص4 ـ 5.
(4) انظر: نزهة المشتاق، ج1، ص311.
(5) انظر: معجم البلدان، ج1، ص404.
(6) انظر: الجغرافيا، ص146.
(7) انظر: الرحلة، 206.

لم يلبث أن اندثر اسم برنيق الذي كان يطلق على المدينة، وحل محله اسم جديد هو بني غازي، وينسبه أحد الباحثين إلى أحد الرجال الصالحين القادمين إلى برنيق ـ في آخر النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ـ من بلاد المغرب[1].

يرى الباحث أن هذا الرأي يجانب الصواب إذ أن مرسى بنغازي ورد صراحة في المصادر التاريخية المملوكية منذ القرن السابع الهجري[2]، ويرى الباحث أن أصل تسمية بنغازي يرجع إلى الشيخ غازي بن نجم الذي ينتمي إلى إحدى عشائر بني سليم وكان معاصراً للسلطان بيبرس[3].

ويخلص الباحث من كل ما تقدم أن المدينة لم تندثر نهائياً، بل ظلت قائماً، وما التغير في تسميتها من برنيكي إلى برنيق إلا إثبات لوجودها في العصر الإسلامي، ومما يؤيد ذلك العثور على حصون وقلاع إسلامية تم اكتشافها أخيراً[4].

لعبت بنغازي دوراً اجتماعياً وثقافياً في العصر الإسلامي، وكان من سكانها أدباء نسبوا إليها كما أورد ذلك الحموي[5]، ثم لم يلبث أن ضعف مركز المدينة، وذلك ما نلمسه من خلال كتب الرحالة والجغرافيين بسبب بعد الطرق البرية الصحراوية عنها، بينما ذكرت المدن الداخلية مثل برقة وأجدابية وأوجلة، ولا يعني ذلك أن العرب قد دمروا مدن الساحل والثغور في برقة مثل برنيق ودرنة وطلميثة، بل إن هذا التحول يعد ظاهرة عالمية، وهو ما يطلق عليه فترة الانتقال من عصر الحضارة الرومانية والفترات التالية، إذ اتسمت تلك الفترات بهجرة

---

(1) انظر: بنغازي عبر التاريخ، ص242.
(2) بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص50.
(3) المقريزي: البيان والأعراب، ص70.
(4) عمر سليمان صالح: الحركة السكنية في مدينة بنغازي (رسالة ماجستير، جامعة قار يونس، كلية الآداب، بنغازي، 2000م) ص167.
(5) انظر: معجم البلدان، ج1، ص389.

سكان المدن الساحلية لها إلى القرى، وتحول السكان إلى المراكز الدفاعية الحصينة التي يمكن للسكان المزارعين اللجوء إليها عند الحروب[1].

تأثرت بنغازي عندما هجرها الكثير من سكانها عند استقرار الفتح العربي، صوب الداخل حيث الحصون والمراكز الإسلامية التي تمر عليها طرق التجارة بين الشرق والغرب، فازدهرت هذه المراكز الداخلية وقلت أهمية الثغور البحرية لتصبح هذه المدينة مجرد مرسى أو مرفأ، لا بد أن يكون فيه بعض الاستقرار الحضري وإن كان متواضعاً للغاية، وذلك ما يذكره أحد رجال الدين الإيطاليين فرانشيسكو روندي في سنة (597هـ/ 1200م) بأنها أصبحت بلدة ساحلية فقيرة جداً تتكون من مجموعة مبانٍ بسيطة مشيدة بالحجارة والطين، وتنتشر حولها عدة منتجعات لبدو المنطقة[2].

يبدو أن مرسى بنغازي قد مر بعد ذلك بفترة انتعاش تجاري، وذلك ما يثبته وجودها على خرائط الملاحة الأوروبية منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وهذا يشير إلى أن السفن التجارية كانت ترتاد ميناءها من وقت لآخر[3].

كما شهدت مدينة بنغازي قدوم هجرات بشرية جديدة من إقليم طرابلس، تمثلت في عديد من العائلات من تاجوراء وزليطن ومسلاتة ومصراتة، ويبدو أن هؤلاء القادمون الجدد وجدوا ما يشجعهم على الاستقرار والاستيطان بشكل نهائي، إذ اشتغلوا بتجارة الملح حيث كان وقوعها وسط عدد من الملاحات من أهم أسباب استمرار وجود هذه المدينة، وكان لهذه السلعة سوقاً رائجاً في أوروبا، ويرجع قدومهم إلى مدينة بنغازي إلى بداية القرن التاسع الهجري[4].

نستخلص مما سبق أن المماليك قاموا بضم إقليم برقة لأسباب سياسية

---

(1) محمد حماد: تخطيط المدن وتاريخها (مطبعة المعرفة، القاهرة، 1965م) ص143 ـ 147؛ عمر صالح: المرجع السابق، ص167.

(2) Good Child; Benghazi the story of city; Benghazi p: 43.

(3) Ibid: pp: 42-43.

(4) بازامة: المرجع السابق، ص35 ـ هنريكو اوجستيني: المرجع السابق، ص305.

واقتصادية تمثلت في حماية حدود مصر الغربية، والحصول على موارد الإقليم اللازمة بدولة المماليك في تلك الفترة الحرجة من تاريخها ـ فترة الحروب الصليبية ـ كما تبين وقوف الأعراب ضد سلطة المماليك، وتوالي الحملات المجردة من سلاطين المماليك إلى الإقليم، وقد شهدت فترة ضعف المماليك ظهور زعامات بعض المشايخ، الذين استحوذوا على قدر من السلطة، وأصبحت في هذه الفترة ملاذاً من الفارين من تعقب سلاطين المماليك، كما تبين أن مدينة أوجلة شهدت ازدهاراً اقتصادياً وحضارياً خلال عصر المماليك، بعد أن بدأت المراكز الحضرية في أجدابية وبرقة (المرج) في الاضمحلال واتضح الدور الاقتصادي والحضاري، حيث ظهر في مدينتي درنة وبنغازي، بعد أن استقرت بهما هجرات جديدة من الأندلس وطرابلس.

الفصل الرابع

حالة برقة الاقتصادية
من سنة 400 ـ 925هـ/ 1009 ـ 1519م

أولاً : آراء المؤرخين القدامى والمحدثين عن الآثار الاقتصادية المترتبة على هجرة بني هلال وبني سليم إلى برقة.

ثانياً : قوى الانتاج.

ثالثاً : الزراعة.

رابعاً : أهم الصناعات ومراكزها.

خامساً: التجارة.

سادساً: السياسة المالية في برقة.

لمعرفة أثر الأحداث السياسية والاجتماعية، التي شهدها الإقليم على حالته الاقتصادية، رأى الباحث أن يعرض لحالة الإقليم الاقتصادية بشيء من الإيجاز في العصور الإسلامية السابقة.

استقر العرب في برقة بعد فتحهم لها سنة 21هـ/ 642م، وقام أهلها بإرسال خراجهم إلى مصر بأنفسهم، والذي استمر وصوله إلى ولاة مصر، مما يدل على ازدهارها الاقتصادي[1] وتدل وفرة أموال الخراج، على هذا الازدهار والنماء، إذ قدرت قيمة الخراج في عهد هارون الرشيد، بأربعة وعشرين ألف دينار، سوى الأعشار والجوالي، والتي تقدر بخمسة عشر ألف دينار[2] وفي هذا دلالة على مدى اهتمام الولاة والعمال بتنمية موارد الإقليم المختلفة[3].

وحول غنى الإقليم يقول ابن حوقل: «ووجوه أموالها جمة، وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت، ما لا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مغربين ومشرقين»[4].

وقد استعمل أهل برقة في معاملاتهم التجارية في تلك الفترة العملة المتداولة في مصر منذ فتحها وهي العملة البيزنطية[5]، كما أنهم تعاملوا في فترة

---

(1) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص230.

(2) اليعقوبي: المصدر السابق، ص182.

(3) المصدر نفسه، ص181.

(4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص69.

(5) صالح ونيس: العملة العربية في ليبيا من خلال الدينار الأموي من الذهب (مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، طرابلس، 1992م) ص155 ـ 158.

الفتح العربي بالدينار البيزنطي[1] ثم تعاملوا بالدينار الذهبي الأموي، الذي سك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، كما سكت فلوس نحاسية في مدينة برقة في القرن الأول الهجري[2] كما استخدموا السفاتج في إنجاز معاملاتهم التجارية، من أجل المحافظة على أموالهم من اللصوص وقطاع الطرق[3] وعرفوا الأرطال البغدادية في أوزانهم، والقفيز في مكاييلهم[4].

(1) ابن غلبون: التذكار ص10.
(2) صالح ونيس: العملة العربية، ص159 ـ 160.
(3) د. صالح مصطفى: المرجع السابق، ص242.
(4) د. آمال محمد حسن: المرجع السابق، ص179.

أولاً آراء المؤرخين القدامى والمحدثين عن الآثار الاقتصادية المترتبة عن هجرة بني هلال وبني سليم بالإقليم

يرجع أنصار التحليل الشائع، أن التغيير الذي طرأ على الجزء الشرقي من بلاد المغرب، والذي يمتد من برقة حتى أفريقية، أدى إلى تغير الوضع الاقتصادي في تلك المنطقة، من وضع زراعي تجاري مستقر، إلى رعوي[1]، بسبب قدوم الهجرات البدوية من بني هلال وبني سليم، والذي يمثل في أساسه الصراع الدائم بين البدو والحضر.

ومن مؤيدي هنا الرأي غوتيه، الذي يرى أن تاريخ المغرب ما هو إلا صراع مستمر ودائم بين هذين العنصرين اللذين يختلفان في طبيعتهما الاقتصادية والثقافية، وهما لا يتفقان أبداً[2]. ويؤيد شارل أندريه جوليان رأي غوتيه إذ يرى بأن الفوضى والبلبلة التي كانت تعيشها أقاليم المغرب، وعدم وجود حكم مركزي إنما يرجع إلى الصراع بين البدو والحضر، والذي لم يحسم لصالح أحدهما على الآخر[3].

وهناك مستشرقون يرون عكس هذا الرأي، إذ يرى جاك بيرك بأنه لا يوجد ثمة انفصال بين المدينة والبادية وبين فلاح مستقر وآخر رحال، إنما الخلاف على

(1) لمعرفة أحوال إقليم برقة الاقتصادية في العصور الإسلامية السابقة لفترة البحث.
انظر: د. صالح مصطفى، المرجع السابق، ص195 ـ 242، د. آمال محمد حسن: المرجع السابق، ص143 ـ 175.

(2) شارل أندريه جوليان: ماضي شمال أفريقيا، ص285.

(3) المرجع السابق، ص34.

مستوى التركيب والتداخل أي أنهما متداخلتان[1].

ويذهب الدكتور سعد زغلول إلى نفي صفة الديمومة والاستقرار على التقسيم إلى حضر وبدو، ويرى بأنهما صفتان غير مطلقتين، وهما متبادلتان يتغيران من حالة إلى أخرى حسب ظروف المعيشة، ويضرب لذلك مثلاً «أن بعض بطون البرانس تعيش عيشة صحراوية في أعماق الصحراء» مثل مسوفة ولمتونة رعاة الإبل الملثمون، بينما تتميز قبيلة كومية القاطنة بتلمسان بحياة حضرية على قدر كبير من التمدن والرقي[2].

إن وضعية الأرض من ناحية الخصب والجدب، هي التي تفرض على قاطنيها نمط معاشهم وشكل عمرانهم، فالأرض الخصبة تشجع على حياة مستقرة آمنة يزاول أهلها الزراعة والتجارة بينما الأرض المجدبة أو قليلة الخصب فإنها تكون ملاذاً لمربي الحيوانات يرتادونها بقطعانهم مصحوبين ببيوت سهلة التركيب (بيوت الشعر)[3].

يعد القرن الخامس الهجري قرناً حاسماً في بلاد المغرب إذ يعتقد أغلب المؤرخين بأنه شكل حاجزاً بين مرحلتين: اتسمت الأولى بالقوة والنماء، واتصفت الأخرى بالفوضى والتخريب، ويحمل بعض المؤرخين العرب القدامى حدوث هذا التدهور الاقتصادي والسياسي إلى هجرة بني سليم وبني هلال، ومن هؤلاء المؤرخين ابن الأثير والمراكشي وابن خلدون.

يصف ابن الأثير أعمال البدو التخريبية بقوله: «شنوا الغارات، وقطعوا الطرق، وأفسدوا الزروع، وقطعوا الثمار»[4].

---

(1) لمياء محمد سالم: المرجع السابق، ص114.

(2) انظر: تاريخ المغرب العربي (منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979م) ج1، ص88 ـ 89.

(3) د. محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م) ص146.

(4) انظر: الكامل، ج8، ص56.

أما ابن خلدون فقد وصف برقة في تلك الفترة بقوله: «وأما برقة فدرست معالمها فخربت أمصارها وانقرض أمرها وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت داراً للواتة وهوارة وغيرهم من البربر»(1).

ويتحدث النويري عن أعمال بني هلال وبني سليم بقوله: «شرعوا في هدم الحصون والقصور، وقطع الثمار وتعمية العيون وخراب الأنهار»(2).

ويعد ابن خلدون أكثر هؤلاء المؤرخين تحاملاً على البدو، ويرى بأنهم أعداء للتمدن والحضارة وسبب كل تخلف، وتقهقر ألم بالمغرب الأدنى(3) ويرى أن هؤلاء البدو المتنقلين بأنعامهم لا يولون اهتماماً للمؤسسات القائمة، إذ أنهم يستخدمون الحجارة أثافي لقدورهم وأخشابها أوتاداً لخيامهم(4).

وبلغ من احتقار وازدراء ابن خلدون للبدو، أن وصفهم بأبشع الأوصاف، إذ أنه وصف أعمالهم بقوله: «كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا إلى أفريقية»(5).

اعتمد كثير من المستشرقين على رأي ابن خلدون وأحكامه على البدو، مؤكدين على النتائج التخريبية ومسؤولية العرب والبدو في حدوث الأزمة الاقتصادية في القرن الخامس الهجري.

ويعد غوتية البدو مصدراً للتخريب الفوضوي والثورة على الحكم المركزي(6)، كما وصفهم جوليان بالنهابين، ويرى أن الاقتصاد تحول في

(1) انظر: العبر، ج6، ص204.
(2) انظر: نهاية الأرب، ج28، ص347.
(3) انظر: المقدمة، ص166.
(4) المصدر نفسه، ص165.
(5) انظر: العبر، ج6، ص31.
(6) د. عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب (المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م، ط1) ص91.

المغرب من اقتصاد رعوي على أيديهم، بحيث لم تبق الأراضي الزراعية إلا على سفوح بعض الجبال أو بعض النقاط على السواحل[1]، أما أرشيبالد لويس فقد عزا إلى العرب البدو تخريب قنوات وأنظمة الري الرومانية[2].

وقد سار عدد من المؤرخين العرب المحدثين في تناولهم لهجرة بني هلال وبني سليم إلى المغرب الأدنى على درب ابن خلدون، إذ شبه الدكتور حسين مؤنس نزوح العرب الهلالية إلى أفريقية بالطوفان، وقد عزا إليهم التخريب الذي امتد من برقة شرقاً إلى تلمسان غرباً[3] بينما شبه التقى العلوي هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب بغزوات الوندال على شمال أفريقيا[4]. بينما ظهرت بعض الآراء الحديثة عند بعض المؤرخين، ترى أن هذه الهجرة لم تكن السبب في تقهقر المنطقة سياسياً واجتماعياً.

فيرى بعض المؤرخين المحدثين من المستشرقين الذين أخذوا على عاتقهم دحض الآراء التي تجعل من هجرة بني هلال وبني سليم سبباً رئيسياً في تردي أحوال المغرب، فعالم الآثار البريطاني جود تشايلدر المتخصص في دراسة الآثار اليونانية والرومانية في برقة أشار إلى أن الزراعة المستقرة بدأت في التدهور في القرن الثالث الميلادي، بسبب تعسف الرومان في جباية الضرائب، والغزو الوندالي للمنطقة[5]. كما يرى جون بونس أن الاستناد على آراء ابن خلدون ذي الأصل الاستقراطي خطأ فادح لبعده زمنياً عن فترة الهجرة، مما يؤدي إلى حدوث بعض التغيرات التي لا تعزى بالضرورة إلى الهجرة كما رأى أن المؤرخين

---

(1) انظر: تاريخ أفريقيا الشمالية، ج32، ص98.

(2) لويس ارشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط 500 ـ 1100م (ترجمة أحمد محمد عيسى، النهضة المصرية، القاهرة، 1960م)، ص362 ـ 385.

(3) د. حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته (العصر الحديث للنشر، بيروت، 1992م) ص629.

(4) التقى العلوي: أصول المغاربة الهلاليون بالمغربين الأدنى والأقصى (مجلة البحث العلمي، العدد 35، 1985م) ص394.

(5) جوشايلدر. ج.، قورينا وابولونيا، إدارة البحوث التاريخية، طرابلس، 1970، ص38.

المعاصرين لزمن حدوثها لم يتناولوها بنفس الحدة التي تناولها بها ابن خلدون إذ أنهم لم يذكروا أن البدو قد أحرقوا المدن بالنيران، أو قاموا بحرق أشجار البساتين، ويذهب إلى أبعد من ذلك إذ انتقد أراء جوليان وغوتية واتهمهما بالعنصرية[1].

ويتفق كلود كاهين مع رأي بونس عندما يذكر أن تدهور ودمار أفريقية كان قد بدأ قبل قدوم الهلاليين[2]، أما لاكوست فإنه يرى أن الاعتماد على مؤلفات ابن خلدون في دراسة الهجرة الهلالية وآثارها على أفريقية تتنافى مع دراسة التاريخ، إذ أنه لا يقدم تناولاً منهجياً للأسباب العميقة لحدوث الأزمة في المغرب الأدنى، وإنما يصف فقط الاضطرابات، وسقوط بعض المراكز الأساسية، ولم يتناول موضوع الهجرة كمحور أساسي في دراسته إنما عرضه كسبب للفوضى والاضطرابات[3].

برز عدد من المؤرخين العرب المحدثين الذين ذهبوا إلى القول بأن هجرة بني سليم وبني هلال، لم تكن السبب الرئيسي لحدوث هذه الأزمة، إذ يرى الأستاذ عبد الله العروي في تعليله لحدوثها، أن وجود بني هلال وبني سليم لا يختلف عن وجود القبائل العربية بالمنطقة، حيث أن البدو في حاجة دائمة إلى مراع واسعة لمواشيهم، وبسبب محدودية هذه الأراضي في بلاد المغرب، فلا بد للوافد القوي أن يطرد من سبقه إلى المراعي الفقيرة، وفي فترة لاحقة أصبح هؤلاء الرعاة المتنقلون يشكلون خطراً محدقاً بالزراعة، مما نتج عنه تقلص في الأراضي الزراعية، وتحول السكان من سكن الدور إلى سكن الخيام[4].

بينما يرى الأستاذ راضي دعفوس أن هجرة بني هلال وبني سليم لم تكن

(1) لميا محمد سالم: المرجع السابق، ص230.

(2) المرجع نفسه: ص230.

(3) المرجع نفسه: ص232.

(4) عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ص181.

أساساً بدافع ديني، أو لعقاب المعز بن باديس، إنما حدثت بسبب الجفاف والمجاعة التي اجتاحت مصر، وشكلت تهديداً لهذه القبائل في ثروتها الحيوانية[1].

يتفق الباحث مع رأي الأستاذ علي عبد اللطيف أن حدوث الأزمة الاقتصادية في أفريقية جاء نتيجة لتراكم أسباب متعددة، تمثلت في تغير حالة المناخ، وضعف الدولة، بالإضافة إلى تعاقب الهجرات والغزوات، بداية بالوندال الذين وفدوا من أوروبا، ونهاية بمرور الهلاليين الذي يعد إكمالاً للتأثيرات السابقة، وإن الاعتقاد بأن الهجرة الهلالية هي السبب الوحيد ما هو إلا ضرب من الخيال[2].

(1) انظر: العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال (أوراق، مدريد، ابريل، 1981م) ص147 ـ 163.

(2) انظر: المجتمع والدولة، ص39.

ثانياً قوى الانتاج

تأثرت الحالة الاقتصادية بإقليم برقة في القرن الرابع الهجري بالوضع السياسي المتأزم والذي نتج عن رفض أهل الإقليم التخلي عن مذهبهم السني[1]، إذ أنهم رفضوا التبعية للوجود الفاطمي مما أدى إلى قمع حركات تمردهم بقوة وعنف على يد بعض القادة الفاطميين مثل حباسة يوسف الكتامي وابن مدين اللهيصي الكتامي واللذين قاما بمصادرة الأموال وقتل الأهالي الذي أدى إلى آثار سلبية على اقتصاد الإقليم[2]، كما في حين شهد الإقليم جهود بعض الولاة الفاطميين كأفلح بن ناشب الكتامي الذي عرف الإقليم بعض الازدهار في عهده إذ تمثل ذلك في هداياه إلى سيدة المعز الفاطمي[3] واهتمامه بموانئ الإقليم[4] وقمعه لتمرد بني قرة[5].

وقد أثرت الحروب التي شهدها الإقليم بين زناتة وبني قرة[6] على مقدرات الإقليم الاقتصادية لما سببته هذه الحروب في موت المقاتلين من المزارعين والصناع، كما أدت إلى إتلاف المحاصيل والمواشي.

ويبدو أن الإقليم شهد نوعاً من سوء الأحوال الاقتصادية بسبب تعسف

---

(1) د. صالح مصطفى: المرجع السابق، ص147.

(2) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص235 ـ 236، 241، 244، 245 ـ المقريزي: اتعاظ الحنفا: ج1، ص71 ـ 72.

(3) د. إحسان عباس: المرجع السابق ص84.

(4) إدريس عماد الدين: المصدر السابق، ص653، النعمان: المصدر السابق، ص445.

(5) إدريس عماد الدين: المصدر السابق، ص671.

(6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص198.

الولاة في جباية الضرائب، مما خلق جواً ملائماً لأبي ركوة بأن يعلن عن آرائه الصريحة والناقدة لسوء الأوضاع الاقتصادية في الإقليم، وقد جمع حوله عدداً من الأتباع الساخطين على أوضاعهم المتردية، وقد مثل العامة من المزارعين والصناع شريحة كبيرة من هؤلاء، مما أدى إلى تأثر الحالة الاقتصادية ببرقة إذ قلت فيها المؤن[1].

وبسبب الحرب التي شنها المعز بن باديس الصنهاجي على بني زناتة في برقة والتي وصفت بالإبادة، فإن ذلك لا بد وأن يكون قد ترك أثراً سلبياً على الأراضي الزراعية والثروة الحيوانية بالإقليم[2]، كما كان لسياسة السلب والنهب التي قام بها بنو قرة باعتراضهم لطرق التجارة البرية والبحرية ـ إذ لم تسلم من غاراتهم حتى القوافل المحملة بالهدايا المرسلة من المعز الفاطمي أو الواصلة إليه ـ أثراً سلبياً على حركة التجارة في الإقليم[3].

وسبب ضعف الولاة الفاطميين بالإقليم خلال بداية القرن الخامس الهجري إلى عدم استقرار الأمور الإدارية مما أدى إلى تأزم الأوضاع الاقتصادية التي صاحبت زيادة نفوذ بني قرة الذين قاموا بطرد والي مدينة برقة[4].

وقد أدت ـ وبلا شك ـ الحملات المرسلة من الفاطميين لإعادة السيطرة عليه إلى أضرار اقتصادية[5] كما أدى صراع أمراء بني قرة على السيطرة على الإقليم واختلافهم في التبعية للفاطميين إلى سوء الأوضاع الاقتصادية وتدهورها في الإقليم[6].

---

(1) المصدر السابق: نفسه والصفحة ـ المقريزي: المصدر السابق، ج2، ص606؛ يحيى بن سعيد: المصدر السابق، ص189.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص567.

(3) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص362؛ المقريزي: المصدر السابق ج2، ص111.

(4) المقريزى: المصدر السابق، ج2، ص92.

(5) د. إحسان عباس: المرجع السابق، ص126.

(6) المسبحي: المصدر السابق، ص28؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص201؛ ابن ميسر: المصدر السابق، ص12.

من كل ما تقدم نخلص إلى أن الحملات المرسلة وحركات المصادرة وانفلات الحكم المركزي في الإقليم قد أدى إلى سوء الأحوال الاقتصادية من إهمال للزراعة والتجارة، وليس أدل على سوء هذه الأوضاع من أن المواد الضرورية قد اختفت من المدينة أثناء حصار أبي ركوة لها، غير أنه قد مر الإقليم في بعض الأحيان بحالات من الخصب النسبي بسبب وفرة الأمطار وقد ساهم تحول الإقليم إلى سيطرة النظام البدوي إلى ضعف الجهاز الإداري.

كما أن استقرار جزء من بني سليم ببرقة، مصحوبين بأنعامهم، صبغ الإقليم بصبغة رعوية إذ أن هؤلاء البدو يعتمدون في حياتهم على الغنم والإبل، كما أن حياة الدعة والرفاهية التي يحياها الحضر لا تتلاءم مع طبيعة حياتهم، فهجروا المدن ولم يسكنوا فيها فلحق المدن في شمال برقة انحسار وتضاءل لفترة من الزمن لا يعزى إلى قدومهم إذ أن هذه المدن استمرت كمراكز حضارية بعد قدومهم لقرن ونصف من الزمن.

ويرى الأستاذ بازامة أن اللائمة التي تلقى على بني سليم هو أنهم لم يقوموا بأي جهد للحيلولة دون التدهور البطيء الذي ساد مدن برقة، وانعكس سلبياً على النشاط التجاري والصناعي، لعدم إقبالهم على شراء ما يعرض في هذه المدن من سلع، ويعزو ذلك إلى كون البدوي بطبيعته مكتف ذاتياً بالضروريات التي يحصل عليها من أرضه ومواشيه وما يصنعه من نسيج بسيط[1].

إن تحول المجتمع في إقليم برقة ـ بعد هجرة بني هلال وبني سليم إلى المغرب واستقرار بعضهم فيها ـ إلى مجتمع بدوي من الأعراب الرحل وشبه الرحل ذي نمط رعوي لا يتناسب مع زراعة الأشجار المثمرة التي تتطلب الإقامة بل يعتمدون على تربية الأنعام من الإبل والأغنام التي يتنقلون بها باستمرار طلباً للماء والكلأ ومن المعروف أن للبيئة أثراً في تشكيل سلوك الإنسان، فالبداوة عند البرقيين ليست طبعاً أو غريزة بقدر ما هي حالة تتلاءم مع البيئة، ونتج عن

(1) بازامة: واحات الجنوب البرقي، ص234.

الإهمال وعدم استصلاح الأراضي أن تركز النشاط الاقتصادي في أغلب برقة الشمالية على رعي المواشي وبعض النشاط الزراعي الذي يعتمد على الزراعة البعلية[1].

ولما كان اعتماد أهل برقة الشمالية في تربية مواشيهم وزراعة الحبوب على ما يسقط من المطر في مواسم محددة من العام، فإن تأخر سقوط هذه الأمطار كان يسبب القحط والمجاعات التي تؤثر على السكان، وماشيتهم كما أن سقوطها في مواعيدها كان يسبب الخصب والرخاء، ولذلك فإن شمال برقة كان عرضة لأزمات حادة مثل حدوث القحط، وهلاك المواشي، وانتشار الأوبئة، بسبب عدم الانتظام في سقوط الأمطار، ونسوق بعض الروايات عن حالات الخصب والقحط التي مرت بها برقة خلال فترة الدراسة.

ففي سنة 694هـ/ 1294م أجدبت بلاد برقة بسبب عدم نزول المطر[2] مما أدى إلى نزوح جزء كبير من أهلها إلى مصر[3] وازداد الأمر سوءاً عندما تعاقبت سنوات القحط إذ أجدبت برقة في العام الذي يليه 695هـ/ 1295م وهبت خلال هذا العام ريح سوداء أتلفت الزروع قبيل أوان إدراكها ففر كثير من أهل برقة إلى مصر[4].

---

(1) المرجع نفسه، ص235، 236.

(2) يصف ذلك العيني بقوله: «أجدب الوجه الغربي من برقة ولم يصبها شيء من الوابل ولا من الطل ولم يزرع بها ما جل ولا ما قل فهلك أهلها جوعاً وعطشاً».
انظر: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان الحوادث وتراجم (تحقيق د. محمد محمد أمين الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1990) ج3، ص275.

(3) عن ذلك يذكر العيني في حديثه عن حوادث سنة 694هـ/ 1194م.
«وصل من بلاد برقة جماعة كثيرة وقد أثر الجوع منهم في تلك السنة ولا أعشبت أراضيهم ونشفت الأعين ولم يجدوا ببلادهم القوت وهم نحو ثلاثين ألف نفس وأفنى الجوع والعطش جميع ما يملكونه من الأغنام والإبل والمواشي» انظر: عقد الجمان، ج3، ص277.

(4) المصدر نفسه، ص300.

كما أصاب إقليم برقة بمجاعة سنة 696هـ/ 1296م نتج عنها جلاء عدد من أهلها لمصر[1].

اقترن حدوث هذه الأزمات في برقة بظهور الأمراض الخطيرة الناتجة عن نقص الطعام، وقد نقلوا عدوى هذه الأمراض إلى الأماكن التي نزحوا إليها في البحيرة والإسكندرية، كما سبب نزوحهم بأعداد كبيرة إلى مصر حدوث حالات الغلاء[2].

وبسبب اشتداد وطأة المجاعة على أهل برقة فقد اضطر بعضهم إلى رهن أبناءهم عند التجار الصقليين الذين كانوا يجوبون مراسيها بسفنهم المحملة بالقمح، ولا يحصل هؤلاء على القمح إلا بعد عملية الرهن، ويتحول هؤلاء الأبناء إلى رقيق إذا ما عجز آباؤهم عن السداد[3]، بل وذهب البعض إلى أنهم باعوا أطفالهم إلى النصارى في مجاعة سنة 695هـ/ 1265م مما دعا بالسلطان كتبغا لتجهيز حملة إلى برقة للتأكد من ذلك[4]، غير أن قادة الحملة رجعوا بعد أن وصلت إليهم أوامر السلطان الجديد لاجين بالرجوع[5].

---

(1) يقول المقريزي عن ذلك: (وقع غلاء سلطنة كتبغا وذلك أن برقة لم تمطر فقمطت بلادها وجفت الأعين بها وعم أهلها الجوع لعدم القوت فخرج منها نحو ثلاثين ألف نفس بعيالهم وأنعامهم فهلك معظمهم جوعاً وعطشاً».
انظر: أغاثة الأمة، ص32.

(2) يقول العيني عن نزوح جزء من أهل برقة عقيب قحط سنة 694هـ/ 1294م:
«فساقهم القحط والفقر إلى انتجاع مصر فورد الإسكندرية والبحيرة أمم تتجاوز الإحصاء انبثوا في البلاد وجلبوا الوخم إلى العباد ففشت الأمراض وبلغ سعر القمح في القاهرة ومصر مائة وخمسين درهماً نقرة الأردب والشعير مائة درهماً الأردب».
انظر: عقد الجمان، ج3، ص275.

(3) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص65.

(4) العيني: المصدر السابق، ج3، ص319.

(5) بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، من مقدمة الكتاب، ص طـ العيني: عقد الجمان، ص319.

وشهدت برقة خلال العهد المملوكي مجاعات مصحوبة بأمراض أدت إلى القضاء على الكثير من أهلها، كما أن هذه الأمراض التي تشير بعض المضادر إلى شدة فتكها قد هددت المسافرين عبر برقة بالموت(1). وقد أدت أزمات القحط والجدب إلى تهديد حركة المسافرين والتجار المارين ببرقة، إذ كثر قطاع الطرق واللصوص للحصول على الأقوات(2) أو للحصول على ما بحوزتهم أو حتى بيعهم كرقيق للصقليين لفك سراح أبنائهم الذين عند التجار الصقليين(3).

كما مرت ببرقة سنوات خصب ساد فيها الرخاء والأمن، مما انعكس إيجابياً على حركة المسافرين والتجار، فكان لا يعترضهم أي معترض أو قاطع طريق(4).

تسببت الحملات العسكرية التي كان يرسلها السلاطين المماليك إلى برقة بحجة أرغام عربان برقة على استخراج زكاة الماشية(5)، في مصادرة أعداد كبيرة

(1) يشير التجاني إلى أن الأحياء والخيام مضروبة في برقة وجميع من فيها من الرجال والنساء والأطفال موتى انظر: الرحلة، ص191. كما يصف وقوع الموت في الركب الذي كان يرافقه بقوله: «ركبنا فيه ما ينيف على سبعمائة نسمة جازوا من برقة لم يخلص منه حاشا مئة ونحوها.
التجاني: الرحلة، ص191.

(2) عن ذلك يقول التجاني: «جدب برقة وقتنه أهلا بما لا سبيل إلى اجتيازها معه».
انظر: الرحلة، ص191.

(3) الحسن الوزان: المصدر السابق، ص2، ص65.

(4) يصف ابن عبد الظاهر سنة 662هـ برقة وأهلها بقوله: (أنهم يستنتجون الأغنام ويزرعون الزراع.. ومسافة البلاد التي بها الأشجار حوالي عشرة أيام أكبر مدنها المرج وهي ذات مياه ومروج وزروع).
انظر ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219، 415.
يصف عبد الباسط بن خليل مروره ببرقه سنة 781هـ وكيف أن بني لبيد لم يعترضوا الركب بسبب خصوبة أراضيهم «وصلنا إلى عربان لبيد وكانت أرضهم خصبة فلم يعترضوا لنا بسوء».
انظر: الروض الباسم، ج3 ورقة 93.

(5) يرى الأستاذ أحمد صادق سعد أن حملات سلاطين المماليك إلى مصر الغربية وبرقة =

من الماشية، وهو بالتالي ما أدى إلى هدر للثروة الحيوانية لهذا الإقليم[1].

كما وقد أثرت الهجرات البشرية التي استوطنت برقة في فترة الدراسة على النشاط الاقتصادي بإقليم برقة إذ أن استقرار بني سليم في العصر الفاطمي قد صبغ الإقليم بالصبغة الرعوية على حساب النشاط الزراعي[2] كما أن قدوم هجرات بشرية من مدينة الإسكندرية خلال العصر الأيوبي سنة 598هـ/ 1193م واستقرارها ببرقة أدى بالتالي إلى عمران نسبي بها[3] وقد تعرضت برقة لغارات بحرية قام بها الأفرنج على موانيها خلال العهد المملوكي[4]. كما لعب الأندلسيون وقبائل طرابلس دوراً هاماً، في ظهور نوعاً من الاستقرار الحضري والاقتصادي في كل من مدينتي بنغازي ودرنة الواقعتين في شمال إقليم برقة[5].

= كان الغرض الأساسي منها تأمين طريق الذهب الذي يتجه إلى غانة وكانم والذي كان يمر بتلك المنطقة لما للذهب من أهمية أو يعتمد عليها المماليك في سك عملاتهم.
انظر: د. أحمد صادق سعد: تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، ط1. (دار ابن خلدون، بيروت 1979م) ص478، 479.

(1) بلغت الأغنام المصادرة في حملة سنة 719هـ فقط عدد ثمانين ألف رأس.
انظر: ابن دقماق: الجوهر الثمين ـ المقريزي: المقفي الكبير، ج1، ص339.

(2) بازامة: واحات الجنوب البرقي، ص234: لمياء محمد سالم: المرجع السابق، ص264.

(3) عبد اللطيف البغدادي: المصدر السابق، ص146.

(4) يذكر المقريزي في حوادث سنة 825هـ «في شهر شعبان كثر عبث الفرنج بالسواحل هجم في الليل غرابان فيهما طائفة من الفرنج على ميناء الإسكندرية... ثم مضى الفرنج نحو برقة فأخذوا ما قدروا عليه ثم عادوا».
انظر: السلوك، ج4، ق2، ص617.
الغراب نوع من المراكب البحرية القديمة كان معروفاً عند القرطاجيين والرومان وسمي بالغراب لأن مقدمته تشبه رأس الغراب وكان لهذا النوع من السفن مهمات كثيرة أهمها الاستطلاع والتجسس.
انظر: إبراهيم حسن سعيد: البحرية في عصر سلاطين المماليك (دار المعارف الإسكندرية، 1983م) ص233.

(5) محمد السنوسي الغزالي: السبك الحديث في تاريخ برقة القديم والحديث (مطبعة =

ولسوف نوضح حالة الاقتصاد في الإقليم بدراسة قوى الانتاج من زراعة ورعي وتعدين وصناعة وتجارة داخلية وخارجية.

= الإخوان المسلمون، القاهرة، 1939م) ص177، محمد الطيب الأشهب: برقة العربية أمس واليوم، (مطبعة الهواري، 1946)، ص30، 33 نيقولاي ايفانوف: الفتح العثماني للأقطار العربية، ط1 (ترجمة يوسف عطا الله دار الفارابي: بيروت)، ص215.

ثالثاً الزراعة

ـ وضعية الأرض وعلاقات الانتاج:

قبل البدء في تناول حالة الزراعة في الإقليم، لا بد من معرفة أشكال الملكية لما لها من أثر وثيق الصلة بحالة الاقتصاد، وقد قام الفاطميون بإسناد مهمة جمع الخراج بالإقليم إلى الولاة، ويبدو أن ولاتهم قد تعسفوا في جمع الخراج والضرائب، إذ أن أبا ركوة قد استغل ذلك فقام بالإفصاح عن آرائه المتمثلة في رفع الظلم والمجاهرة بالحق، ووقوفه ضد والي المدينة صندل الأسود، فاستقطب العامة مما يدل على تردي أوضاعهم الاقتصادية، وبعد نجاح حركة أبي ركوة في السيطرة على أمور برقة، أصبح هو المتحكم في ثروات الإقليم، إذ جعل لنفسه ثلث الغنائم بينما جعل الثلثين الباقيين لبني قرة وزناتة[1]. ويدلنا اختلاف المؤرخين حول تعرض أتباعه لأرزاق أهل برقة وأنعامهم من عدمه، في أن بعض من أتباعه قاموا بالاستيلاء على أرزاق أهلها[2]. ويبدو أن عامل الطمع كان من وراء كثرة أنصار أبي ركوة إذ أنه مناهم بأنه سيقطعهم الأراضي في مصر مثل المحلة وتنيس[3] وهذا ما يمدنا بإشارة عن تطبيقه **لنظام الإقطاع** في إقليم برقة، مع وجوه إتباعه من ابن قرة وزناتة.

لم يستطع الولاة الفاطميون البقاء في إقليم برقة بسبب ازدياد هيمنة بني قرة

---

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص199.

(2) عن ذلك انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها ـ يحيى بن سعيد المصدر السابق، ص189.

(3) المقريزي: المصدر السابق، ج2، 62 ـ 63.

على مقدرات الإقليم، ويرجح الباحث بأن بعض زعمائهم قد تمتع بملكية أراضي واسعة، إما بسبب ما قدموه من خدمات للفاطميين مثل مختار بن القاسم القري[1]، ومقرب بن ماضي[2]، وبمجيء بني سليم إلى الإقليم واستقرارهم به مارسوا نوعاً من **الملكية العامة** للأراضي إذ تقاسموا أراضيه حسب عشائرهم واستولوا على معظم أراضيه الخصبة[3]، وإن ظلت بقية من البربر في بعض النواحي محتفظة بأراضيها لبعض الوقت[4]، ومن المرجح أن شمال إقليم برقة عرف **نظام الإقطاع** خلال عهد الأيوبيين إذ لا تمدنا المصادر عن وضعية الأرض في شمال الإقليم، غير أن الباحث يرجح بأنه قد أقطعها لبعض المشايخ من بني سليم، كما هو الحال في أقطاع السلطان لإخوتهم السليميين المقيمين في مصر من الصحراء الغربية حتى العقبة[5]، أما جنوب الإقليم فقد أخضعه القائد قراقوش واستولى على مدنه الهامة أوجلة وزويلة وودان باسم صلاح الدين، ويرى الباحث أن القائد قراقوش قد أخضع هذه المدن لنظام الإقطاع، إذ تركها لبعض أتباعه يحكمونها كمقطعين كما فعل مع مدينة أوجلة[6]، كما أعطى بعض قادته أراضي إقطاعية: إذ منح القائد ابن شكل أراضي بسويقة بن متكود غرب برقة[7].

عندما قام السلطان بيبرس بضم برقة سنة 662هـ/ 1263م أقطعها للشيخ عطا الله بن عزاز أحد مشايخ سليم بمصر، على أن يقوم باستخراج زكاة الغنم

---

(1) المسبحي: المصدر السابق، ص28.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص201.

(3) ابن خلدون: العبر، ج2، ص619 ـ المقريزي: البيان والإعراب (تحقيق عبد المجيد عابدين، عالم الكتب القاهرة، 1961، ط1) ص71 ـ 72.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994، ج1)، ص313.

(5) إبراهيم علي طرخان: النظم الإقطاعية (دار الكاتب العربي القاهرة، 1968م)، ص155.

(6) ابن خلدون المصدر السابق، ج6، ص291؛ العيني: المصدر السابق، ج1، ص229 ـ 230.

(7) ابن شاهنشاه: المصدر السابق، ص164 ـ 197.

«العداد» والعشور من التجار[1]، على أن يكون له الثلث من متحصلاتها[2].

كانت مهمة المقطعين من قبل السلاطين دفاعية وجبائية، أي محاربة الأعداء وحفظ الدروب، وإلزام العربان بدفع ما عليهم من ضرائب[3] وكثيراً ما تعسف الموكلين عن المقطعين في جباية الزكاة والعشور، مما أدى إلى ثورة العربان وامتنعوا عن دفع الزكاة، فأرسل إليهم السلطان بيبرس العديد من الحملات، من أجل إخضاعهم[4] ويبدو أن إقطاع بعض سلاطين المماليك للإقليم لبعض مشايخ سليم بمصر قد أثار سخط أخوتهم المقيمين ببرقة، إذ إن الأمير جعفر بن عمر أعلن سخطه على تولي أمور الإقليم لفائد وسليمان بن مقدم لأمور جباية الزكاة ومنع دفع زكاة أمواله سنة 719هـ/ 1319م حتى قام السلطان الناصر قلاوون بإرسال تجريدة من المماليك وعربان مصر إلى برقة[5].

كما وقد أسند بعض سلاطين المماليك مهمة الإقطاع في برقة في بعض الأحيان إلى أمراء المماليك مثل محمد بن المحسني وإياس الصرغمتشي خلال عصر الناصر قلاوون[6] كما ألحقت مهام إقطاع برقة إلى والي الإسكندرية خليل بن عرام في عهد السلطان حاجي بن شعبان 790 ـ 792هـ ـ 1388 ـ 1389م[7].

وبدءاً من منتصف القرن الثامن الهجري يتولى مهمة الإقطاع في الإقليم

---

(1) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219.
(2) طرحان: المرجع السابق: ص157.
(3) ابن شافع الكاتب: الفصل المأثور (الأكاديمية الشرقية، وارسو، 2000) ص424.
(4) جهزت حملة إلى برقة سنة 665هـ/ 1266م لإرغام الجواشنة من بني سليم بدفع العداد. انظر: شافع بن علي: حسن المناقب، ص86.
(5) المقريزي: المقفى الكبير ج2، ص339 ـ 340، ج3، ص37 ـ القلقشندي: ضوء الصبح (تحقيق محمود سلامة، مكتبة الواعظ، القاهرة، 1906، ط1) ص267 ـ 268.
(6) العمري: مسالك الأبصار، ص163.
(7) طرخان: المرجع السابق ص81

مشايخ من بني سليم المقيمين به مثل عريف بن عمر وابنه عمر بن عريف وقد ذكرهما القلقشندي فوصف عريف بأنه كان على دين وتقوى وإنه قد اجتمع به في الإسكندرية بعد الثمانين والسبعمائة من الهجري/ أواخر القرن الرابع عشر الميلادي[1] ويعد القلقشندي من آخر مؤرخي دولة المماليك ذكراً لأسماء مشايخ برقة في ذلك الوقت. ولما ضعفت واضمحلت سلطة المماليك على الإقليم قام الإعراب من سليم بجباية متحصلات الأراضي الزراعية والأغنام من القبائل المستضعفة من عرب الفتح، أو بقايا البربر واليهود[2].

نستنتج مما سبق إن ملكية الأرض في هذا الإقليم، **كانت عامة** منذ مطلع القرن الخامس الهجري إذ أن قبيلة بني قرة استحوذت على جزء من الأراضي الخصبة وظلت بها حتى بداية قدوم بني سليم إلى الإقليم[3]، وقد تملك بعض البربر المتعربين مساحات من الأراضي الزراعية حتى نهاية العصر الفاطمي[4]، ثم لم يلبث أن تغير الوضع بأن استحوذت قبائل سليم على الإقليم بكامله ووزعته على بطونها وعشائرها على شكل ملكية عامة، بينما قام المزارعون القدامى من البربر الذين تعربوا أو اليهود بالأعمال الزراعية[5].

وقد تطلعت قبائل بني سليم في آخر العصر الفاطمي إلى السيطرة على أوجلة في جنوب الإقليم وربما يرجع ذلك إلى دور أوجلة التجاري ووفرة تمورها[6]، ولا تمدنا المصادر بأية معلومات عن وجود الملكية الخاصة في شمال الإقليم للأراضي، إلا أن الباحث يرجح بأن بعض زعماء بني قرة كانت

(1) انظر: صبح الأعشى ج4، ص73.
(2) أبو الفداء: المصدر السابق، ص148 ـ 149 ابن خلدون المصدر السابق، ج6، ص144.
(3) البرغوثي: المرجع السابق، ص256 ـ 257.
(4) الإدريس: المصدر السابق، ج1، ص313.
(5) ابو الفداء: المصدر السابق، ص148، 149، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص144.
(6) ابن حوقل: المصدر السابق، ص69، 70.

لديهم بعض الأراضي الزراعية والمراعي الخاصة. أما في جنوب الإقليم فقد ظهرت ملكيات خاصة في أوجلة وزويلة بينما لا تمدنا المصادر التاريخية بشيء عن اسم حاكم أوجلة، تتحدث عن قيام كيان سياسي صغير في زويلة لبني خطاب الهواريين، وقد انتهت هذه الأسرة بدخول الواحات الجنوبية من إقليم برقة تحت حكم الأيوبيين، وقد أسند قراقوش أمور أوجلة وزويلة لمقطعين[1] كما أقطع بعض قادته مثل ابن شكل بإقطاعات واسعة في سويقة بني مطكود[2].

وخضعت أراضي برقة لنظام الإقطاع خلال عصر المماليك إذ يقوم المقطع بجباية الزكاة والعشور والمكوس لقاء حصوله على الثلث[3]. وقد قام عربان برقة بالوقوف ضد تعسف الموكلين في جباية الضرائب[4].

لم تؤول الأراضي في برقة إلى الملكية المباشرة من المماليك إلا عن طريق المقطعين من أمراء المماليك أو مشايخ بني سليم ووكلائهم، وقد أشار ابن دقماق إلى قيمة ما كان يتحصل عن طريق زكاة العداد وعشور الثمار بقوله: «عن ما يثبت عن مصالحه الثمار عبرتها ألف وثمانمائة دينار مقرر المحاريث والبقل. عبرتها أربعمائة وأربعون ديناراً»[5].

وبعد تقلص نفوذ المماليك على إقليم برقة أصبحت القبائل السليمية هي المهيمنة على ملكية الأرض.

---

(1) ابن خلدون المصدر السابق: ج6 ص291، العيني المصدر السابق، ج1 ص229 ـ 230 ابن غليون، المصدر السابق، ص66.

(2) ابن شاهنشاه: المصدر السابق: ص164 ـ 167

(3) طرخان: المرجع السابق، ص157.

(4) يصف أحد مؤرخي العصر المملوكي ذلك بالفساد: «كان بها من الإعراب جماعة كثيرة ذو بأس وقوة... ويخرج إليهم الأمراء والعساكر يحتاطون على أموالهم ومواشيهم ويقتلون منهم جماعة ولا يرجعون على ما هم فيه من الفساد».
ابن إياس: المصدر السابق (مخطوط) ورقة 18.

(5) انظر: الانتصار، ج5، ص115.

نخلص إلى أن ملكية الأرض في برقة تمثلت في الارستقراطية الحاكمة أو المهيمنة بدء من بني قرة وبعض زناتة ثم بني سليم، وبعض من القادة الأكراد التابعين لصلاح الدين والمقطعين من قبل سلاطين المماليك، ثم انفراد قبائل بني سليم بملكية الأرض، بينما قامت الفئات الأخرى من البربر واليهود بخدمة الأرض.

علاقات الانتاج:

وهي أنواع الاستغلال الفلاحي، ولا تمدنا المصادر التاريخية والجغرافية والفقهية بمعلومات عن ذلك في الإقليم خلال فترة الدراسة، غير أنه يبدو أن النمط السائد هو نظام الشراكة حسب المرابعة[1]، حسب ما كان سائداً فيما بعد في الإقليم خلال العهد العثماني[2] ويذهب الباحث إن هذا الوضع قد ظهر بجلاء بعد أن سيطرت قبائل بني سليم على الإقليم، ولطبيعتهم البدوية، فقد انصرفوا إلى رعي قطعانهم، بينما قام البربر المتعربون، أو بقايا عرب الفتح باستصلاحها مقابل الحصول على ربع الغلة. كما عرف الإقليم نوعاً من المغارسة بالمثالثة، وتنص على أن يمتلك المزارع ثلث الأرض مقابل استصلاحها، مثلما قامت بين الشيخ هندي أحد مشايخ السعادي السليميين ببرقة وبين الأسرة الأندلسية سنة 894هـ/ 1488م حيث يقوم هؤلاء باستصلاح الأراضي القابلة للزراعة، على أن يملكوا ثلثها، وهذا ما جعل هؤلاء يستقرون كملاك في أراضيهم ويشكلون مع الزمن بؤرة لتجمع حضري جديد[3].

---

(1) أقر فقهاء المالكية نظام المرابعة كشكل من أشكال الشراكة وهو استغلال الأرض في مقابل الحصول على ربع الغلة.
الأجهوري: رسالة في المغارسة (مخطوط. بالهيئة المصرية العامة للكتاب، رقم 36، فقه مالك) ورقة 3.

(2) محمد محمود عبد الله: واحة اوجلة وتجارة القوافل خلال القرنين الثامن والتاسع عشر. (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قاريونس) ص38.

(3) الطرابلسي: المرجع السابق، ص45.

الانتاج الزراعي والرعوي:

توافرت في إقليم برقة المقومات الطبيعية والبشرية اللازمة للزراعة، فقد تم زراعة عدد من المحاصيل الزراعية سواء البعلية أو التي كانت تروى بمياه الآبار والعيون. وقد اشتهرت بعض الجهات من إقليم برقة بخصوبة أراضيها(1) ولأهمية الغلال إذ أن عليها اعتماد الناس في غذائهم وغذاء مواشيهم(2) ويعد القمح من أفضل أصناف الحبوب(3) وقد قامت زراعة هذا المحصول الذي يحتاج إلى كميات أعلى من المياه في شمال برقة حيث ترتفع معدلات سقوط الأمطار(4) حول مدينتي المرج وطلميثة(5) ويرجح الباحث استغلال أهل برقة لصهاريج الأرضية التي تعود إلى العصر الروماني في ري بعض المحاصيل الزراعية وفي المنطقة الساحلية الواقعة حول مدينة بنغازي(6) كما يزرع بالقرب من مدينة سرت على مياه الأمطار(7) ويزرع أيضاً في بعض المناطق رياً على مياه الآبار ولكن على نطاق محدود(8) كان الشعير يزرع بالقرب من مدينة برقة(9)

---

(1) الغمري: المصدر السابق: ص163.

(2) الطغندي: زهر البستان (مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم 6 زراعة) ورقة 200.

(3) المخطوط نفسه ونفس الورقة.

(4) د. شرف: المرجع السابق، ص114، 115.

(5) الأدريسي: المصدر السابق، ج1، ص311؛ العمري: المصدر السابق، ص163.

(6) الورثلاني: المصدر السابق، ص610، وصف الرحالة ابن عابد الفاسي الأراضي الزراعية الواقعة حول بنغازي بقوله: «وأرضها أرض حراثه».
انظر: رحلة ابن عابد الفاسي، (مخطوط) ورقة 82.

(7) يصف الورثلاني سرت بقوله: «وبلاد سرت من أخصب البلاد وأمراها، ذات مراع كثيرة البعل بالمطر». انظر: المصدر السابق، ص217.

(8) يذكر الحميري أجدابية بقوله: «مدينة في حيز برقة. . . وليس بها ماء جار وإنما مياههم من المواجل والسواني التي يزرعون عليها الشعير وقليل من الحنطة».
انظر: المصدر السابق، ص11.

(9) الأدريسي: المصدر السابق، ج1، ص311، محمد بن سباهي: المصدر السابق: (مخطوط) ورقة 187.

وأجدابية[1] وبنغازي[2] وزرعت الذرة في الواحات الجنوبية من الإقليم في أوجلة وودان[3] حيث كانت تسقى بمياه الآبار[4] وزرع محصول الذرة بمدينة درنة في شمال إقليم برقة، بالإضافة إلى محصولي الدخن والبرسيم[5] ويرجح الباحث أن الأندلسيين هم الذين ادخلوا زراعة الذرة والدخن والبرسيم، لا سيما أن المصادر العربية لم تشر إلى زراعة هذه المحاصيل في برقة الشمالية قبل قدوم الأندلسيين.

بالإضافة إلى ذلك فقد انتشرت زراعة النخيل في شمال الإقليم في مدينة أجدابية وسرت[6] وتاورغا[7] ومصراتة[8] وزليطن[9]. كما انتشرت في الواحات الجنوبية حول مدينة أوجلة[10] وامتازت مدينة ودان بجودة تمورها[11] وقامت

(1) الإدريسي: المصدر السابق، ج1 ص311، الحميري: المصدر السابق، ص8.

(2) الورثلاني: المصدر السابق، ص610.

(3) المقريزي: جنى الأزهار، المصدر السابق، (مخطوط) ورقة 24.

(4) البرتلي: المصدر السابق (مخطوط) ورقة 22.

(5) د. عبد السلام شلوف: مدينة الوادي (مجلة الثقافة العربية العدد العاشر، الدار الجماهيرية، مصراته، 1997م) ص86.

(6) البكري: المصدر السابق: ص5، 6.

(7) يذكر الحسن الوزان تاورغا بقوله: «مكان مسكون توجد به ثلاثة قصور وبعض القرى مع نخيل كثير».
انظر: وصف أفريقيا ص145.

(8) وعن النخيل في مصراته يتحدث ابن سعيد بقوله: «قصور مصراته تمتد 12 ميل على زيتون ونخيل». بسط الأرض، ص80.

(9) يصف الوزان نخيل زليطن بقوله: «منطقة مسكونة على شاطئ البحر المتوسط حيث القصور العديدة والنخيل الكثير».
انظر: وصف أفريقيا، ص146.

(10) البكري: المصدر السابق، ص12 ـ الأدريسي: ج1 المصدر السابق، ص312، المقريزي: جنى الأزهار: المصدر السابق (مخطوط ورقة 24).

(11) الأدريسي: المصدر السابق، ج1، ص312 ـ ابن الأثير: تحفة العجائب (مخطوط) ورقة 147 ـ ابن سعيد: المصدر السابق، ص61.

زراعة النخيل في برداوة (الكفرة)[1]، وفي زويلة[2].

وقد انتشرت زراعة بساتين الفاكهة، في إقليم برقة إذ وصف البكري مدينة الرمادة بقوله: «حولها بساتين بأنواع الثمار»[3] كما زرعت بساتين الفاكهة المختلفة مثل الجوز والأترج والسفرجل حول مدينة برقة ومسوس[4]، أما ودان فقد اشتهرت ببساتين التوت والتين[5]. ويرجع للأندلسيين الفضل في إدخالهم لأنواع جديدة من البساتين والفاكهة إلى الإقليم، مثل الكمثري والمشمش والرمان والعنب والليمون والبرتقال والتفاح والخوخ واللوز والموز[6]، كما أدخلوا نظام زراعة المدرجات على ضفاف وادي درنة، وتوسعوا في زراعة الكروم المعلقة على عرائش من الخشب[7]، كما أدخل اليهود الرذانية[8] زراعة التوت إلى مدينة درنة[9].

كما زرع الزيتون في إقليم برقة، ولا سيما حول مدينتي برقة وطلميثة، وعن ذلك يذكر العمري: «إن في جبال برقة أشجاراً مثمرة من الزيتون»[10].

(1) الوزان: المصدر السابق، ج1، ص155.
(2) البكري: المصدر السابق، ص10، 11.
(3) البكري: المصدر السابق، ص4.
(4) المصدر نفسه، والصفحة.
(5) الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص312، ابن الأثير: المصدر السابق (مخطوط) ورقة 147، المقريزي: المصدر السابق (مخطوط) ورقة 24، ابن إياس: المصدر السابق (مخطوط)، ورقة 165.
(6) الطرابلسي: المرجع السابق، ص259، 260.
(7) عبد السلام شلوف: المرجع السابق، ص86 ـ عبد اللطيف سليمان الساقزلي، ليبيا الثورة (جامعة القاهرة، 1389هـ) ص11.
(8) اليهود الرذانية: هم طائفة من التجار اليهود الذين يجوبون الشرق والغرب لمزاولة التجارة ويتميزون بإجادتهم لعدد من اللغات. انظر: سمير علي الخادم، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، ص30، 31.
(9) عطا أبو رية: اليهود في ليبيا وتونس والجزائر (بتراك، القاهرة، 2005) ص192.
(10) العمري: المصدر السابق، ص166.

وبسبب وفرة الأشجار في برقة فقد قدر محيي الدين بن عبد الظاهر المساحة التي تشغلها الأشجار ببرقة بمسافة عشرة أيام[1] ويرى الباحث أن هذه المساحة من الأشجار ليست كلها بساتين فاكهة إنما كانت تحوي كذلك أشجار الغابات الطبيعية، ويعرف هذا الجزء من إقليم برقة حالياً باسم الجبل الأخضر، والذي يتمتع بغابات طبيعية دائمة الخضرة مثل البطم والصنوبر والعرعر[2].

قامت على زراعة الزيتون، صناعة الزيت، والذي لا تمدنا الكتابات التاريخية عن طبيعة انتاجيته ومقداره، إلا أنه كان من الوفرة بمكان بحيث كان يصدر عبر ميناء طلميثة إلى الإسكندرية[3] ويرجح الباحث أن أهل مدينة طلميثة قد استعانوا بالمعاصر الرومانية المنتشرة بالمدينة لاستخراج زيت الزيتون.

ويرجح الباحث قيام صناعة طحن الحبوب، ولا سيما حول برقة وطلميثة حيث تنتشر زراعة القمح والشعير[4]. كما أدخل الأندلسيون الأرحية المائية إلى الإقليم[5].

ولا شك أن كثرة النخيل بواحات برقة أدى بالضرورة إلى قيام عدد من الصناعات التي تعتمد على النخيل، مثل الأوعية التي تستخدم في حمل التمور

(1) انظر: الروض الزاهر، ص415.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص319.

(3) ابن ايبك: كنز الدرر (الدار الفاخر) (تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1972م، ص311 ـ د. عبد الرحيم عبد الرحمن الليبيون في مصر في القرن السادس عشر الميلادي (مجلة البحوث التاريخية العدد الأول، مركز جهاد الليبيين، طرابلس) ص77 ـ نخبة من الأساتذة المتخصصين بجامعة الإسكندرية بالتعاون مع القوات البحرية بجمهورية مصر العربية (جامعة الإسكندرية، 1973) ص518.

(4) ابن دقماق: المصدر السابق، ج5، ص115، ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص219، محمد بن سياهي المصدر السابق (مخطوط) ورقة 187.

(5) الطرابلسي: المرجع السابق ص54، مجهول: أسر أندلسية بدرنة (مخطوط بمكتبة الأستاذ عاشور عزوز، بدون رقم).

وتخزينها كما كان يصنع من أشجار النخيل الأبواب والنوافذ وأسقف المنازل[1]، وصنعت الدواليب التي تسحب المياه من الآبار في واحة أوجلة من خشب جذوع النخل[2]، وقد يكون المقصود بالدولاب هنا آلة الغرغار والتي تتكون من بكرة تحمل عدداً من الأعمدة ويمر عبرها حبل يسحب الدلو الذي يقوم بإخراج الماء من البئر ولا يقصد ابن مليح بهذه التسمية إلا هذه الآلة، إذ أنه من المستبعد أن يكون قد قصد بها الدولاب المعروف في مصر والشام، والذي يحتاج إلى مياه نهرية، والتي لا توجد بطبيعة الحال في واحة أوجلة[3].

صنع أهل برقة الفحم النباتي من جذوع أشجار الغابات بعد وضعها في أفران خاصة[4]، ويرى الباحث أن هذا الفحم النباتي هو ما كان يطلق عليه أهل برقة اسم القطران، وإن كانوا قد عرفوا القطران الطبيعي، أيضاً[5] ظهرت في مدينة درنة ببرقة صناعة العطور، التي استخرجت من بعض الأزهار والورود كالياسمين والفل والبنفسج وزهر النارنج، وقد استعملت هذه العطور كأدوية تضاف إلى بعض الأغذية لمعالجة بعض الأمراض كالمغص المعوي، ويعزو الأستاذ الطرابلسي انتشار زراعة الزهور في درنة إلى الأثر الأندلسي[6] كما عرف إقليم برقة زراعة بعض المحاصيل الطبية، مثل الزعفران[7] ولهذا الصنف من النباتات فوائد طبية متعددة، إذ يستعمل كمنوم، ويحسن اللون ويجلو البصر، ويدر البول، ويهيج الباه[8].

---

(1) محمد محمود عبد الله: المرجع السابق، ص61.
(2) ابن مليح: المصدر السابق، ص35.
(3) محمد محمود عبد الله: المرجع السابق، ص63.
(4) الأدريسي: المصدر السابق، ج1، ص319 ابن عبد الظاهر المصدر السابق، ص415.
(5) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص110.
(6) الطرابلسي: المرجع السابق، ص265، 266
(7) ابن إياس: المصدر السابق (مخطوط) ورقة 18. ابن زنبل الرمال: تحفة الملوك (مخطوط بدار الكتب المصرية، 711 جغرافيا، ورقة 62).
(8) القزويني: عجائب المخلوقات (البابي الحلبي، القاهرة، 1985م، ط1) ص188.

الثروة الحيوانية:

يرتبط توزيع الثروة الحيوانية في إقليم برقة بالاختلافات في بيئته الطبيعية ففي المناطق الساحلية حيث يتوافر قدر من مياه الأمطار أو في مناطق الواحات حيث توجد المياه الجوفية، تربى الأغنام والبقر والخيول؛ لوفرة الحشائش والغابات، وتعيش الإبل في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، ويستفاد منها في رحلات الحج والتجارة كما أنها تستخدم في العمليات الزراعية كالحرث والسقي في مناطق الواحات الزراعية[1].

يتضح من خلال ما ورد في بعض المصادر التاريخية، أن برقة امتلكت ثروة حيوانية هائلة، ويرد ذلك عند الحديث عن اقتصاديات هذا الإقليم[2] وعن حجم الصادرات التي قامت بها الحملات العسكرية من مصر لإعادة السيطرة على بعض الأعراب[3] وتعتبر الأغنام من أهم أصناف الماشية في برقة[4] لوجود المراعي الجيدة[5] مما أدى إلى كثرة بأعدادها[6] كما يوجد الماعز في بعض الواحات

---

(1) د. نقولا زيادة: ليبيا في العصور الحديثة (دار الرائد، القاهرة، 1966م) ص11 ـ د. الهادي بولقمة: المرجع السابق، ص59، 60.

R. A. Botoft, Cyrenaica, Printed by the Prinitin and Stationery Service S, M.E.F. Benghazi, 1944, p. 1.2.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص191، ابن دقماق ج4 ص115، بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص50، شافع بن علي الكاتب: المصدر السابق، ص114، ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219.

(3) المقريزي: المقفي الكبير، ج2، ص235.

(4) ابن دقماق: المصدر السابق، ج5، ص115، بيبرس المنصوري: المصدر السابق، ص50 ـ ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219، العمري: المصدر السابق، ص163 ـ 164.

(5) يقول العمري عن المراعي في برقة «إن برقة أزكى البلاد أرضاً للدواب وأمراها مرعى» انظر: المصدر السابق، ص164.

ويصف الورثلاني بئر الطرفاوي بشرق برقة بقوله: «أرض زهراء طيبة الأطراف منيفة النبات». انظر: الرحلة: ص607.

(6) يتضح ذلك من بعض الإحصائيات التي ذكرها بعض مؤرخي العصر المملوكي لإعداد =

الجنوبية مثلما الحال في ودان من أجل الحصول على ألبانها[1].

وتعد الإبل من أهم الحيوانات التي تعيش في إقليم برقة[2] وقد اشتهرت بجودتها[3] إذ اعتمد عليها السكان في الحصول على اللحوم والألبان[4] كما سخروها في أعمال الزراعة، كالحرث وري المحاصيل[5].

= الأغنام المصادرة من أعراب إقليم برقة في جملة واحدة يذكر ابن دقماق ذلك بقوله: «دخلت سنة 719هـ جرد السلطان القائد ايتمش وعدد من الأمراء إلى برقة اقتتلوا مع العرب وأخذوا أموالهم من الغنم فوق الثمانين ألف راس».
انظر: الجوهر الثمين (عالم الكتب، بيروت، 1985م، ط1) ص157.

(1) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص116.

(2) توجد في برقة ثلاث سلالات رئيسية من الإبل.
السرتاوية متوسطة الارتفاع كثيرة اللبن تستخدم في الأعمال الزراعية والمهاري إبل خفيفة سريعة قليلة اللبن والوبر تستخدم في الركوب والسفر، والإبل المحلية متوسطة الحجم كثيرة الوبر.
انظر: د. صبحي سليمان: تربية الإبل والجمال وأنواعها (بتراك للطباعة، القاهرة، 2001، ط1) ص46.

(3) تحدث ابن عبد الظاهر عن ذلك بقوله: «وتجلب منها الجمال الجيدة».
انظر الروض: ص415.
والعمري في حديثة عن أهل برقة ذكر: «هم أصحاب ماشية ودواب سائمة كثيرة من الإبل والغنم».
انظر: مسالك الإبصار، ص163.
كما تعد الإبل من ضمن الأشياء التي يلزم بتقديمها من كان يقطن برقة من الأمراء والمشايخ وتقدم إلى الاسطبلات السلطانية.
انظر: ابن لطف الله: المقصد الرفيع (مخطوط) ج1، ص85.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص608.

(5) الوزان: المصدر السابق، ج1، ص65؛ ابن خلدون: المصدر السابق، 6، ص70؛ جيرهارد رولفس: رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية (1868/ 1869م (ترجمة: د.عماد الدين غانم، الدار الوطنية، بنغازي، ط1، 2002) ص21؛ جان ريمون باشو: رحلة إلى مرمرة وقورينا (ترجمة مفتاح عبد الله المسوري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1999م) ص73.

حازت خيول برقة شهرة واسعة، إذ تميزت بقوة بنيتها، وحسن قوامها[1] وقد افتخر السلطان برقوق، بخيول برقة، وجعلها من عوامل النصر المرتقب على المغول[2].

كما اشتمل إقليم برقة على النعام[3] التي يقوم أهل ودان بأكل لحومها بعد صيدها بالمصائد[4].

واشتهرت ودان بوجود حيوان اللمت (الودان)[5] الذي يشبه البقر، ويتميز

---

(1) يقول العمري: «وأما خيل برقة فهي من أقوى الخيل بناءً، وإن قيل خيل برقة كفى وقد جمعت بين سبق العربيات، وصلابة حوافر البراذين، وثباتها على الجبال والوعور، وفحول الخيول البرقية، أنجب من إناثها».
انظر: مسالك الأبصار، ص163.
يتحدث ابن عبد الظاهر عنها بقوله: «وخيولها البرقية معروفة».
انظر: الروض الزاهر، ص415.
أما الذهبي فيصف الخيول البرقية بقوله: «وخيل برقة من أقوى الخيل ويكفي إن يقال الخيل البرقية».
انظر: ذيل العبر (تحقيق محمد رشاد عبد المطلب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت د.ت) ص134.

(2) في خطاب الظاهر برقوق إلى تيمورلنك:
«نحن خيولنا برقية وسهامنا عربية وسيوفنا يمانية، وليوثنا مصرية».
ابن لطف الله: المقصد الرفيع، ج2، ص285.

(3) يتحدث عبد الباسط بن خليل اللمطي عن النعام ببرقة الذي مر بها سنة 800هـ بقوله:
«وسلكنا البساط من أرض برقة .. ورأينا بها كثير من النعام».
انظر: الروض الباسم (مخطوط) ج3. ورقة 93.
ابن الخطيب: نفاضة الجراب (تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة) ص97.

(4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص119.
ظل النعام ببرقة حتى الثلاثينات من القرن العشرين بالقرب من ودان، عياد موسى العوامي: موسوعة الحيوانات الليبية، بنغازي، 1991، ط1) ص245.

(5) الوزان المصدر السابق، ص116.

بجلده الصلب الذي يستعمل في صناعة التروس[1] كما اهتم أهل إقليم برقة بتربية النحل[2].

واشتمل إقليم برقة على بعض الحيوانات والطيور البرية، مثل الغزال الأبيض[3] الذي يعيش في الأراضي شبه الصحراوية من الإقليم[4]، كما وجد الفهد الحبشي[5]، ويتميز بسرعة عدوه[6] وتنتشر الضباع في بعض الأنحاء من برقة، مثل منطقة منهوشة والتي توصف ضباعها بأنها تفترس من يمر بتلك المنطقة[7] كما حوى الإقليم أصنافاً عديدة من الطيور البرية كالعصافير والسمان[8]، وتنتشر الحبارى والصقور والحجل بالجبل الأخضر في أعداد كبيرة[9] وتتوفر الأسماك في إقليم برقة حيث توجد لها بعض المصائد[10].

(1) المصدر نفسه، ج2، ص116.

(2) محي الدين بن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص415 ـ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص146 ابن سباهي: المصدر السابق (مخطوط) ورقة 187.
يتحدث الأخوان بتيشي في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي عن سماعها لدوي النحل في أعالي الغابات وفي شقوق الصخور وداخل المغارات.
انظر: كتاب الأخوان بيتشي والساحل الليبي 1821 ـ 1822م (ترجمة الهادي مصطفى بولقمة، منشورات جامعة مارلونس، بنغازي، 1996م، ط1) ص266.

(3) ابن متكلي: أنس الملا (تحقيق محمد عيسى صالحية، دار النشر، ط1، 1993) ص133.

(4) عياد موسى العوامي: الحيوانات البرية الليبية (منشورات جامعة عمر المختار البيضاء، 1997م، ط1) ص119.

(5) المرجع نفسه، ص120.

(6) ابن منكلي: المصدر السابق، ص133.

(7) المقريزي: جني الأزهار مخطوط ورقة 24.

(8) ابن دقماق: المصدر السابق، ج5، ص115.

(9) عياد موسى العوامي: المرجع السابق، ص135، 140.

(10) الانتصار: المصدر السابق، ج5، ص115.

رابعاً أهم الصناعات ومراكزها

كانت الصناعة في برقة خلال فترة الدراسة ذات أثر محدود، حيث كانت بسيطة وبدائية، تعتمد على المنتجات الزراعية والحيوانية وترتكز على السلع الاستهلاكية التي لا بد من انتاجها محلياً، مثل العسل والتمور والزيتون والزيت.

اشتهرت مدينة برقة بزراعة الزيتون، الذي ينتشر على سفوح جبالها وأوديتها[1] وقد قامت صناعة عصر زيت الزيتون في برقة[2] وظهرت في الإقليم صناعات غذائية تعتمد على الإنتاج الحيواني كصناعة السمن[3] الذي اشتهرت برقة بجودته[4] ويعد بأن تجمع المرأة الزبد بعد استخراجه من اللبن المخيض، ثم تقوم بتسخينه وتضيف إليه قدراً قليلاً من الدقيق، ثم تفصل الدقيق، وتسمى خلاصة الدقيق الممزوج بالسمن باسم الذوبة التي تؤكل في حينها، ثم يؤخذ السمن ويخزن[5]. كما كانت تقوم المرأة البدوية في برقة بصناعة نوع من اللبن المجفف يعرف بالكشك، ويعد بمزج اللبن المخيض مع جريش القمح ويترك حتى يجف ويقطع إلى مكعبات صغيرة تؤكل مباشرة أو تضاف إلى الماء لتتحول إلى لبن سائل، عند عدم وجود اللبن الطازج[6]. كما عرف أهل برقة طريقة حفظ

---

(1) العمري: المصدر السابق، ص163.

(2) ابن أيبك: المصدر السابق، ص311.

(3) الأدريسي: المصدر السابق، ج1، ص316 ـ الوزان: المصدر السابق، ج1، ص65 الورثلاني: المصدر السابق، ص217 ابن عابد: المصدر السابق، (مخطوط) ورقة 82.

(4) أوليا جلبي: سياحتنامة (ترجمة محمد علي عوني دار الكتب القاهرة) ص114.

(5) د. لوجلي صالح الزوي: البادية الليبية (منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1980) ص84.

(6) د. سميرة فهمي علي: دور عربان الوجه البحري في تاريخ مصر العثمانية (رسالة =

اللحوم عن طريق تقديدها[1]، وعنوا بانتاج العسل والشمع[2].

وظهرت في برقة بعض الصناعات الفخارية والخزفية المتمثلة في أدوات حفظ وتحضير الطعام مثل القدور والأباريق[3]. وقد وجدت بعض الصناعات القائمة على جلود الحيوانات[4]، مثل صناعة الأحذية الرجالية والنسائية[5].

ولا تمدنا المصادر التاريخية بأية معلومات عن صناعات غذائية أخرى في برقة إلا أن الباحث يرى أن الصناعات التقليدية البسيطة كانت موجودة خلال هذا العصر إذ أنها لا تحتاج إلى عناء كبير في صناعتها وأنها من الصناعات المستخدمة بشكل يومي مثل الشكوة[6] والعكة[7] ....

= دكتوراه، كلية الآداب الإسكندرية 1989، ص183 نيكولاي بروتشين: تاريخ ليبيا منذ القرن التاسع عشر حتى نهاية 1969م (مركز جهاد الليبية طرابلس، 1998م)، ص32.

(1) الحميري: المصدر السابق، ص608 ـ العبدري: المصدر السابق، ص209.

(2) الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص319 ـ الحميري المصدر السابق، ص191 ـ ابن سعيد: المصدر السابق، ص146.

(3) تيسير بن موسى: المجمع العربي الليبي في العهد العثماني (الدار العربية، طرابلس، 1988، ص11) ص142.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص191.

(5) جون فرنسيس: من طرابلس إلى فزان (ترجمة مصطفى جودة الدار العربية للكتاب 1976م)، ص10.

استعملت النساء في برقة وإلى عهد قريب أحذية تقليدية تشبه الأحذية الصرارة التى تحدث عنها الونشريسي في حديثه عن ملابس النساء بالمغرب.

انظر: د. كمال الدين السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في بلاد المغرب من خلال نوازل وفتاوى الونشريسي (مركز الإسكندرية للكتاب، 1997م، ط1)، ص48.

(6) الشكوة: وعاء جلدي لصنع اللبن.

ابن الأجدابي: كفاية المتحفظ (تحقيق علي السائح، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، د. ت) ص237.

(7) العكة: وعاء من الجلد لحفظ السمن. انظر المصدر السابق، ص237.

وسروج الخيل[1] ورواحل الجمال[2].

وتوافرت بعض المعادن في برقة مثل الكبريت، الذي كان يجمع من مقطع بالقرب من سرت[3]، وقد بلغ هذا المعدن من الوفرة بحيث أن الحجاج والمسافرين كانوا يحملون عدداً من إبلهم بالكبريت، ويقومون ببيعه في مصر وطرابلس[4] كما توافر هذا المعدن في طلميثة[5] ووجد القطران الجيد في برقة[6] وكذلك الملح[7]، وقد أرجع البعض بدء انتعاش مدينة بنغازي من جديد في منتصف القرن التاسع الهجري، إلى كونها استقطبت عدداً من سكان مدينة طرابلس، الذين استغلوا ملاحاتها، في المتاجرة بسلعة الملح، المتوافر في عدة ملاحات بالقرب من المدينة، والتي تعرف محلياً باسم السباخ، ومن أهمها سبخة جليانة، وسبخة الكيش، وسبخة السلماني، وسبخة سيدي يونس[8]، وتوافر معدن الحديد بجبل طنطنة بالقرب من ودان[9] ومن المرجح بأن بعض الأدوات التقليدية البسيطة، كانت تصنع من هذا المعدن مثل الأدوات الفلاحية والمنزلية.

وقامت في برقة صناعة المنسوجات، ولا سيما الصوفية بفضل ما توافر

---

(1) تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص53.

(2) د. شوقي عبد القوي عثمان: التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000) ص102.

(3) الورثلاني: نزهة الأنظار، ص217 ـ ابن دقماق المصدر السابق، ج5، ص115.

(4) الورثلاني: المصدر السابق، ص217.

(5) المراكشي: المصدر السابق، ص292.

(6) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص415.

(7) يقول ابن دقماق عن ما يدفعه المقطعون عن الملاحات في برقة (وقيمة أضاف عشر الألف درهم ملاحات بن الجنان وبساتين الثغر).
انظر: الانتصار، ج5، ص15.

(8) Good Child. R.G, Benghazi, The Story of A city. Lamin press, Benghazi, 2nd, edition, 1962, p42.
محمد مصطفى بازامه مدينة بنغازي عبر التاريخ (دار ليبيا، بنغازي، 1968) ص35، 36.

(9) ابن سعيد: بسط الأرض، ص61.

بالإقليم من أغنام مثل صناعة بيوت الشعر[1] التي مثلت السكن المفضل للبدو الرحل، إذ تميزت بمقاومتها وتحملها لظروف البيئة المنقلبة مثل البرد والحر والرياح والأمطار، وتميزت بخفتها وسهولة صيانتها وطيها، ويسمح هذا النسيج بمرور الهواء البارد في فصل الصيف، أما في الشتاء فإن لحمة هذا النسيج وسداه يتلاحمان بفعل المياه، وبذلك لا تتسرب مياه الأمطار إلى داخله، ويستغرق إعداده زمناً طويلاً، إذ تبدأ مراحل صناعته باستخلاص الصوف والشعر والوبر من الحيوانات، ثم ينظف، ويغزل وينسج، فيما يعرف عند العرب باسم السدو، وتقوم المرأة البدوية بصناعته[2]، ومن المرجح وجود صناعات تعتمد على الصوف مثل صناعة الأثواب والسجاجيد والأغطية[3] ويعزو الأستاذ تيسير بن موسى ظهور النول في درنة إلى الأندلسيين[4] وقد تركز هذا النوع من الصناعات في مصراتة ودرنة وبنغازي[5] كما أدخل اليهود الرذانية إلى الإقليم صناعة الحرير بعد أن توسعوا في زراعة التوت بدرنة[6].

ولم تمدنا المصادر التاريخية بأية معلومات عن الأوضاع الاجتماعية للصناع في هذا الإقليم ولا عن هيأتهم وتنظيماتهم، ويرجح الباحث أن برقة في تلك الفترة ظلت تحت الطابع البدوي، إذ أن أغلب سكانها كانوا من الرعاة، ويبدو أن نسبة الصناع كانت قليلة.

---

(1) البلوي: المصدر السابق، ج2، ص35 ـ المقريزي: المقفي الكبير، ج2، ص339.
(2) عبد الجواد عباس: رعي الأغنام في التراث (مركز الجبل الأخضر للطبعة البيضاء، 1992م) ص118، مانع بن فراس الدعماني: التقنيات التقليدية في البيئة البدوية (دار العاصمة، الرياض، 1414هـ، ص).
(3) عبد الجواد عباس: المرجع السابق، ص119.
(4) تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص151.
(5) الباروني: المخطوط السابق: ورقة 12، جون فرنسيس: المرجع السابق، ص141.
(6) أبو رية: المرجع السابق، ص193.

خامساً | التجارة

يتناول هذا المبحث أهم مقومات التجارة في الإقليم التي من أهمها موقع الإقليم والظروف السياسية السائدة وأثرها، كما يتطرق إلى الطلب على بعض السلع التي ينتجها الإقليم أو تأتي عبرة من الأقاليم المجاورة كما وسيتناول أهم أنواع السلع والبضائع التي يسوقها الإقليم وأماكن وجودها.

1 ـ مقومات التجارة في إقليم برقة:

إن ازدهار التجارة يحتاج لعدة مقومات، ويعد الموقع الجغرافي من أهمها. وقد أثر موقع إقليم برقة بشكل إيجابي على نشاطه التجاري، إذ أنه يطل بساحله الطويل على البحر الأبيض المتوسط، والذي يمتد من العقبة الكبيرة شرقاً، حتى سويقة مطكود غرباً، وقد ربط هذا الطريق البحري بين الأندلس وبلاد المغرب حتى مصر شرقاً، واستخدمه الحجاج والتجار من المغاربة والأندلسيين، وقد تناثرت على طول هذا الطريق البحري عدد من المراسي والموانىء، والتي كثيراً ما تلجأ إليها المراكب الشراعية التجارية التي تحمل البضائع والمسافرين للتزود بالبضائع أو إنزال المسافرين(1)، كما تجنح إليها المراكب عند تعذر ظروف الملاحة بسبب اضطراب البحر وانعدام الرؤية(2).

---

(1) شوقي عبد القوي: المرجع السابق، ص65، 75.

(2) تحدث الرحالة خالد بن عيسى البلوي عن رجوعه عن طريق البحر من رحلة الحج إذ ركب مركباً من ميناء الإسكندرية سنة 738هـ/ 1337م وبعد أن أقلع المركب من الإسكندرية حدث هيجان في أمواج البحر دعا بصاحبه إلى الرسو في مرسى عمارة ببرقة وعن ذلك يقول:

«بعث الله تعالى ريحاً شديدة غربية ضربت من تجاهنا وردتنا على أعقابنا وأديارنا إلى أن دخلنا مرسى العمارة».

=

وقد توافرت في بعضها وسائل الإقامة للمسافرين[1] كما أن موانىء برقة عدت كمنازل للراحة وإنزال الحجاج بعد انطلاقها من الإسكندرية، ورسوها لحمل بعض السلع في طلميثة وسرت ومصراتة[2].

كما كانت برقة محطة التقاء للقوافل البرية التي تربط مصر بطرابلس والمغرب وبلاد الأندلس، ويبلغ طول هذا الطريق خمسة وأربعين مرحلة[3] وتعددت الطرق البرية التي تمر بالإقليم، فمنها الموازية للبحر وكان يسلكها الحجاج والرحالة كالذي سلكها الرحالة العبدري في طريق عودته من رحلة الحج[4] ويوجد طريق صحراوي يتميز بقصره وأمنه سلكه ابن بطوطة[5]

= انظر: تاج المفرق، ج1 (تحقيق الحسن السائح، مطبعة مضالة المحمدية، المغرب د، ت) ص28 وفي رحلة بحرية أخرى قام بها البلوي منطلقاً من ميناء الإسكندرية صوب المغرب اضطرته الأمواج أن يلجأ إلى ميناء طبرق ببرقة: «وأخذنا نسير ونغور وننجد بين الأمواج ونغور، ونصبح ونمسي ليس إلا السماء والبحور إلى أن اشتدت علينا الرياح الغربية وتحكمت فينا المياه البحرية فتقهقر بالسبب ذلك إلى أن أشرفنا على مرسى طبرق من مراسي برقة فدخلناه». انظر: تاج المفرق، ج2، ص66.

(1) حول ذلك يذكر البلوي في شعره قائلاً عن ميناه طبرق في ثنايا قصيدته التي يبث من خلالها حنينه إلى بلاده الأندلس.

يا ليلة جمعت بمرسى طبرق   أحلى صباحك عن نوي وتفرق
الفت بين مفرق ومجمع   وجمعت بين مغرب ومشرق

انظر: تاج المفرق، ج2، ص66.

ويصف الرحالة علي القصادي الأندلسي رحلة عودته من الحج بعد أن ركب مركباً في الإسكندرية في ربيع الأول سنة 853هـ/ 1449م: وإن الركاب أقاموا بمرسى العمارة ببرقة لمدة ثمانية أيام وعن ذلك يقول: «قدمنا ثغر الإسكندرية.. وبلغنا إلى مرسى عمارة برقة بعد ثمانية أيام فأقمنا به نحو ثمانية أيام أخر».

انظر: رحلة القصادي (تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية، تونس 1985م، ط3) ص58، 59.

(2) ركن الدين بيبرس: زبدة الفكرة (تحقيق دونالد، س، ر الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998م، ط2) ص411.

(3) المراكشي: المصدر السابق، ص282. (4) انظر: رحلة العبدري، ص200 ـ 206.

(5) انظر: (تحفة النظار، دار صادر، بيروت، 1992م، ط2)، ص36.

وعبد الباسط بن خليل اللمطي في سفرهما من طرابلس إلى مصر سنة 800هـ/ 1397م[1] ويعلل الاثنان ارتيادها لهذه الطريق في تلك الفترة لكونه الأكثر أمناً[2].

وكانت القوافل البرية تتزود بالمياه أثناء سيرها عبر هذه الطرق، فقد وصف العبدري آبار ومواضع المياه في الطريق الذي يخترق غابات الجبل الأخضر ويوازي الساحل[3]، كما يعبر الطريق الصحراوي بعدد من الواحات التي مثلت نقاط استراحة وانطلاق، للتجار والمسافرين إلى مصر وبلاد المغرب والسودان مثل ودان[4] وأوجلة[5] وزويلة[6]، وقد بلغت أوجلة قدراً من الرخاء الاقتصادي، إذ أنها كانت عامرة بالأسواق، وتمر بها الطرق المتجهة شرقاً إلى سنترية (سيوة)[7]، وقد سلك السلطان منسي موسى نفس الطريق الجنوبي المار على جنوب شرق برقة في طريق عودته من رحلة الحج، حيث بدأ رحلته من مصر إلى واحة كفرة ببرقة ثم إلى واداي فبحيرة تشاد ثم جاو[8].

(1) انظر: الروض الباسم، ورقة 93.

(2) العبدري: المصدر السابق، ص200، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص36.

(3) يصف العبدري هذه الطريق: «ومن الحصوي على الطريق الوسطي بين طريق الغابة وطريق القبلة إلى أبي شمال وهي عين غزيرة عذبه».
انظر: الرحلة، ص481.

(4) المقريزي: جني الأزهار ورقة 24، ابن إياس: نشق الأزهار، ورقة 165.

(5) الحميري: المصدر السابق، ص64، المقريزي: المصدر السابق، ورقة 24.
ابن مليح: المصدر السابق، ص36، د. محمد بشير السويسي، معالم تاريخ واحة أوجله، عبر العصور (البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 2001) ص149، 150.

(6) عبد القوي: المرجع السابق، ص93.

(7) الحموي: المصدر السابق، ج1، ص276.

(8) المقريزي: الذهب المسبوك (نشر جمال الدين الشيال، القاهرة، 1955م) ص113؛ د. إبراهيم علي: دولة مالي الإسلامية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م). ص86؛ د. عز الدين عمر موسى: طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى =

ونستطيع أن نخمن أن أهمية هذا الطريق قد زادت أثناء الحروب الصليبية، مما أدى بالتالي إلى زيادة قدوم الحجاج والتجار من بلاد السودان أو المغرب والأندلس[1].

وبما أن تبعية برقة سياسياً خلال فترة البحث كانت لمصر فإن أغلب توجه تجارة الإقليم الخارجية إلى مصر أو التي تنتجها وتوردها الأقاليم المجاورة في السودان وطرابلس وأفريقية مثل الرقيق والتبر كانت ميسورة، لعدم وجود عوائق طبيعية تمنع هذا الاتصال، وقد ازداد الطلب في مصر على بعض الأصناف، ولا سيما عند حلول الأزمات الناتجة عن الحروب، إذ يمكن أن نخمن مدى حاجة صلاح الدين إلى أخشاب برقة لبناء الأساطيل[2] وإلى خيولها[3] ولا سيما في الفترات التي كانت الكنيسة تفرض حظر تصدير هذه البضائع إلى مصر[4] مع ما يعتري مصر من نقص في الأخشاب، بعد أن صارت غابات الصعيد في الأشمونين وأسيوط وأخميم وقوص عرضه للقطع والبيع بالرغم من أوامر صلاح الدين لوجوب بحراستها للحاجة إليها في بناء الأساطيل[5].

كما حوى إقليم برقة وفرة في إنتاج الغلال التي كانت مصر في أمس الحاجة إليها، ولا سيما بعد أن عانت في سنة 567هـ/ 1171م من موجة برد

= مصر في القرن السادس مجلة البحث التاريخية: (العدد الأول، مركز جهاد، طرابلس، 1983) ص117 ـ 118.

(1) عز الدين عمر موسى: المرجع السابق، ص119.

(2) عادل زيتون: العلاقات الاقتصادية (دار دمشق، دمشق، 1980م، ط1)، ص190، 191 ـ ق هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي (ترجمة أحمد رضا محمد الهيئة المصرية، القاهرة 1991م، ج2)، ص47.

(3) الغرناطي: (تحفة الألباب (مخطوط) بالمكتبة الأزهرية رقم 1164 ـ 7285) ورقة 98.

(4) اشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى (دار قتيبة دمشق، 1985م، ص305.

(5) ابن مماتي: قوانين الدواوين (تحقيق سوريال عطية، مطبعة مصر، القاهرة، 1943)، ص44.

شديدة سببت تلفاً في محاصيلها الزراعية، مما أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية في البلاد[1] ويمكن أن نرجح أن التعليمات التي أصدرها صلاح الدين بخصوص تخفيف الضرائب وحسن معاملة التجارة قد طالت تجار برقة لتأمين استمرار وصولهم إلى مصر[2].

ويمكن أن نخمن بازدياد حاجة مصر إلى موارد برقة أثناء عهد المماليك البحرية وخلال فترة الحروب الصليبية، إذ أن البابوية فرضت على مصر حرباً مقدسة، ودعت إلى حصار مصر مما أدى إلى حرمانها من الخشب والحديد والخيول والرقيق[3].

2 ـ حركة التجارة في أسواق الإقليم:

يصف بعض الرحالة والجغرافيين ما كانت عليه حالة التجارة في إقليم برقة خلال العصر الفاطمي فقد وصف البكري 487هـ/ 1094م أسواق خرائب أبي حليمة بأنها رخيصة الأسعار مما يدل على وفرة البضائع المعروضة، ووصف برقة بأنها دائمة الرخاء، وقد أشار إلى أن بأجدابية سوقاً حافلة رخيصة الأسعار، وقد تحدث عن أسواق سرت وعن اتفاق تجارها على سعر موحد[4]، كما أشار البكري إلى أسواق زويلة وشهرتها بتجارة الرقيق، ووصف أوجلة بأنها تحوي أسواقاً[5]. وأما الإدريسي. ت 548هـ/ 1153م فنستشف من خلال ما كتبه بأن الإقليم قد اعتراه بعض الكساد التجاري، إلا أنه قد شهد نشاطاً تجارياً، وعلل ذلك بسبب بعد الإقليم عن أي منافس قريب، ووصف واحة زلة بأن سوقها

(1) المقريزي: السلوك ج1، ق1، ص47.
(2) ابن جبير: رحلة ابن جبير تحقيق: د. حسين نصار، مطبعة مصر للطباعة، 1992م، ص33.
(3) عبد العزيز مرزوق: الناصر محمد بن قلاوون (مطبعة بمصر، القاهرة، د.ت) ص330 د. سمير علي الخادم: المشرق الإسلامي والغرب المسيحي (دار الريحاني، بيروت، 1989م ط1) ص422 ـ 430.
(4) البكري: المصدر السابق، ص4 ـ 6
(5) المصدر نفسه: ص11 ـ 12.

عامر[1]، وأما سويقة بني مطكود فقد حوت سوقاً كبيراً[2].

ومن خلال ما كتبه المؤرخون والجغرافيون في العصر الأيوبي نلمس وجود تجارة داخلية في هذا الإقليم، إذ وصفت أسواقها بأنها «حافلة مقصودة»[3]، وظلت زويلة سوقاً تجارياً للرقيق[4]، وقد قامت في وادي مخيل سوقاً عامرة[5]، وأما أوجلة فقد كانت عامرة بأسواقها وتمر بها الطرق المتجهة شرقاً إلى سنترية (سيوة)[6].

وتعد الغلال ولا سيما القمح والشعير من أهم السلع التجارية التي كانت تنقلها المراكب التجارية الواصلة إلى ميناء طلميثة، وتقوم هذا المراكب بنقلها إلى ميناء الإسكندرية[7].

وتعد المواشي والأغنام من أهم منتجات برقة التجارية إذ وصل التجار البرقيين بأغنامهم إلى أسواق مصر الغربية[8] وتعتبر المنتجات التجارية القائمة على الثروة الحيوانية والزراعية من أهم بضائع الإقليم خلال عصر المماليك إذ

---

(1) الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص311 ـ 312.

(2) المصدر نفسه: ص309.

(3) مجهول: الاستبصار (تحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958م) ص144.

(4) الحموي: معجم البلدان (دار صادر، بيروت 1955م) ج3، ص159 ـ 160.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص73.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص276.

(7) محمد بن سباهي: المخطوط السابق: ورقة 178، د. عبد الهادي روحي: المرجع السابق، ص70.

(8) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219، 415.
تصنف إحدى سلالات الأغنام الموجودة في مصر باسم البرقي أو الدرناوي مما يدل على قدم وكثرة وصول هذا النوع إلى مصر من برقة.
انظر: د. حسين عبد الحي قاعود، محمد أنور حسين مرزوق: العجول والأغنام والماعز والإبل (دار المعارف القاهرة، 2003، ط2) ص41.

اشتهرت برقة بالزيت والسمن والعسل والصوف[1] والزعفران[2]. كما جلب الكبريت من إقليم برقة إلى مصر[3] ويعتبر القطران من أهم السلع التجارية التي اشتهرت بها برقة[4]، وقد اشتد الطلب في مصر على شراء الخيول البرقية خلال العصر المملوكي، إذ سافر أهل برقة بخيولهم لبيعها في أسواق مصر مثل سوق تروجة، وقد أعجب سلاطين المماليك بالخيول البرقية[5] ودفعوا للتجار أثماناً مجزية من أجل الحصول على هذا الصنف من الخيول[6].

واستمر وصول الرقيق إلى أسواق الواحات البرقية في أوجلة[7] وودان[8]، كما وصلتها القوافل التجارية عن طريق البر قادمة من مصر محملة بالحديد والنحاس والفواكه المجففة والبقول والملح وترجع منها بالتبر والرقيق[9].

وقد لعب تجار الواحات البرقية ولا سيما الأوجلة دوراً هاماً في التجارة مع بلدان السودان الإسلامي إذ قاموا بمقايضة سلع الشمال مثل الخيول والثياب والأسلحة والملح بمنتجات السودان مثل التبر والعاج والرقيق[10].

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص191، ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص415.

(2) ابن سباهي: المخطوط السابق ورقة 187، ابن سعيد الجغرافيا، ص146.
الحميري: المصدر السابق، ص191، ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص415.

(3) ابن إياس: المخطوط السابق ورقة 18 ـ المغربي: المصدر السابق، ص146.

(4) يقول الورثلاني: مصدق الكبريت في آبار عديدة يحمل منها كالطين إلى طرابلس ومصر والإسكندرية ويحمل إلى مصر مع الركب أحمال كثيرة.
انظر: نزهة الأنظار، ص217.

(5) بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص50 ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص415.

(6) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219.

(7) المقريزي: جني الأزهار ورقة 24، ابن مليح: نزهة الساري، ص36.

(8) المقريزي: المخطوط السابق، ص296.

(9) التطيلي: رحلة بنيامين (ترجمة وتحقيق عزاز حداد، المنطقة الشرقية، بغداد، 1945، ط1) ص170.

(10) الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا (دار الملتقي، بيروت، 1993م،ط) ص181. جان كلود زليتز: طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط =

وقامت السفن التجارية الأوروبية بارتياد مراسي برقة لعرض التجارة ولا سيما من صقلية والبندقية إذ عزا الوزان ما يتمتع به سكان مدينة زليطن من رخاء ملحوظ، إلى ما يقومون به من متاجرة مع هؤلاء التجار الأوروبيين[1]، وقد قام تجار مصراتة بالدور نفسه، إذ أنهم كانوا يسوقون السلع التي يجلبها التجار البنادقة ويقايضونها مع سلع البلدان المجاورة[2].

3 ـ النظم التجارية:

لا تمدنا المصادر التاريخية إلا بمعلومات مقتضبة عن النظم التجارية في الإقليم، ويرجع الباحث ذلك إلى طبيعة النمط البدوي الرعوي على السكان، كما أن المصادر لا تزودنا بمعلومات عن أنواع المكاييل والموازين، وقد قامت السلطات المملوكية بجباية زكاة الغنم من تجار برقة عند قدومهم إلى سوق تروجة بمصر الغربية[3] أو التي يقوم بجبايتها مشايخ بني سليم لحساب سلاطين المماليك[4].

ويرجح الباحث أن جباية زكاة الغنم من تجار الغنم في برقة استمرت في أسواق مصر الغربية بعد أن ضعفت سلطة دولة المماليك في هذا الإقليم بعد وفاة الظاهر برقوق[5] سنة 801هـ/ 1398م.

= أفريقيا، (ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجمهورية، مصراته، 2001، ط1)، ص20 ـ 23.

(1) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص145.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص111.

(3) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219، العمري: المصدر السابق، ص136.

(4) شافع بن علي: المصدر السابق، ص114، العمري: المصدر السابق، ص163.

(5) الخالدي: المخطوط السابق ج1، ص85.

سادساً | السياسة المالية في برقة

تركز نظام الإقطاع في برقة، بشكل واضح مع بداية خضوعها للمماليك وقد أقطع سلاطينهم الإقليم لبعض الأمراء من المماليك أحياناً، وغالباً ما يقطعونه لمشايخ القبائل من بني سليم.

وقد قام هؤلاء بجباية الخراج لقاء استغلال الأراضي الزراعية[1]، ومع بداية ضعف السيطرة المملوكية على الإقليم أصبح شيوخ القبائل من بني سليم هم المستحوذين على حق استغلال الأراضي، ووزعوها على قبائلهم، وأخضعوا السكان الأصليين إلى نوع من السيطرة وفرضوا عليهم نظاماً أشبه بنظام الإقطاع[2].

كما جبيت الجزية من بعض اليهود المقيمين لغرض التجارة في بعض المناطق الساحلية مثل درنة وطلميثة، والتي كان يقوم بجبايتها المقطعين من قبل المماليك[3] ومع ضعف هيمنة المماليك، على الإقليم صار العرب يأخذون الجزية من اليهود لقاء خفارتهم[4].

ومن هذه الضرائب التي كان يقوم المقطعون بجبايتها من إقليم برقة، حسب نظم الالتزام عندما أمر بيبرس سنة 662هـ/ 1263م عطا الله بن عزاز الذي أقطعه برقة بجباية العشور وزكاة الغنم من التجار وأصحاب المواشي[5]، وعلى الرغم

---

(1) ابن دقماق: الانتصار ج5، ص115.

(2) د. احسان عباس: المرجع السابق، ص151.

(3) ابن سعيد: بسط الأرض، ص80.

(4) ابن سباهي: المصدر السابق، ورقة 187.

(5) محي الدين بن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219.

من عدم توافر معلومات عن جباية هذا النوع من الضرائب في الإقليم إلا أن الباحث يرى بأن ميناء طلميثة والذي ترده المراكب المحملة ببضائع مصر لا بد وأن خضع التجار المصريين وغيرهم لدفع هذه الضريبة[1] ووحدت بعض المكوس التي فرضت على المعادن مثل الكبريت والملح، ومصائد الأسماك والسمان والعصافير[2].

وقد تعرض أهل إقليم برقة لا سيما خلال دولة المماليك الأولى لعدد من الحملات والتي صادرت أعداداً هائلة من المواشي ففي سنة 719هـ/ 1319م جرد السلطان محمد الناصر بن قلاوون إلى برقة حملة يقودها القائد أيتمش فرجع ومعه ثمانون ألف رأس من الأغنام المصادرة[3].

تعددت أساليب التعامل التجاري فقد عرفت برقة التعامل بالنقود الفاطمية خلال فترة الدراسة إذ تم العثور على دراهم ودنانير، تعود إلى عصر الظاهر لاعزاز دين الله (411 ـ 427هـ/ 1020 ـ 1035م) والعاضد بأمر الله (555 ـ 567هـ/ 1160 ـ 1171م) في توكرة الواقعة بالقرب من مدينة برقة في الشمال وزويلة[4].

ولا تحدثنا المصادر التاريخية عن نوعية النقد السائد في برقة خلال العصر الأيوبي، غير أنه من المرجح أن أوجلة[5] وزويلة[6] في الجنوب قد شهدتا نوعاً من النقد المحلي وذلك بسبب ثرائهما وطبيعة أهلهما الحضرية المستقرة.

---

(1) د. عيثان بن علي بن جريش: الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمال وغرب أفريقيا في العصور الإسلامية الوسيطة (مجلة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1997م) ص137.

(2) ابن دقماق: الانتصار، ج5، ص115.

(3) ابن دقماق: الجوهر الثمين، ج2، ص157.

(4) د. محمد مصطفى، المرجع السابق، ص32، دليل متحف توكرة (إصدار مصلحة الآثار، طرابلس د.ت)، ص96.

(5) العيني: المصدر السابق، ج1، ص299.

(6) ابن خلدون: العبر ج6، ص291، ابن غلبون: المصدر السابق، ص66.

وكان أسلوب التعامل التجاري السائد في برقة ولا سيما خلال العصر المملوكي هو المقايضة، أي يتم التبادل بين السلع المعروضة للبيع بسلع أخرى بديلة[1].

نخلص من خلال ما تم عرضه في هذا الفصل إلى أن مجيء بني سليم واستقرارهم ببرقة قد زاد من طابع النمط البدوي في الإقليم، وإن كان الباحث يرى أن برقة تنفرد ببعض الظروف عن باقي أقاليم المغرب إذ أن زيادة نفوذ القبيلة كان قد برز في قبيلة بني قرة العربية والتي ناصرت أبا ركوة في حركته ضد الفاطميين مما أدى إلى إضعاف الحكم المركزي بحيث لم يستطع ولاة الفاطميين أو الصنهاجيين السيطرة على الأمور، فقام على الإقليم عدد من مشايخ بني قرة.

كما خلص الباحث إلى أن هناك أسباباً أخرى تعزو بداية ما لحق ببرقة من تدهور زراعي إلى القرن الثالث بسبب تعسف الرومان في جباية الضرائب، كما أن عهود الفوضى والاضطرابات بدأت بعد وفاة الإمبراطور إسكندر سويروس سنة 235م، أن شهدت المنطقة بعض الإصلاحات في عهد الإمبراطور دقلديانوس في مطلع القرن الرابع الميلادي كما أن الوندال قد أحدثوا تخريباً بالإقليم، كما تبين من خلال البحث وجود زراعة بسيطة تعتمد على الموارد المحلية، فانتشرت الزراعة البعلية، التي يقوم بها السكان المحليون من البربر، إذ أن البدو كانوا

(1) يقول المقريزي عن ذلك: «وسكان برقة كلهم أهل بادية لا يتبايعون إلا بالأمتعة حتى أن منهم من تكون معه دراهم ويعرضها للبيع فيقول: من يشتري مني هذه الدراهم لأنهم ليست عندهم تعداد ومعادلة».
انظر، جني الأزهار ورقة 24.
وعن ذلك يتحدث العبدري: «والشأن عندهم في التبائع المعارض بالمبيعات والتبادل في المثمونات لا يجري بينهم فيها دينار ولا درهم وباب التعامل بها عندهم مبهم وقد ساوم أحد الحجاج بعضهم بجمل يعطيه به بكر أو زيادة دينارين فقال له: «لا أدخل خيمتي ما لم يدخل خيمة أبي ولا جدي وهذا حالهم في العينين يجهلون بهما أثمان الأشياء».
انظر: الرحلة، ص204.

يأنفون الاشتغال بالزراعة، وقد قام المزارعون في إقليم برقة باستخدام أنظمة الري المتاحة مثل السقي من الآبار، وكان لقدوم هجرات بشرية من مصر والأندلس أثر على وضعية الزراعة بما أدخلوه من نظم، وقد خضعت ملكية الأرض في برقة لسيطرة القبائل القوية، إذ تحولت الملكية إلى بني سليم، الذين تقاسموها واستغلوا القبائل الصغيرة والبربر في زراعة الأراضي، ويتضح أيضاً حرص سلاطين المماليك على جباية زكاة الأغنام وعشور المحاصيل وبعد ضعف الحكم المملوكي على الإقليم زاد تسلط القبائل السليمية عليه.

كما شهد الإقليم بعض الصناعات التي تعتمد على المنتجات الحيوانية والزراعية إلى جانب ما أدخله الأندلسيون من صناعات أخرى كالعطور والأدوية.

وخلص الباحث إلى أن الإقليم يمتلك ثروة حيوانية هائلة كانت ولا شك دعامة الاقتصاد البدوي الرعوي، الذي كان يقوم به البدو الذين يشكلون غالبية سكانه، ولتنوع تضاريس هذا الإقليم فقد حوى عدداً من الحيوانات الداجنة والبرية والنحل والأسماك، كما تبين من خلال البحث تغلب نظام المقايضة في الإقليم كأسلوب للتعامل التجاري سواء في المعاملات الداخلية أم مع التجار الوافدين مما يدل على ما وصل إليه هذا الإقليم من بداوة.

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية والحياة الثقافية في برقة من 400 ـ 925هـ/1009 ـ 1519م

أولاً : الحياة الاجتماعية.

ثانياً : الحياة الثقافية في إقليم برقة.



الحياة الاجتماعية

أ ـ عناصر السكان:

العرب:

لم يكن لوصول العرب إلى برقة في فترة الفتح والقرون الثلاثة الأولى أثر واضح على تشكيل الخريطة السكانية في إقليم برقة، إذ تركز العرب على السواحل، وفي المدن كجند الفتح وأعقابهم، ولكن الوضع لم يلبث أن تغير بعد وصول بني قرة الهلاليين إلى إقليم برقة، والذي لم تحدده المصادر التاريخية بالتفصيل، وإنما كان لهذه القبيلة نفوذ قوي بإقليم برقة في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي (386 ـ 411هـ/ 996 ـ 1020م[1]). وقد ناصبت الصنهاجيين والفاطميين العداء[2] وقد دخل بنو قرة في حروب مع قبائل البربر ـ بهذا الإقليم ـ من لواتة وزناتة ومزاتة، ويرجع الباحث ذلك إلى الصراع على تملك الأراضي الزراعية والرعوية، غير أن الثائر أبا ركوة استطاع أن يوحد كل هذه القبائل مجتمعة مع بني قرة، في ثورته ضد الفاطميين محاولاً تأسيس حكم مستقل، واستطاع تهديد الوجود الفاطمي في مصر، إلا أن حركته انتهت بالفشل بعد أن تخلى عنه أنصاره من بني قرة وظل بنو قرة، في إقليم برقة التي غادروها مع إخوانهم بني هلال إلى أفريقية الغربية[3].

وكان يقطن مدينة ودان قبيلتان من العرب، هما بنو سهم والمقيمون بموقع

---

(1) ابن خلدون: العبر ج2، ص644.

(2) المصدر نفسه: ج6، ص37.

(3) المصدر نفسه: ج6، ص37 ـ 38.

بهذه المدينة يسمى دلباك، أما قبيلة الحضارمة العربية فكانت تقيم بموقع يسمى بوص، وقد كانت الحروب كثيراً ما تنشب بين هاتين القبيلتين[1].

ويذهب الأستاذ بازامة إلى القول أن بني قرة كانوا هم المتغلبين على برقة[2]، ولم يلبث أن تغير الحال بعد قدوم قبائل بني سليم وبني هلال إلى الإقليم، وقد كانت برقة من نصيب بني سليم، وذلك بالاتفاق مع بني هلال الذين انزاحوا غرباً إلى طرابلس وأفريقيا[3].

كانت برقة من نصيب بني سليم ـ كما سبق وقد أشرنا ـ الذين استقروا بها وبسطوا نفوذهم على عرب الفتح والسكان المحليين، وتقاسموها فيما بينهم حسب توزيع أفخاذهم، إذ سكن بنو هيب وبنو لبيد في برقة، بينما سكن بنو دياب وبنو عوف في الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية من برقة.

قبيلة بني هيب بن سليم:

استوطنت هذه القبيلة من بني سليم بالجزء الشرقي من إقليم برقة، وقد امتدت حدود إقامتها غرباً حتى بئر السدرة، بالقرب من مدينة سرت، وتفرع هؤلاء إلى عدة بطون، منهم بنو أحمد المنحدرون من بني شماخ أكثر بني هيب ثراء، لاستحواذهم على المناطق الخصبة من برقة، مثل درنة، والمرج وطلميثة وأجدابية، كما جاورهم من الشرق أخوتهم من بني شمال وبني محارب وتولى رئاستهم بني عزاز.

لبيد بن سليم:

وتعد هذه القبيلة من أكبر بطون بني سليم، حيث تفرعت إلى أفخاذ كثيرة[4]، يبدو أن بني لبيد بن سليم قد بلغوا شأناً كبيراً من النفوذ والقوة، إذ

(1) البكري: المصدر السابق، ص11.

(2) بازامه: تاريخ برقه، ص77.

(3) ابن خلدون: العبر، ج2، ص619.

(4) من أهم أفخاذها أولاد حرام، أولاد سلام، البكات، البشرة، البلابيش، الجواشنة، =

انضمت إليهم وانصهرت معهم عشائر وبطون عربية، ويرى القلقشندي أن الموالك والنبلة والندوة والنوافلة ما هم إلا من بقايا قبيلة يمنية قديمة[1].

بنو دياب بن مالك بن سليم:

سكن هذا الفرع من بني سليم في الأجزاء الغربية من برقة بجوار بئر السدرة ودان، وتفرعوا إلى فرعين هما: بنو سالم وبنو سليم[2].

بنو عوف بن سليم:

ويسكن هذا الفرع على أطراف مدينة سرت[3].

قبائل ناصرة وعميرة:

من بطون سليم ويسكنون ما بين قصر العطش وقافز في إقليم برقة[4].

بنو جعفر بن عمر:

وينحدرون من سليم وينقسمون إلى بطون عديدة وكانت منازلهم من سوسة شرقاً إلى بئر السدرة غرباً[5].

بنو هلال:

سكنت بعض بطون هذه القبيلة في برقة مثل بنو بعجة وبنو قرة وقد ارتحل أغلبهم مع إخوانهم بني هلال إلى أفريقية.

= الحدادة، الحوتة، الدروع، الرقيعات، الزرازير، السوالم، السبوت، الشراعية، الصوايرات، العواكلة، العلاونة، الموالك، النبلة، الندوة، النوافلة، الزعاقبة، البعاجلة، القبايص، القصاص، أولاد سليمان، الرواشد النبلة، انظر: المقريزي، البيان والأعراب، ص71، 72.

(1) انظر: قلائد الجمان (تحقيق إبراهيم القاهرة، 1963، ط1) ص125.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ص68.

(3) المصدر نفسه، ص48.

(4) المقريزي: البيان والإعراب، ص71 ـ 72 .

(5) المقريزي: المصدر السابق ص74.

بنو غطفان:

ينحدر من هؤلاء بنو رواحة الذين استوطنوا برقة مع قبيلة بني هيب بن سليم[1].

قبيلة بني صبيح من بني فزارة:

تفرعت هذه القبيلة على العديد من البطون[2].

وظلت قبيلة بني سليم تتولى الزعامة في برقة حتى العصر المملوكي، إذ قام السلطان بيبرس بإقطاع هذا الإقليم إلى عطا الله بن عزاز في سنة 662هـ/1263م[3].

ثم تعاقب على ولاية إقطاع برقة آخرون منهم عدد من مشايخ بني سليم الذين تولوا قطاعها فيما بعد، ومنهم: جعفر بن عمر وعريف بن عمر وعمر بن عريف[4] وقد ذكر القلقشندي بأنه رأى عريفاً بالإسكندرية، بعد سنة 770هـ/1378[5].

ولما انحسرت سيادة المماليك على الإقليم، وأصبحت مجرد سيادة اسمية محضة، ظلت الأمور بيد مشايخ بني سليم، إذ أن قبائل السعادي المنحدرين من بني سليم ظلوا هم المهيمنين على الإقليم والدليل على ذلك أن أحد زعمائهم ـ الشيخ أبو هندي ـ هو الذي أقطع العائلات الأندلسية الأراضي الزراعية في درنة في منتصف القرن التاسع الهجري/ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي[6].

---

(1) البرغوثي: المرجع السابق: ص260.

(2) تفرعت صبيح بن فزارة إلى البطون الآتية: الجماعات، الشعوب، السننة، العقيبيات، العواسي الغشاشمة، القيوس، المساورة، المطارئة، المواجدة، المواسي، النخاسة، أولاد محمد، الحساسنة، المكاسرة.
انظر: المرجع السابق: ص266.

(3) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص73.

(5) انظر: قلائد الجمان، ص125.

(6) الطرابلسي: المرجع السابق: ص45.

البربر:

وقد تحول جزء كبير من قبيلة لواتة عن السواحل في برقة إلى دواخلها، وباديتها بداية من القرن الرابع الهجري، حتى يكونوا بمنأى عن أيدي أعدائهم من أنصار الفاطميين كالكتاميين والصنهاجيين، وقد وصلوا في نزوحهم إلى مدينة زويلة التي أسس فيها بنو الخطاب أسرة حاكمة على المذهب الأباضي(1) كما نزح جزء من لواتة إلى مصر الغربية والفيوم وبلاد الصعيد(2).

أما قبيلة هوارة فقد دخلت في مواجهات مسلحة ضد الفاطميين والصنهاجيين، الذين تعقبوهم بالقتل والتشريد فلجأوا أيضاً إلى زويلة(3) ويبدو أن نزوح هوارة إلى زويلة كان كبيراً، مما جعل ابن خلدون يقول: «برقة كانت داراً للواتة وهوارة، حيث كانت بها الأمصار المستبحرة، مثل برقة وزويلة ولبدة وقصر حسان»(4). وبداية من القرن الخامس الهجري امتدت بيوت هوارة إلى ودان، حيث كان يقطن بعضهم في المنازل بينما أقام بعضهم الآخر ببيوت الشعر(5).

يدل تحالف قبيلة زناتة مع بني قرة لمناصرة أبي ركوة في ثورته ضد الفاطميين على ما كانت عليه من قوة خلال نهاية القرن الرابع الهجري في إقليم برقة غير أن فشل ثورة أبي ركوة عرضهم لانتقام المعز بن باديس الذي حاربهم في إقليم طرابلس وتعقبهم في برقة عندما تولى أمرها بتكليف من الفاطميين منذ عام (403 ـ 1012م)(6).

وقد كان انتقام المعز بن باديس من زناتة أعداء قبيلته التقليديين مروعاً إذ

---

(1) صلاح عثمان أحمد عثمان: الحياة الاجتماعية والثقافية في برقة وطرابلس من القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2002)، ص101.

(2) القلقشندي: قلائد الجمان ص173 ـ 174.

(3) الشماخي: السيرة (القاهرة د.ت)، ص184.

(4) ابن خلدون العبر 6، ص204.

(5) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص660.

(6) ابن عذارى: المصدر السابق ج1، ص259 ـ الزاوي، ولاة طرابلس ص88.

يقول ابن خلدون عن ذلك ـ من خلال حديثه عن وصول بني هلال إلى برقة ـ: «فلما دخلوا أرض برقة وما والاها، وجدوا بلاداً كثيرة المرعى خالية من الأهل، لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز»[1].

وقد أدى دخول بني هلال وبني سليم إلى هجرة زناتة إلى بلاد المغرب[2].

كما كان من نتائج هجرة بني سليم وبني هلال مزج بقية البربر لا سيما في برقة ـ لقربها من مواقع العرب في الشرق ـ في بوتقة القبائل العربية، إذ أن كثيراً منهم انتسبوا إلى أصول عربية، بعد أن اختلطوا بالعرب بالجوار والنسب، وتلاشت الفوارق بينهم، وانتحلوا عادات العرب في الجود والنجدة وركوب الخيل، حيث يقول ابن خلدون عن ذلك عند حديثه عن قبيلة هوارة: «صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكن الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الصيف والشتاء. وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوها بفصاحة العرب، فلا يكاد يفرق بينهم»[3].

ويرى أحد المحدثين أن التسمية الحالية التي تطلق على جزء من سكان برقة باسم قبائل المرابطين إنما تعود إلى أنهم من سلالة القبائل البربرية القديمة التي كانت تقطن الإقليم[4].

يرى الدكتور جمال حمدان أن البربر في برقة هم الأسرع انصهاراً في بوتقة التركيبة العربية حيث لم يعد للشخصية البربرية أي مظهر منفصل إلا في بعض المواقع البسيطة في أوجلة ومراده وحول جبال تبستي فيما يعرف بالتبو في الجنوب الشرقي من برقة[5].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص131.
(2) إسماعيل كمالي: المرجع السابق، ص27.
(3) ابن خلدون: المصدر السابق ج6، ص141.
(4) د. عبد العزيز شرف: المرجع السابق، ص392.
(5) انظر: الجمهورية العربية الليبية دراسة في الجغرافيا السياسية (عالم الكتب القاهرة، 1970) ص138 ـ 139. =

اليهود:

ظل اليهود في برقة طيلة العصر الفاطمي، والأيوبي، والمملوكي، حيث مارسوا التجارة داخل هذا الإقليم، وتوزعوا على بعض المدن، التي تمر عبرها طرق التجارة البحرية والبرية، مثل إجدابية التي تقع على الطريق الذي يؤدي إلى أوجلة وبلاد السودان(1).

سكن اليهود في مدن برقة في أماكن خاصة، عرفت باسم الحارات، مثلما الحال في مدينة طلميثة، وقد مارسوا التجارة بالمشاركة مع المسلمين، كما كانوا يستقبلون تجار الريف(2).

وقد أشار أبو الفدا إلى أن اليهود في طلميثة قد بلغ عددهم في عصره ـ خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ـ حوالي مائتي يهودي، كانوا يقيمون في قصر طلميثة تحت خفارة العرب، وأنهم كانوا يزاولون التجارة مقايضة مع العرب، وقد ظلت طلميثة في تلك الفترة ميناء تجارياً تحمل منه المراكب الشعير والعسل(3).

كما أقاموا في المناطق الساحلية من برقة حيث مارسوا نشاطاً تجارياً في موانيء درنة(4). وتعتبر زويلة من أهم مناطق اليهود في برقة، لما مثلته من أهمية؛ لوقوعها على طريق تجارة الرقيق مع بلاد السودان(5).

= ولمزيد من المعلومات: انظر: شرف: جغرافيا ليبيا ص401 ـ 402 ـ : أحمد علي الفنيشي: المجتمع الليبي ومشكلاته (دار مكتبة النور، طرابلس ط1، 1967)، ص22.

(1) الحميري: المصدر السابق ص12؛ د. صالح مفتاح: المرجع السابق ص193.

(2) د. عطا أبو رية: اليهود في ليبيا وتونس والجزائر (أثيرك. القاهرة 2000) ص192.

(3) أبو الفداء: تقويم البلدان ص248 ـ 149.

(4) أبو ريه: المرجع السابق، ص193.

(5) بنيامين التطيلي: المصدر السابق ص170، د. عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي (دار عين، القاهرة، ط1، 2001)، ص34.

وقد تمتع التجار اليهود بالأمان في هذا الإقليم، إذ رافقوا قوافل المسافرين من المسلمين، حيث تشير إحدى وثائق الجنيزة إلى خطاب أرسلة رئيس اليهود في برقة إلى صديق له بالقاهرة يعلمه فيه بأنه حجز لنفسه ولبضائعه في رحلة مع قافلة تجارية إلى برقة، وأنهم وعدوه بمراعاة شعوره كيهودي[1].

ولا تمدنا المصادر التاريخية بأية معلومات عن حياة اليهود الاجتماعية في برقة خلال هذا العصر إلا أن الباحث يرجع بأنهم قد تمتعوا بكافة الحقوق التي تكفلها لهم الشريعة الإسلامية.

السودان:

أدت مجاورة إقليم برقة لبلاد السودان إلى جلب العديد منهم عن طريق تجارة الرقيق، حيث اشتهرت بعض مدن جنوب برقة بأنها من مراكز تجارة الرقيق[2]، وقد أدى هذا إلى تسرب عنصر جديد من السكان إلى هذا الإقليم ولا سيما في جنوبه، وقد انصهر عدد منهم مع سكانه بالتزاوج والمصاهرة بعد حصولهم حريتهم بالعتق[3].

بالإضافة لما سبق يجب الإشارة إلى أن التبادل التجاري بين بلاد السودان وبرقة قد أدى إلى استقرار وكلاء التجار السودانيين وذويهم في الإقليم مما أدى إلى وجود عنصر السودان.

طبقات المجتمع:

تشكل المجتمع في إقليم برقة خلال فترة الدراسة من ثلاث طبقات: الطبقة الحاكمة، وطبقة الفقهاء، ثم طبقة العامة التي ينتظم فيها أهل الحرف والتجار والفلاحون والرقيق.

---

(1) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص108.

(2) بنيامين التطيلي: المصدر السابق، ص170.

(3) حسن محمد جوهر وآخرون: ليبيا (دار المعارف، القاهرة، 1960م) ص9.

الطبقة الحاكمة:

تمثلت هذه الطبقة في إقليم برقة بعد القضاء على حركة أبي ركوة 397هـ/ 1006م في الولاة الصنهاجيين، الذين أسند إليهم الفاطميون في مصر أمور هذا الإقليم، فعين باديس بن مناد الوالي توصلت بن حميد، ولكن قبائل برقة طردت هذا الوالي[1] فأسند الفاطميون ولاية هذا الإقليم لمن يواليهم ويثقون في إخلاصه من بني قرة[2].

ثم تغير الوضع بعد استقرار بني سليم بها في منتصف القرن الخامس الهجري/ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، إذ انتقلت السلطة والحكم إلى بعض مشايخ بني سليم[3]، أما جنوب الإقليم فقد شهد ظهور بعض الأسر التي استطاعت تأسيس حكم مستقل مثل بني خطاب الهواريين في زويلة، وشهدت أوجلة حكماً مستقلاً، ولا تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات عن ماهية هذا الحاكم غير أن القائد قراقوش الأيوبي هو الذي وضع حداً لهذا الحكم عندما ضم هاتين المدينتين إلى حكم الأيوبيين سنة 568هـ/ 1172م[4].

تمثلت هذه الطبقة في بداية ضم هذا الإقليم للمماليك منذ سنة 662هـ/ 1263م في بعض الأمراء المماليك الذين حكموا الإقليم حسب نظام الإقطاع[5] أو بعض المشايخ المتنفذين لدى سلاطين المماليك من بني سليم[6].

لم يلبث الوضع أن تغير بعد ضعف سيطرة دولة المماليك على الأوضاع في

(1) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2، ص111.
(2) د. إحسان عباس: المرجع السابق، ص126، 127.
(3) المرجع نفسه: ص134.
(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص291، العيني المصدر السابق، ج1، ص229. ابن غلبون: المصدر السابق، ص163.
(5) العمري المصدر السابق، ص163.
(6) شافع بن علي الكاتب، المصدر السابق، ص86 ـ ابن عبد الظاهر المصدر السابق، ص219.

برقة، وأصبحت الطبقة الحاكمة تتمثل في عدد من مشايخ القبائل الذين استحوذوا على الأراضي الزراعية الخصبة، التي يقوم بزراعتها واستصلاحها زراع من قبائل أخرى لقاء حصولهم على جزء من الانتاج، وقد انحدر زعماء القبائل من بني سليم وقد تغيرت مسمياتهم بداية من القرن التاسع الهجري إلى اسم السعادي، بينما ينحدر الذين يقومون بفلاحة الأرض باسم المرابطين[1].

يرى الأستاذ بازامة بأن واحة أوجلة شهدت نظاماً طبقياً صارماً تمثل في ظهور طبقة النبلاء الذين يمثلون الطبقة الحاكمة في الواحة[2].

طبقة الفقهاء:

لا تمدنا المصادر التاريخية إلا بمعلومات مختصرة عن هذه الطبقة في برقة، منها ما ورد عن أن للفقهاء في برقة دوراً ترشيداً لإرشاد الجاهل لممارسة العبادات بشكل صحيح حسبما جاءت به تعاليم الدين الإسلامي، فقد روى الفقيه علوان البستي أنه كان ينتظر الصلاة هو وجماعة من بني عمه في مسجد بست[3] ببرقة دخل أعرابي واستقبل القبلة، وقرأ في الركعة الأولى قولاً ما هو بقرآن وهو: «الله أحد قاعد على الرصد مثل الأسد لا يفوته أحد».

وأتى في الركعة الثانية بمثل هذا القول فلما فرغ من ذلك أخبره هذا الفقيه بأن ما قاله ليس من القرآن، وأن صلاته لا يقبلها الله منه، غير أن هذا الإعرابي كان على قدر كبير من الجهل، فلم يقبل تدخل هذا الفقيه، وأعلمه بأن الله ليس من المسفلة الذين يردون قاصديهم[4]، ويرى الباحث أن في ذلك انتشاراً للجهل

---

(1) الجوهري: المرجع السابق ص172؛ شرف: المرجع السابق 402؛ زيادة: المرجع السابق ص14.

(2) انظر: واحات الجنوب البرقي ص26.

(3) بست: اسم لموضع على البحر شمال مدينة البيضاء الحالية بنحو 25كم، الباحث.

(4) أحمد بن محمد السلفي: معجم السلفي (مخطوط بدار الكتب المصرية ملف رقم 5865 تاريخ 3932) ج2 ورقة 325، 326.

والأمية الدينية في بعض الأنحاء من الإقليم، هذا وجد بمدينة طبرق والي يساعده قاضي للفصل في الخصومات خلال العصر المملوكي، غير أن ذلك بطل عندما ازداد تسلط الأعراب بعد عهد الظاهر برقوق[1].

وينضم إلى هذه الطبقة في برقة بعض رجال الدين الذين عرفوا بمؤلفاتهم الدينية والفقهية، ومن هؤلاء العالم الفقيه المتصوف أحمد بن زروق الذي أقام في مدينة أوجلة ردحاً من الزمن، ثم توجه إلى مدينة مصراتة التي استوطنها حتى مماته سنة 899هـ/ 1493م، وقد دعت تعاليمه إلى الرجوع بالتصوف إلى تعاليم الشريعة، وقد وصف أدعياء التصوف في زمنه بالجهل والتكالب على الدنيا[2].

الطبقة العامة:

تمثل هذه الطبقة غالبية سكان الإقليم وتشتمل على أهل الحرف والبضائع والتجار والفلاحين والرقيق، وقد تمتع بعض فئات هذه الطبقة بمكانة مرموقة مثل طائفة كبار التجار الذين يتصفون بالثراء، لعملهم في تجارة الصحراء، وبلاد المغرب، والحجاز، مثل التاجر أبو عطية عطا الله بن فايد، والتاجر عبد الحميد بن محمد علي الجلالي[3].

وقد اقتصرت مزاولة الحرف الصناعية والتقليدية ولا سيما في الواحات الجنوبية من برقة على فئة السودان، الذين تم عتقهم كما هو الحال في أوجلة[4].

يعد الرقيق من أهم شرائح هذه الطبقة، وقد اكتظت مدينة زويلة بالرقيق

---

(1) بهاء الدين محمد بن لطف الله: المقصد الرفيع المنشا الحادي إلى صناعة الإنشا (مخطوط بدار الكتب المصرية ملك 50244 جغرافياً 21031) ورقة 87.

(2) أحمد بن محمد زروق: عمدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وحوادث الوقت (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 26543 تحت رقم 95 تصوف) ورقة 20، 158.

(3) السلفي: المصدر السابق (مخطوط) ج2 ورقة 198، 199.

(4) بازامة: واحات الجنوب البرقي ص67.

لكونها أهم محطات تجميعهم من السودان في برقة[1].

أما فئة الفلاحين من هذه الطبقة فقامت بدور مهم في زراعة الأراضي مقابل الحصول على جزء من الانتاج، ولا سيما بعد تطبيق النظام الإقطاعي مع هيمنة المماليك على الإقليم[2].

وتعد هذه الفئة من فئات البؤساء والمهمشين في التاريخ، إذ أن ابن خلدون يرى أن الزراعة من معاش المستضعفين[3]، وقد ألقت بعض المؤلفات التاريخية الضوء على طبيعة علاقات الإنتاج بين صاحب الأرض، أو ملاكها مع المزارع، والتي تتمثل في أن يقوم صاحب الأرض بتسليم المزارع أرضه مقابل الحصول على جزء من الإنتاج، ومن المرجح أن يكون انتشار هذا النمط من المشاركة الزراعية في برقة بسبب حالة البؤس التي كان يحياها أغلب الفلاحين في ذلك العصر[4].

كما اشتملت هذه الطبقة على فئة الرعاة ومربي المواشي، الذين تعرضوا في بعض الأوقات لكوارث طبيعية كحدوث الأوبئة، وعدم سقوط المطر، مما أدى إلى هلاك ماشيتهم، وبالتالي هلاكهم جوعاً، ونزوحهم عن أوطانهم[5] كما أنهم قد تعرضوا إلى عسف المقطعين، بمصادرة مواشيهم عند تأخرهم في دفع الضرائب العينية[6].

وتعد فئة المتسولين من الفئات المهمشة في برقة، وكانت أحوالهم مزرية، ويعترضون قوافل المسافرين يستجدونهم من أجل الحصول على ما يجودون به

(1) بنيامين التطيلي: المصدر السابق، ص170.
(2) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص219.
(3) ابن خلدون: المقدمة (المكتبة التوفيقية، القاهرة د.ت) ص435.
(4) المقريزي: إغاثة الأمة، ص32 ـ 33.
(5) ابن دقماق: المصدر السابق، ج5، ص115، ابن أيبك: المصدر السابق، ج8، ص173.
(6) ابن إياس: المصدر السابق، (مخطوط، ورقة 8).

عليهم، وربما اضطرتهم المجاعة لأكل الأعشاب البرية[1].

كما تلحق المتصوفة بفئات هذه الطبقة، وقد أشار الفقيه العالم زروق إلى انتشار تعاليم الصوفية بين أهل أوجلة، وكيف أنهم كانوا يحسنون إلى المحتاجين والفقراء وعابري السبيل الذين يمرون بالواحة[2].

وتعتبر فئة الدجالين والسحرة من فئات هذه الطبقة في الإقليم، إذ كانوا يحتالون على الجهلة، لقاء الحصول على الطعام والشراب، نظراً لتردي الأحوال الاقتصادية في برقة في بعض الأحيان، إذ يذكر الرحالة البلوي الذي اضطرته الظروف إلى أن يسلك طريق برقة البري هو وأخوه، وأن يعيش بكتابة الرقى والتعاويذ والأحجبة، ورواية الشعر لقاء حصوله على حفنة من شعير ليسد رمقه، وقد أشار بأن عمله هذا يتنافى مع ما يعتقده كعالم وفقيه، وبرر ذلك بقوله شعراً:

تدعو الضرورة في الأمور إلى ركوب ما لا يليق بالأدب[3]

كما تعد فئة اللصوص وقطاع الطرق من أهم فئات العامة في برقة، وكثيراً ما تعرضوا للمسافرين، ولم يسلم حتى الحجاج من أذاهم، وكان يكثر اعتراضهم للقوافل في سنوات القحط والجفاف[4].

المرأة:

قامت المرأة في إقليم برقة ـ ولا سيما في الريف والبادية ـ بدور هام في الحياة، وقد نالت حرية نسبية سمحت لها بالقيام ببعض الأعمال الاقتصادية التي تتمثل في رعي الماشية وحلبها، ومساعدة زوجها في أعمال الحقل الزراعية[5]،

(1) د. محمد محمد حسين: المدينة والبادية بأفريقيا في العهد الحفصي ج1 (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999م) ص455.
(2) أحمد السويسي: المرجع السابق، ص149، 150.
(3) البلوي: المصدر السابق، ج2، ص33 ـ 35.
(4) الوزان: وصف أفريقيا، ج1، ص65، التيجاني: المصدر السابق.
(5) تيسير بن موسى: المرجع السابق، ص146.

كما أنها قامت بمقايضة منتجاتها الحيوانية مع ركبان الحجاج والمسافرين[1].

أما المرأة في المدن والواحات فقد كانت أكثر تقييداً، إذ يتبين من طبيعة بناء المدن القديمة في برقة أن المرأة كان محظوراً عليها الخروج من البيت[2]، وهذا لا يمنع من قيامها ببعض الأعمال المنزلية الضرورية كطحن الحبوب، وإعداد الطعام، ونسج المنسوجات[3] فنساء مصراتة على سبيل المثال اشتهرن بصناعة البسط والبطانيات في بيوتهن، وكان أزواجهن يقومون بمقايضة هذه المنتجات مع البدو في برقة من الأغنام والصوف والسمن[4]. وتذهب الدكتورة عازة عمر إلى تسمية بعض القبائل في برقة بأسماء أمهاتها دليل على ما وصلت إليه المرأة من مكانة عند البدو في هذا الإقليم[5]، ومن هذه القبائل قبيلة السعادي من بني سليم والذين ينسبون على أمهم سعدي بنت الزناتي خليفة[6]، وينظر البدو في برقة إلى زوجاتهم كصديقات يشاركنهم متاعب الحياة[7].

مظاهر الحياة الاجتماعية:

المساكن:

تختلف نماذج المساكن في إقليم برقة من منطقة إلى أخرى، فقد سكن أهل المدن في الشمال والواحات في الجنوب في مباني متواضعة من الحجارة

---

(1) العبدري: المصدر السابق، ص204.

(2) تيسير بن موسى: المرجع السابق ص58.

(3) المرجع السابق، ص147.

(4) محمد السنوسي الغزالي: المرجع السابق ص177، جان فرنسيس المرجع السابق، ص141.

(5) انظر: التنمية وتغير القيم في المجتمع الليبي (رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الاقتصادية الاجتماعية، جامعة الخرطوم 1998)، ص171.

(6) د. عبد العزيز شرف: جغرافيا ليبيا، ص392، د. محمد عبد الرازق مناع: الأنساب العربية في ليبيا (شركة المختار للطباعة والنشر، 1999م، ط2) ص83.

(7) جان باشو: المرجع السابق ج117، ص171.

والطين، ومسقفة بجذوع النخل والأشجار، وتغطى بطبقة من الطين، ويتشكل المنزل من مجموعة من الغرف الصغيرة والتي تضم في العادة الأب وأبناءه المتزوجون، وكانت هذه الغرف مستطيلة الشكل، وخصصت غرفة لاستقبال الزوار من الرجال يطلق عليها اسم (المربوعة) وكانت منفصلة عن بقية غرف المنزل، وذلك يرجع إلى التقاليد المتعلقة بحجاب المرأة، ولا تطل هذه الغرف على الشارع، إلا بنوافذ صغيرة، ومرتفعة، ويتضح هذا النموذج في بناء المنازل في المدن العربية بشكل أكثر وضوحاً من الواحات الجنوبية مثلما هو الحال في أوجلة[1].

ويذهب الأستاذ بازامة إلى أن بعضاً من أهل أوجلة سكنوا في أخصاص من النخيل، في الأماكن التي تكثر بها المستنقعات والأراضي الرخوة التي لا تحمل الأبنية التي تشيد بالطين والحجارة[2] وقد بنى أهل برقة المباني ذات الأقبية المخروطية الشكل ولا سيما في أجدابية وأوجلة[3].

ويبدو أن اندثار الآثار الدالة على ما بنى في بعض المدن الساحلية في العصور الإسلامية والتي من بينها فترة الدراسة، يرجع إلى بدائية المواد المستعملة في البناء والتي تتمثل في الطين المخلوط بالقش والتبن[4].

وقد أدخل الأندلسيون على المباني في برقة رونقاً مميزاً، حيث كانت مبانيهم تتميز بالجمال[5].

وكان أهل الجبل الأخضر يسكنون في بعض الكهوف الطبيعية، والكهوف التي خلفها الإغريق والرومان، واستعملوها كمقابر والتي تميز بعضها باحتوائه

(1) بازامة: واحات الجنوب البرقي، ص35 ـ 50.
(2) المرجع السابق، ص35.
(3) البكري: المصدر السابق، ص5، بازامه: المرجع السابق، ص46.
(4) عمر سليمان صالح: الحركة السكنية في مدينة بنغازي، ص173.
(5) الطرابلسي: المرجع السابق، ص347، شلوف: المرجع السابق، ص83.

على عدد من الغرف، استعملها الأهالي للنوم والأكل والطبخ[1].

أما غالبية البدو من أهل برقة فكانوا يسكنون في خيام من الشعر، تقوم نساؤهم بصنعها، ولا تختلف في شكلها عن خيام إخوانهم من بدو الصحراء الغربية في مصر[2]. وتقسم الخيمة إلى قسمين قسم يخصص للرجال، وآخر للنساء وتضم أثاثاً بسيطاً يتمثل في بعض البسط والأغطية والأدوات المنزلية الضرورية[3].

الملابس:

لا تمدنا المصادر التاريخية إلا بشذرات قليلة عن نوعية الملابس التي كان يلبسها أهل برقة، ولا شك أنها كانت لا تختلف كثيراً عن ما كان يلبسه المغاربة عموماً من بربر وعرب في تلك الفترة، ومن المرجح أن لباس أهل برقة من الرجال كان مصنوعاً من الصوف، وكانوا يلبسون الأكسية المزركشة ذات العلامات المميزة وكانوا يغطون رؤوسهم ببرانسهم وقلانسهم الطويلة[4] وكانت أحذية النساء والرجال في برقة تصنع من الجلود التي اشتهرت بها بعض المدن مثل زويلة[5] ومن خلال بعض التسميات المستعملة في هذا الإقليم يتضح الأثر الأندلسي على هذا النوع من الألبسة إذ يعرف نوع من الأحذية النسائية والرجالية باسم السباط، وذلك نسبة إلى التسمية القتشالية التي جلبها الأندلسيون إلى الإقليم بعد استقرارهم به ويعرف باسم Loszaptos[6]، وقد عرفت نساء برقة

---

(1) العبدري: المصدر السابق، ص482. (2) الجوهري: المرجع السابق، ص28.

(3) المرجع نفسه: ص29 ـ 30.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص176، د. سعد زغلول عبد الحميد: الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري في العصور الإسلامية الوسطى (جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1973، ص209 ـ 210).

(5) لمياء محمد سالم: تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط (مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، طرابلس 2001) ص141.

(6) د. محمد حسين: المرجع السابق ج2، ص598.

لباس بعض الأحذية الطويلة المزركشة، والتي تحدث صوتاً عند المشي بها وكانت تعرف في المغرب باسم الأحذية الصرارة[1]، وارتدى الرجال في برقة القميص والسروال المصنوع من التيل الكتان، وقد عرف أهل برقة لباس من الجوخ (الملف) ذي لون موحد ومزين بخيوط مزركشة ويتكون من أربع قطع متجانسة في اللون، سروال، وصديري صغير بأزرار وصديري أكبر حجماً بدون أزرار ويلبس فوق الجميع جاكته (زبون) بأكمام مزخرفة[2]، ويبدو أن هذا النوع من الأزياء الرجالية من موروثات العصر المملوكي[3] ويعد الجرد (الحرام) من أشهر ألبسة الرجال في برقة، وهو نسيج صوفي أو حريري أبيض اللون، طوله أربعة عشر قدماً، وعرضه خمسة أقدام، له أغراض متعددة، فهو يحمي من البرد في الشتاء، ويحمي من حرارة الشمس في الصيف[4]، ويرتدي أهل برقة الجرد بشكل مميز إذ كان يلف على أغلب الجسد، حيث يمرر أحد أطرافه من تحت الإبط ليلتقي بالطرف المتدلي منه على الكتف، ويلتحمان في ربطة على الصدر من الجهة اليسرى[5]، وقد أثارت طريقة لبس البدو لهذا الزي إعجاب بعض الرحالة الأجانب الذين مروا بالإقليم[6]. وهناك من يعزو ظهور هذا الزي في الشمال الأفريقي إلى عصر الرومان، وأنه ليس إلا زياً معدلاً عن الرداء الروماني (Roman Toga)[7]، غير أن الاكتشافات الأثرية الحديثة بينت من خلال صور بعض التماثيل التي ترجع إلى الفترة سبقت دخول الرومان إلى الشمال الأفريقي،

---

(1) د. كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار المعرب للونشريس (مركز الإسكندرية، الإسكندرية، 1966) ص48.

(2) Dozy: Dictonnaire Detaille Des Noms Vetement Chez Les Arabes: Amsterdam 1845 P: 143.

(3) د. سعيد الخادم: الأزياء الشعبية (وزارة الإسكندرية، 1961) ص85.

(4) سالم شلابي: البسة على مشجب التراث (الدار الجماهيرية ط1 بنغازي، 1999)؛ Dozy: op. cit, p: 43.

(5) شلاي: المرجع السابق ج14، جون فرنسيس: المرجع السابق ج10.

(6) جان ريمون ماش: المرجع السابق ص117.

(7) حسن محمد جوهر وآخرون: ليبيا (دار المعارف، القاهرة، 1969م) ص53.

وجود هذا الزي قبل تلك الفترة بزمن طويل عند قدماء الليبيين في الإقليم[1].

أما أغطية الرأس الرجالية في إقليم برقة فمن أهمها الشاشية الحمراء، والتي يختلف في تاريخ دخولها للإقليم فمن المحتمل أنها انتقلت إلى برقة من مصر التي ـ استحدثت فيها ـ منذ عهد خليل بن قلاوون 689 ـ 693هـ/ 1290م ـ 1293م[2].

وقد أدخل الأندلسيون إلى الإقليم ألبستهم، حيث عرف الأندلسيون بأنهم «أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون»[3] ويرى البعض أن الأندلسيون هم الذين أدخلوا لبس الشاشية الحمراء بين أهل برقة، كما أدخلوها إلى تونس[4] وقد حرف اسمها في إقليم برقة من شاشية إلى شنة[5] كما كان الرجال يغطون رؤوسهم بقطعة من القماش القطني الأبيض تلف حول الرأس، ويتخذ من باقيها لفافاً على الوجه، وقد دخلت إلى الإقليم بعد هجرة بني سليم وبني هلال[6].

أما النساء فكن يغطين رؤوسهن بنوع من أغطية الرأس تسمى بالعصابة وهي في الغالب من القماش لطبقة العامة، ومن الحرير للنساء الموسرات ويعد هذا النوع من أغطية الرأس من الملابس النسائية المستعملة في مصر خلال عصر المماليك[7] كما كن يلبسن الثوب ذي الكمين الواسعين، ويتمنطقن عليه بحزام

---

(1) عبد الكريم فضيل الميار: كهف الآثار الليبية بقرية أسلنطة (المجلة العلمية. كلية التربية، جامعة قاريونس، فرع البيضاء، السنة الأولى، العدد الثاني، 1981م) ص114.

(2) د. رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس (دار الآفاق، القاهرة، 2003) ص318، ل. أ. ماير: الملابس المملوكية (ترجمة عبد الرحمن فهمي، صالح الشيمي، الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة) ص52.

(3) المقري: المصدر السابق، ج1، ص320.

(4) مجهول: ديوان أزجال مغربية (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 376 شعر تيمور فيك: 2892) ورقة 106 ـ د. محمد حسن: المرجع السابق ج2 ص597.

(5) شلابي: المرجع السابق، ص73.

(6) المرجع السابق، ص47.

(7) المرجع نفسه، ص89.

من الصوف الأحمر أو الأبيض[1] وكانت النسوة البدويات يلبسن جلباباً طويلاً، وسروالاً وعصابة على الرأس، تربط على حجابين، أولهما: واسع فضفاضاً يوضع فوق الرأس وينسدل على الكتفين والرقبة، أما الثاني فيغطي العينين وأسفل الذقن[2].

ويتضح لنا من خلال وصف الرحالة العبدري أن بعض نساء البدو واللائي يقمن بمقايضة منتجاتهن مع قوافل المسافرين والحجاج، كن أكثر تحرراً في لباسهن، إذ وصفهن العبدري بأنهن لا يهتممن سوى بستر وجوههن بالبراقع... بينما يسرن بين الناس مكشوفات الأطراف والرؤوس[3].

ولا تختلف الملابس النسائية في المناطق الحضرية من برقة عن ملابس النساء في البدو، إلا في نوعية نسجها، ويرجع الباحث ذلك إلى أن الموسرات من نساء تأنقن في لباس الحرير الذي أدخله اليهود إلى مدينة درنة[4] وكانت النساء الحضريات تلبس عند الخروج من منازلهن ملاءة بيضاء تشبه الملاءة المصرية في طريقة لبسها[5].

الطعام:

كان أهل برقة يعتمدون في تحضير أغلب مأكولاتهم على الدقيق الذي يعد من طحن الغلال كالقمح والشعير[6] والذرة[7]، وكانوا يصنعون الخبز من الدقيق ويسمى خبز تنور الذي يصنع في التنور أو جرادق وفطيرة، وكان الخبز يشكل العنصر الأساسي من الطعام، لا سيما عند العامة، وقد يؤكل وحده أو مع التمر

---

(1) المرجع نفسه ص29 ـ 30؛ رفعت الجوهري: المرجع السابق ص35.

(2) خير الله عطيوة: المرجع السابق ص188.

(3) انظر: رحلة العبدري ص203.

(4) عطا أبو رية: المرجع السابق ص193.

(5) شلابي: المرجع السابق، ص73؛ حسن محمد جوهر: المرجع السابق، ص55.

(6) المغربي: الجغرافيا ص146؛ الوزان: المصدر السابق ج2 ص65.

(7) المقريزي: جني الأزهار (مخطوط) ورقة 24.

أو اللبن[1]، ويذهب الأستاذ عبد السلام قادربوة بأن نوعية الدقيق الذي تستعمله الأسرة في برقة في أكلها اليومي دليل على مستواها الاقتصادي، إذ يرى أن الأسرة الغنية كانت تستعمل دقيق القمح لتصنيع الخبز، والأسرة المتوسطة تستعمل دقيق يسمى الغليثة، وهو مزيج من دقيق الشعير والقمح، أما الأسرة الفقيرة تستعمل دقيق الشعير لتصنيع الخبز[2].

كما كانت الدشيشة من الأطعمة المعروفة في برقة، وتصنع من الشعير، أو القمح المجروش في الرحى، وتطهى باللبن، أو على مرق اللحم، ويضاف إليها بعد النضج بعض من الزبد والسمن[3]، كما تعد العصيدة من أهم الأطعمة في برقة وتصنع من دقيق القمح، وذلك بأن يغلي الماء ثم يضاف إليه مقادير من الدقيق تدريجياً مع الخلط حتى يصبح قوامها متماسكاً، وتنضج على النار ثم تقدم ويوضع عليها الزبد[4] يصنع بنفس الطريقة طعاماً ومن دقيق الشعير، يسمى البازين، وتوضع عليه مرقة اللحم والبصل[5].

كما أن طعام الكسكسي أو الكسكسو الذي يشتهر بلاد المغرب عموماً بطهيه[6] كان معروفاً في إقليم برقة[7]، ويصنع من دقيق الشعير أو القمح ويجعلون

(1) د. محمد حسين: المرجع السابق، ج3، ص803.
(2) عبد السلام قادربوه: أغنيات من بلادي (منشورات دار الكتاب طرابلس ط3، 1982) ص233، 234.
(3) عطيوة: المرجع السابق، ص183؛ الجوهري: المرجع السابق ص37.
(4) جون فرنسيس: المرجع السابق، ص43.
(5) د. محمد حسين: المرجع السابق، ج3 ص804.
(6) مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الوحدين (تحقيق أمير ونزيواويثي ميرندا صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد المجلد 9، 10 مدريد 1961، 1962، ص181 محمد محمد ماضي، عناصر السكان في مصر في العصر الفاطمي المتأخر 427 ـ 567هـ (رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة عين شمس) ص167 عبد الحي عبد الحكيم الكتاني: تبليغ الأمانة، مضار الإسراف والتبرج والكهانة (فاس، 1315هـ) ص132.
(7) ابن ناصر الدرعي: رحلة ابن ناصر الدرعي (مخطوط بالهيئة المصرية للكتاب رقم 818 جغرافيا ورقة 141.

عليه السمن والبقول واللحم[1] كما يدخل زيت الزيتون في إعداد بعض الوجبات السريعة، مثل الزميتة أو البقينة، وهي عبارة عن دقيق القمح والشعير المحمص المعجون بالزيت والماء ويتزود بها في العادة الحجاج والمسافرون[2] ويعد الكشك من الأطعمة المعروفة في برقة وهو عبارة عن لبن يخلط ويجفف مع حبوب القمح في مكعبات صغيرة تستعمل طعاماً في حالة فقدان اللبن[3] كما كانوا يتناولون اللحوم المقددة[4]، وذلك بتقطيع اللحم إلى شرائح صغيرة يضاف إليها الملح ثم تجفف في الشمس، وتقلى بقليل من الدهن[5]، ويتزود بها المسافرون لكونها غير قابلة للتعفن، يذكر الرحالة العبدري أثناء مروره ببرقة سنة 688هـ/ 1289م أن صبياً عرض على قافلته شراء لحم ظبي مقدد[6]، ويشتهر أهل الواحات في جنوب برقة بصنع أنواع من الطعام مثل الفتات، الذي يتكون من رقاق الخبز المغمور بمرق اللحم، كما يشتهر أهل واحة أوجلة بتربية الحمام وأكله، ويرى الباحث أن اشتهار أهل أوجلة بتناول الحمام يرجع إلى تأثرهم بالمصريين، وذلك بسبب صلاتهم التجارية القديمة مع مصر[7].

وترجع شهرة أهل مدينة درنة بلذة أطعمتهم إلى مؤثرات أندلسية[8] حيث انفرد أهل هذه المدينة بجودة إعداد التوابل والسمك والمقبلات التي كان يشتهر بها الأندلسيون[9]، ويتصف البدو عادة بقلة تناولهم للأغذية، إذ أنهم كانوا

(1) الدرعي: المصدر السابق، مخطوط، ورقة 144؛ حسن محمد جوهر وآخرون: المرجع السابق ص142.
(2) عطيوة: المرجع السابق، ص183.
(3) المرجع السابق، ص183.
(4) الحميري: المصدر السابق ص608.
(5) جون فرنسيس: المرجع السابق ص43.
(6) انظر: الرحلة ص209.
(7) بازامة: المرجع السابق ص53.
(8) د. عبد السلام شلوف: مدينة الوادي ص83.
(9) مجهول: الطبيخ ص26، 75، 160، 224، 226؛ د. سامية مصطفى مسعد: صور من =

يكتفون بقليل من حليب النوق وبعض التمر، كما أنهم كانوا لا يتناولون اللحوم إلا نادراً[1] ويقتات عامتهم على منتجات بيئتهم التي يعيشون فيها مثل الحلزون[2] والذي يسمى ببرقة البلبوش[3] والترفاس (الكمأة)[4].

العادات والتقاليد:

اتصف أهل برقة بالعديد من العادات الإيجابية منها والسلبية فهم، كالبدو عامة يتفاخرون بعادة إكرام الضيف[5] فقد أكرم بنو كعب السليميين القاضي أبا بكر بن محمد العربي عندما تحطم مركبه في برقة، ولجأ هو ووالده إلى خيامهم، فرحبوا به وأكرموه[6]، وعن تلك الميزة يقول الرحالة العبدري أثناء مروره ببرقة في ذهابه إلى الحج سنة 688هـ/ 1289م: «ولا معترض للحاج عندهم يقرؤون التنزيل ويوالون المنفض بالجميل»[7].

ويصف ابن خلدون أعراب بني جعفر ببرقة قائلاً: «وركاب الحج يحمدون سيرتهم في حسن نيتهم في التجافي عن حجاج بيت الله وإرفادهم بجلب الأقوات لسربهم وحسن الظن بهم»[8].

= المجتمع الأندلسي (رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم) دار عين للدراسات ط1. القاهرة 1998م ص51.

(1) عطيوه: المرجع السابق ص188.

(2) الحلزون: دابة تكون في نبات الرمث الذي ترعاه الإبل وهي جنس الأصداف. الطاهر أحمد الزواي: تركيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة مطبوعات دار الكتب العلمية بيروت 1979م ج1 ص69 مادة حلز، ج2 ص386 مادة رمث.

(3) أحمد صفر: مدينة المغرب العربي في التاريخ (دن، تونس، 1959م) ص61.

(4) الترفاس (الكمأة) نبات رملي ينبت تحت الأرض ذي قيمة غذائية عالية وهو ثمر منعش في نظر الأطباء يقوم الأعراب بأكله مشوياً ومطبوخاً مع اللبن: الوزان: وصف أفريقيا ج2 ص117.

(5) عطيوة: المرجع السابق ص181.

(6) أبو بكر بن محمد بن العربي: ترتيب الرحلة للترغيب في الملة (تحقيق: سعيد عراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م) ج11 ص198 ـ 201.

(7) انظر: رحلة العبدري ص204. (8) انظر: العبر ج6 ص87.

وفي المقابل فإن عادة السلب والنهب كانت تنتشر في بعض الأنحاء من برقة. ولا سيما خلال سنوات القحط والجفاف[1]، وتمدنا وثائق الجنيزة عن ممارسة بعض مشايخ القبائل في برقة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي لأدوار متعددة حسب الظروف السائدة ومن هؤلاء جبارة بن مكثر الذي اشتهر كقرصان في بعض الأحيان وحام للقوافل البرية والسفن البحرية في أوقات أخرى[2].

ويتحدث الرحالة البلوي عن ما لاقاه هو وأخوه في نواحي مرسى عمارة بشرف برقة من متاعب وأهوال، وكيف أنه لم يحصل إلا على النزر القليل من الشعير إلا بعد شدة ومعاناة[3].

كما يصف الوزان قيام قطاع الطرق ببرقة باعتراض قوافل المسافرين والحجاج وتعديهم على بضائعهم وما بحوزتهم من أموال، وقد بلغ من تعنت هؤلاء بأنهم لم يكتفوا بتفتيش ما يقع تحت أيديهم من مسافرين، بل كانوا يسقونهم لبناً ثم يحركونهم ليلقوا ما في بطونهم من نقود[4].

كما انتشرت بعض العادات السيئة في إقليم برقة، كالشعوذة والخرافات والسحر، مما جعلهم يهتمون بتعليق التعاويذ والأحجبة، وقطع الخزف المكسورة (الشقف) وقرون الحيوانات وعظامها[5].

وقد شغف بعض أهل برقة بمعرفة ما سيقع من أحداث مستقبلية، لذا فقد استعانوا ببعض الأعمال التي يرون بأنها تعطي مؤشرات على ذلك، مثل قراءة

(1) التجاني: المصدر السابق، ص191.
(2) س. د. جوايتاين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية (ترجمة وتحقيق د. عطية القوصى. وكالة المطبوعات. الكويت، 1980) ص240.
(3) البلوي: المصدر السابق، ج2، ص32.
(4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص110.
(5) البلوي: المصدر السابق، ص34، 35.

الرمل[1]، وقد وصف ابن سعيد المغربي أهل ودان بقوله: «أحذق خلق الله في خط الرمل»[2].

وقد ظهرت في برقة حالات شاذة لبعض مدعي النبوة الذين جمعوا حولهم بعض الأنصار، إذ قام أحد بني سليم وزعم بأنه ينزل عليه قرآن جاء فيه: «أيها الناس إنما الناس بالناس ولولا الناس لم يكن الناس، والجميع برب الناس»[3] وتصمت المصادر التاريخية عن الحديث عن مصير هذا المدعي، وكيف كانت نهاية دعوته.

وعرف أهل برقة بمزاولة بعض الأعمال الترفيهية، كالاهتمام بسماع الشعر[4] والصيد البري والبحري[5] ولعبهم للشطرنج، حيث أشار الفقيه أبو بكر بن العربي في سنة 480هـ/ 1092م إلى أنه قد شاهد أحد مشايخ بني كعب السليميين وهو يلعب الشطرنج، وكيف أنه قد قام بمساعدته في تحريك بعض قطعه[6]، كما عرفوا لعبة أخرى تسمى الشيزي[7] يقوم بلعبها النساء والرجال على

(1) تعرف عملية خط الرمل في إقليم برقة باسم التاقزة، وهي نوع من أنواع الكهانة، ومحاولة التعرف إلى الغيب المجهول، بواسطة وضع نقاط تخط على الرمل وفق قواعد فلكية يعرفها مزاولي هذا العمل من الرجال والنساء.
انظر: محمد المرزوقي: مع البدو في حلهم وترحالهم (الدار العربية للكتاب، طرابلس تونس ط2، 1984م)، ص168 ـ علي محمد برهانة: سيرة بني هلال ظاهرة أدبية (كلية الآداب، جامعة سبها، 1994). ص414.

(2) المغربي: بسط الأرض ص61.

(3) محمد بن علي بن يوسف: المنتقي من أخبار مصر لابن ميسر (تحقيق أيمن فؤاد سيد المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة) ص128.

(4) ابن العربي: المصدر السابق. ص201؛ البلوي: المصدر السابق ج2 ص34، 35.

(5) ابن دقماق: المصدر السابق ج5 ص110؛ ابن منكلي: المصدر السابق ج133.

(6) ابن العربي: المصدر السابق ج201.

(7) الشيزي: لعبة مربعات ليبية تشبه لعبة الضامة المعروفة، انظر: محمد جبريل، تجريدة حبيب، دار الكتاب الليبي، بنغازي، 1992.

السواء في أوقات فراغهم وتتشابه هذه اللعبة مع لعبة الشطرنج[1].

نستخلص مما سبق أن طبيعة توزيع السكان في إقليم برقة، خلال فترة البحث قد طرأ عليه بعض التغيير، إذ سيطر العنصر العربي بعد قدوم بني سليم إلى الإقليم، فقاموا بتوزيع الأراضي على عشائرهم، وانصهر البربر تقريباً في بوتقة العنصر العربي، كما حوى الإقليم عناصر أخرى مثل اليهود الذين قاموا بأدوار اقتصادية، تمثلت في قيامهم بمبادلات تجارية مع أهل الريف بإقليم برقة، قاموا في الغالب بدور الوسيط بين التجار الأجانب وأهل برقة، كما ظهر السودان لقربهم من حدود الإقليم، ولقيامهم ببعض الأعمال الصناعية والزراعية، كما خلص الباحث على اختلاف طبقات المجتمع، فقد برزت الطبقة الحاكمة على قمة طبقات المجتمع، وتمثلت في الولاة الذين كان يعينهم الصنهاجيون بأمر من الفاطميين، وكيف أن هؤلاء كانوا غير مرحب بهم في الإقليم، وقد تمثلت هذه الطبقة في بعض الأجزاء الجنوبية من الإقليم، في بعض الأمراء الذين أسسوا لأنفسهم حكماً ذاتياً، كما هو الحال في أوجلة، وحكم الهواريين في زويلة، وقد مثل زعماء القبائل هذه الطبقة بشكل واضح عندما أسند الفاطميون ولاية برقة لبعض الموالين لهم في بني قرة.

وقد تغير الحال بعد وصول بني سليم إلى برقة، فتقاسموا مشيختها بين زعمائهم أما عن وضعية الإقليم خلال العهد الأيوبي فلا تمدنا المصادر بشيء عن برقة الشمالية، ويرجع الباحث استمرار سيطرة مشايخ سليم عليها، أما في جنوبها فقد استولى قراقوش على مقاليد الأمور في أوجلة وزويلة وأسند الحكم فيهما لمن يحكمها باسم الأيوبيين. وتمثلت هذه الطبقة بعد خضوع الإقليم للمماليك، في بعض الأمراء المماليك الذين أسند إليهم السلاطين تسيير أمور الإقليم، حسب نظام الإقطاع، ولا توجد إشارة على وجود أي نوع من الإدارة إلا لماماً، وقد تغير الوضع بأن تولى أمر الإقليم مشايخ من بني سليم بعد أن أقطعها لهم سلاطين

(1) د. علي محمد برهانة: المرجع السابق ص480.

المماليك. وفي فترة ضعف سيطرة المماليك على الإقليم انقسم الإقليم إلى زعامات عديدة تحت حكم مشايخ بني سليم.

وظهرت طبقة الفقهاء الذين حاولوا إصلاح ما يسود من جهل وخرافات، ونادوا بضرورة العودة إلى تعاليم الدين الحقيقية، كما مثلت طبقة العامة التجار وشرائح المجتمع المهمشة، كالزراع والصناع والرقيق والمتسولين والمتصوفة والدجالين.

كما تناول المبحث وضعية المرأة، وبين أن المرأة البدوية قد نالت قدراً من الحرية مكنتها من الخروج للقيام بالأعمال الحقلية والتجارية بينما ظلت المرأة في الحضر قابعة في البيت، ولا تقوم إلا بالأعمال المنزلية. كما تناول المبحث أنواع المساكن في الإقليم واختلاف مساكن البدو عن مساكن الحضر، كما تطرق إلى أنواع الملابس البدوية والحضرية، وإلى المؤثرات الخارجية على ملابس أهل الإقليم كما تناول أنواع الأطعمة في إقليم برقة وتباينها عند البدو والحضر، إذ يكتفي البدوي بالضروري، بينما يتفنن الحضر في أطعمتهم بسبب المؤثرات التي حملها سكان جدد من أقاليم مجاورة.

ثانياً الحياة الثقافية في إقليم برقة

لمعرفة نمط الحياة الثقافية في هذا الإقليم لا بد أن نعرض لأنواع المؤسسات التعليمية القائمة به، ووظائفها، ومدى إجادة أهل الإقليم اللغة العربية بشكل تلقائي كما تتناول العلماء الذين ينتسبون إلى هذا الإقليم حسب تخصصاتهم.

1 ـ المؤسسات التعليمية في إقليم برقة:

لم تحدثنا المصادر التاريخية طيلة العصر الإسلامي عن ظهور مدارس نظامية في برقة قبل العصر العثماني، وإنما شهدت نوعاً من التعليم الديني بالربط والمساجد والزوايا.

فالكتاتيب عرفت في برقة لتلقي التعليم الديني، والكُتَّاب عبارة عن غرفة واسعة، تحتوي على دكة حجرية، يجلس عليها الشيخ الذي يقوم بتلقين تلاميذه القرآن الكريم، ومبادئ اللغة العربية، والحساب، والوضوء والصلاة[1] ويذهب الأستاذ عثمان الكعاك إلى أن نمط بناء الكتاتيب الأندلسية قد وصل إلى درنة في برقة[2].

والربط مفردها الرباط لغة وشرعاً: (بأنه المكث في مواطن الضعف بقصد

---

(1) محمد بن مخلوف: تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار (المكتبة الثقافية. بيروت د.ت) ص90 ـ تيسير بن موسى: المرجع السابق ص324.

(2) د. عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر (المطبعة الكمالية، القاهرة، 1958م) ص94.

إرهاب العدو وحراسة المسلمين،[1] وقد تحولت وظيفة الربط في برقة خلال فترة البحث من وظيفة دفاعية حربية، إلى وظيفة تعليمية دينية، إذ يقيم فيها بعض الفقهاء والصوفية، كما يحصل فيها المسافرون والحجاج على الإقامة والأكل[2] ولفظ رباط لم يتم تداوله في برقة بل استعمل أهل هذا الإقليم تسمية قصر نسبة إلى القصور القديمة والتي ترجع إلى العصر الروماني، وقد أثبتت بعض الزخارف الجصية الإسلامية إلى أنها قد استخدمت في العصر الإسلامي كربط ومراكز للإيواء والتعليم[3]. ويعد المسجد من أهم المباني الإسلامية إذ أن المساجد أقيمت في كل موطن يطأه الإسلام، وإلى جانب الدور الديني الذي يقوم به المسجد من خلال إلقاء الخطب الدينية في أيام الجمعة والأعياد، فكان يقوم بدور تعليمي يعتمد على تعليم الفقه والعربية. . .)[4].

تتصف المساجد في برقة بأنها تتألف من مبنى مربع الشكل، متوسط المساحة، يحتوي سقفه على بعض القباب المخروطية الشكل، ويميل في ارتفاعه إلى الانخفاض[5]. ومن المساجد التي تعود للعصر الفاطمي في برقة مسجد بست الذي ذكره السلفي في معجمه[6] ويرجع مسجد أحمد رزوق في أوجلة إلى أواخر القرن التاسع الهجري/ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وقد أقام به هذا العالم المتصوف لفترة من الزمن وألقى على تلاميذه دروساً في الفقه والحديث

(1) سمير عبد المنعم حضيري: الأربطة الباقية بالقاهرة خلال العصر المملوكي 648 ـ 923هـ رسالة ماجستير، (كلية الآثار ـ جامعة القاهرة، 1998م) ص3.

(2) الدرعي: المصدر السابق (مخطوط) ورقة 144 ـ محمد البشير البرتلي: رحلة البرتلي ورقة 43.

(3) سمير خضيري: الأربطة والزوايا الليبية في العصر العثماني (رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2005م) ص177، 291.

(4) البرغوثي: المرجع السابق، ص290، 291.

(5) سمير عبد المنعم خضيري: العمارة الإسلامية في أوجله (جامعة عمر المختار، البيضاء، 2005)، ص15.

(6) السلفي: المصدر السابق، ج2، ص325.

والتصوف[1]، ويعتبر المسجد الكبير في بنغازي من المساجد التي شيدت في القرن التاسع الهجري، منذ قام بتشييده أحد فاعلي الخير ويدعى عبد السميع القاضي[2].

ومن أماكن العلم بإقليم برقة الزوايا ويعني مصطلح الزاوية في العربية الركن، وقد اتخذ أهل التصوف هذا التعريف للدلالة على الخلوة التي يلجأون إليها للصلاة والتأمل[3]، وقد تحولت الربط العسكرية في برقة إلى أماكن لإقامة المتصوفة[4]، تعتبر زاوية أحمد زروق بمصراته من أقدم الزوايا التي حدثتنا عنها المصادر التاريخية[5] كما كانت زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر بزليطن من الزوايا التي تدرس بها علوم الشرع في برقة[6].

2 ـ أثر اللغة العربية على اللهجة المحلية في برقة: ـ

أدى انتشار الإسلام في برقة إلى انتشار اللغة العربية فيها، إذ أنها لغة القرآن الكريم، وقد زاد انتشار هذه اللغة، وترسخت في هذا الإقليم بعد استقرار العرب من بني سليم بها، وقد وصف الرحالة العبدري لهجة عرب برقة بأنها أقرب لهجات العرب إلى العربية الفصحى، وعن ذلك يقول: ـ «وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم، وعرب الحجاز أيضاً فصحاء ولكن عرب برقة لم يكثر

(1) محمد البشير البرتلي: المصدر السابق، ورقة 43؛ محمد بشير السويسي: المرجع السابق، ص149.
(2) مسعود رمضان شلوف وآخرون: موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج1، (مصلحة الآثار، طرابلس، 1980)، ص258.
(3) د. علي فهمي خشيم: أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة (المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ط2، 1980) ص170.
(4) المرجع نفسه: ص173.
(5) سمير عبد المنعم خضير: المرجع السابق، ص171؛ الأربطة والزوايا، ص171 .
(6) ابن مخلوف: المصدر السابق، ص112؛ سعدي إبراهيم الدراجي: زليتن دراسة في العمارة الإسلامية (القيادة الشعبية، زليتن 2003، ط1) ص148، 149.

ورود الناس عليهم، فلم يختلط كلامهم بغيره، وهم إلى الآن على عربيتهم، لم يفسد كلامهم إلا القليل، ولا يخلون من الإعراب إلا ما قدر له بالإضافة إلى ما يعربون. وقد سألت بدوياً لقيته يسقي إبله في الحصوى عن ماء يقال له «أبو شمال» هل نمر عليه؟ وذكرته بالواو في موضع الخفض على عادة أهل المغرب فقال لي: نعم تطأون أبا شمال وأثبت النون في الفعل ونصب المفعول به وليس في المغرب عربي ولا حضري يفعل ذلك[1].

ويشترك أهل برقة في استخدام بعض الألفاظ التي تستعمل في كثير من مناطق المغرب العربي، والعامية المصرية الشائعة في غرب الإسكندرية مثل كلمة (اش للاستفهام، وهي مشتقه من أي شيء، كقولهم اش تقول، أي: ماذا تقول، واش عندك؛ أي: ما الذي تملكه، وكلمة يله التي تستخدم لتحفيز الشخص على السرعة في إنجاز العمل[2]، ويتحدث الفرد عن نفسه في إقليم برقة بصيغة الجمع كأن يقول نذهب، نزرع، نحصد بدلاً من أذهب، أزرع، أحصد ويرى الدكتور سعد زغلول إلى أن هذا الأسلوب في الحديث قد تسرب إلى أهل الإسكندرية كنتيجة لاتصالهم بأقاليم المغرب[3].

وقد مثلت أشعار السيرة الهلالية المتداولة في برقة دلالة على القيم الإنسانية مثل الصبر والكرم والشجاعة[4] وهذا ما كفل استمرار تداولها وحفظها حتى

---

(1) انظر: رحلة العبدري: ص206.
ذكر العبدري أمثلة عديدة على فصاحة أهل برقة انظر: الرحلة، ص207 ـ 209.

(2) عبد المنعم عبد السيد عبد العال: معجم شمال المغرب تطوان وما حولها (وزارة الثقافة، بمصر القاهرة، 1968م) ص18 ـ 19.

(3) د. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق ص209؛ أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: الدور السياسي والحضاري للمغاربة والأندلسيين في مصر في عهد الدولتين الأيوبية والمملوكية 567 ـ 923هـ (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1992) ص232، 233.

(4) ومن أبيات هذه الملحمة التي تدعو إلى نجدة الملهوف على لسان شيحا أخت أبو زيد الهلالي تخاطب زوجها حسن بن سرحان: =

الوقت الحاضر وقد كان من أهمية هذه الملحمة أن ابن خلدون ذكرها في مقدمته وأفرد لها جزء للحديث عن بعض فرسانها مثل حسن بن سرحان ودياب بن غانم[1]. وقد عبرت كذلك على تمزق العالم الإسلامي وتردي أحواله بسبب صراعات الحكام التي أدت إلى الخراب والدمار، وتراجع أهمية أشعار الهلالية أنها تناولت جزءاً من الجانب الوثائقي للهجرة الهلالية، بذكر وقائع الحروب ومراحل الطريق مثل:

وردنا عين توزر في الضحى عليك ساعة يا ربنا ما تعودها[2]

3 ـ علماء إقليم برقة: ـ

علم الفقه

اتسم علماء برقة خلال فترة الدراسة بصفة الهجرة من أجل طلب العلم، ولقاء الشيوخ، ويبدو أن الشعراء والأدباء لم يجدوا ضالتهم في هذا الإقليم فطرقوا قصور الحكام بالدول المجاورة كمصر وتونس، أي أنهم نزحوا عنه إلى المراكز الحضارية الإسلامية المشهورة[3].

ولقد ظهر بعض العلماء في الإقليم في بعض العلوم، فمن علماء الفقه في الإقليم رافع بن تميم بن حيون اللخمي رحل إلى الإسكندرية، ودرس بها الفقه، والحديث، وقد كان على قدر من التقوى والأمانة إذ أن الأمانات كانت تودع عنده. وقد عاش في القرن الخامس هجري/ الحادي عشر الميلادي[4]. ومن

= بكاني ضيفاً جا بات عندنا ما ذاق ريق ولا منامة جاه
يبكي بطول الليل مشغول عالظنا مظاليم حازوهم رجال عداه
وأنت يا بو علي تمشي للمظاليم عندها يا بال مظلوماً محلك جاه

انظر: علي محمد برهانة سيرة بني هلال، ص304

(1) د. علي محمد برهانه: المرجع السابق، ص358.

(2) المرجع السابق: ص304.

(3) د. البرغوثي: المرجع السابق، ص300.

(4) السلفي: المخطوط السابق، ج2، ورقة 241.

علماء برقة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أبو القاسم اللكي سافر إلى الإسكندرية تلقى الفقه على يد أبي بكر محمد الطرطوشي، وترقى به الحال حتى صار مفتياً بالإسكندرية سنة 520هـ/ 1126م، ومن فقهاء برقة أبو زكريا يحيى البرقي اشتهر بالفقه[1]، ومنهم يوسف بن سعد الدولة المخيلي، اشتهر بالفتيا والتدريس بالإسكندرية، كما تولى عدد من الوظائف بمصر وحران ودمشق[2]، ومن الفقهاء كذلك أبو الفضل يوسف الذي سافر إلى الإسكندرية وتلقى بعض علومه على السلفي[3] ومنهم أيضاً الفقيه علي بن زيد التسارسي، الذي يعود بأصله إلى بلدة تسارس[4] ببرقة. ومن فقهاء القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي، له مؤلفات من أهمها الوجيز في الفقه المالكي وشرح أسماء الله الحسنى[5].

ومن علماء الفقه البرقيين خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي العالم محمد بن أحمد الزيني، الذي تعلم الفقه ببلدة زليطن، ثم رحل إلى تونس ودرس بها[6]، وقد درس الفقيه إبراهيم عبد السلام المسراتي في تونس والقيروان، وكان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر[7].

ومن علمائها في هذا القرن أيضاً علي بن محمد بن محمد بن حسين تعلم بالقاهرة، وكان من تلاميذ السخاوي وعنه تلقى الفقه، وقد وصفه السخاوي

(1) ابن الأثير: اللباب (دار صادر، بيروت، د.ت) ج3. ص133.
(2) المنذري: التكملة (تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت 1988 ط4 م3، ص529).
(3) المصدر السابق، المجلد نفسه 529 ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء (تحقيق شعيب الأرناؤوط إبراهيم الزئبق مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984م، ط2، ج23)، ص116.
(4) المنذري: المصدر السابق، 629.
(5) الدباغ: معالم الإيمان (المطبعة الرسمية، تونس 1320هـ) ج4 ص8.
(6) الأنصاري: المنهل العذب (مكتبة الفرجاني، طرابلس د.ت) ص161.
(7) الأنصاري: المصدر السابق.

بالمداومة على التهجد والصيام[1]. ومنهم محمد بن محمد بن علي الذي اشتهر بالفقه وأحمد بن أبي بكر بن محمد بن محمد الوداني، كان من تلاميذ السخاوي وقد وصفه بالجرأة.

علم الحديث

وقد ظهر في برقة عدد من علماء الحديث، مثل محمد بن سعدون بن مرجان رحل إلى بغداد وتوفي بها سنة 524هـ/ 1129م[2]. والعالم واصل بن نجا بن منصور أصله من المخيلي[3] ومن أهل الحديث ببرقة فياض بن موسى اللكي[4] ومن علماء بست ببرقة أحمد إسماعيل التميمي، الذي اشتغل بعلم الحديث في الإسكندرية، وتنقل في العديد من الوظائف في مصر والشام والجزيرة[5].

علوم اللغة

ومن علماء اللغة في هذا الإقليم إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي، إذ كان أديباً، وله بعض المؤلفات مثل كفاية المتحفظ والأزمنة والأنواء[6].

ومن علماء النحو خلوف بن عبد الله البرقي، وقد اشتهر بعلم القراءات[7]

---

(1) انظر: الذيل على رفع الأصر (تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبيح، الثقافة الدينية د.ت، ص26 ـ انظر: السخاوي: الضوء اللامع ج6)، ص10.

(2) ابن الجوزي: المنتظم (تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت، 1992م) ج17، ص26.

(3) المخيلي: وادي مخيل هو حصن قرب برقة فيه جامع وسوق عامرة وحواليه جباب وماء وبرك، بينه وبين أجدابية، خمس مراحل وكذلك بينه وبين انطابليس (مدينة برقة).
انظر: الحموي: معجم البلدان (دار الغربي الاسلامي، بيروت، 1993م)، ج5، ص73.

(4) المنذري: المصدر السابق، ص238.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

(6) القفطي: انباه الرواة (دار الكتب المصرية، القاهرة، 95م) ج1 ص158.

(7) المصدر نفسه، ص358.

ومنهم محمد بن أبي سعيد شرف الأجدابي الذي اشتهر بالنثر، وله بعض المؤلفات من أهمها أعلام الكلام وأبكار الأفكار(1)، ومن علماء النحو في برقة علي بن علي البرقي(2).

كما اشتهر في برقة عدداً من الشعراء، منهم أبو عطية عطا الله عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ولد ببست على الساحل برقة وكان يقرض الشعر، وله اهتمام بشعر عنترة وحاتم الطائي(3). ومن شعراء الإقليم أبو بكر عتيق بن القاسم السرتي(4) وأبو الحسن مروان بن عثمان السرتي(5) ومن شعراء ودان الحسن علي بن أبي إسحاق الوداني(6) وعلي بن علي البرقي(7) ومن شعراء برقة في القرن السابع الهجري أحمد بن محمد الأبي الذي سافر إلى اليمن، والإسكندرية، ثم استوطن بالقاهرة، وتوفي بها سنة 698هـ/ 1298م(8).

علم التاريخ

وقد اشتهر كريم الدين البرموني الذي ولد بمصراته سنة 893هـ/ 1487م كمؤرخ، وكان قد تلقى علومه بزاوية الشيخ محمد بن أبي بكر المصراتي، والشيخ شمس الدين اللقاني المصري، وقد لحق بشيخه اللقاني عند رجوعه إلى بلدة لقانة، ولازمة حتى وفاته، ورحل البرموني إلى مكة والمدينة ثم توجه إلى مصر، وأقام بطنطا لحين من الوقت، ثم رجع إلى بلدة مصراته(9).

---

(1) الدباغ: المصدر السابق، ج3 ص239.
(2) الطاهر أحمد الزاوي: أعلام ليبيا (دار إحياء الكتب العربية القاهرة) ص212.
(3) السلفي، المخطوط السابق، ج2، ورقة 198.
(4) الحموي: معجم البلدان، ج3، ص206.
(5) المصدر نفسه، ج5 ص22.
(6) المصدر نفسه: ج5، ص365.
(7) الزاوي: المرجع السابق، ص212.
(8) الحموي: معجم البلدان، ج2 ص515. ابن مخلوف: المصدر السابق، ص258، 259.
(9) ابن مخلوف: المصدر السابق، ص258، 259.

التصوف

إن الأوضاع السيئة التي عانى منها العامة في إقليم برقة والتي تمثلت في انعدام الحكم المركزي وتركز الثروة الاقتصادية في أيدي فئات متميزة أفرزت تفاوتاً طبقياً ملحوظاً جعل العامة يعانون من معيشة ضنكة أدت بهم إلى الهروب من واقعهم المرير والانخراط في زوايا المتصوفة وساد الاعتقاد في كرامات الأولياء إذ تتحدث بعض المصادر عمن هم أهل للمكاشفة ومعرفة ما يدور في نفوس البشر من أصحاب الكرامات والفراسة[1] وقد برز دور المتصوفة في حل بعض الأزمات الاقتصادية إذ يقصدهم العوام للحصول على المأوى والأكل[2] كما لعب بعض المتصوفة في برقة دوراً مهم في التخفيف عن العامة في معاناتهم، إذ ظهرت كرامات المتصوفة كرمز على محاربة الظلم، حيث ظهرت إحدى كرامات الشيخ أحمد زروق عند اعتراضه وجماعته عصابة من اللصوص فسلبوا أتباعه وأرادوا خلع سراويله لغرض البحث عما يخصه من ذهب بداخلها فاحتج عليهم الشيخ بأن كشف العورة محرم في الدين فقال له أحد اللصوص اخلعها أو أقتلك فدعا عليهم الشيخ فغاصوا في الأرض فاستغاثوا بالشيخ فأغاثهم فتابوا وصاروا من أتباعه[3] وأما عند حلول الأزمات الاقتصادية فيظهر الأولياء من المتصوفة كمنقذين إذ أن أحد الأشخاص استغاث بالشيخ عبد السلام الأسمر لقصد الاستسقاء لزرع أصابه العطش فلم يتم الشيخ عبد السلام دعاءه حتى نزل المطر[4] كما نسبت إلى الشيخ أحمد زروق بعض الكرامات التي تمثلت في نجدة بعض المسافرين، إذ يروي أحمد بن محمد اليمني أنه في طريق سفره من بلاده

---

(1) د. خشيم: المرجع السابق، ص68.

(2) الفاسي الكوهن: طبقات الشاذلية الكبرى، (القاهرة، 1347هـ) ص124؛ خشيم: المرجع السابق، ص59، 170.

(3) الكوهن: المصدر السابق، ص125.

(4) سالم بن محمد السنهوري: مناقب سيدي عبد السلام الأسمر (مخطوط مكتبة الأستاذ خالد سعد الفيتوري دون تصنيف) ورقة 23 ـ ابن مخلوف: المصدر السابق، ص126.

إلى بلاد المغرب نزل ببرقة وسأل الله تعالى ببركة الشيخ زروق أن يجعله في جواره، فلم يزل في أمن وسعة وحدث أن تعرض لحر شديد في بعض مراحل الطريق ونفذ ما بحوزته من ماء فبينما هو وجماعته في غم وخوف إذ بشخص يقود دابة وعليها قرب من الماء حتى إذا دنا منهم قال لهم: خذوا ألستم بجواري من برقة[1] كما تنسب إلى الصوفية أيضاً في برقة كرامتهم التي أدت إلى شفاء المرض فمن ذلك أن أحد المرابطين ويدعى عبد السميع الفيتوري كانت له بنت مريضة تعاني من الحمى والكساح وقد أعيا الأطباء علاجها، أتى بها إلى الشيخ زروق فتم شفاؤها على يديه بعد أن دعا لها (كذا)[2].

وتروي المصادر التاريخية أن الشيخ عبد السلام الأسمر كان يشفي الأكمه والأبرص بدعائه[3] وقد استمرت كرامات الأولياء حتى ما بعد مماتهم إذ أن أحد سكان مصراتة ويدعى فتح الله بن طاهر قد ضرب ابناً له على رأسه فهشمها فاستدعى الطبيب الذي أعلمه بأن شفاء ابنه ليس محتملاً فنام الولد مضطرباً مغموماً فأتاه الشيخ أحمد زروق في المنام وأعلمه بأن يستدعي الطبيب في الغد فلما عاد الطبيب ولده وجده معافى تماماً (كذا)[4].

وقد اشتهرت برقة بعدد من المتصوفة منهم المتصوف مسلم بن عنتر بن محبوب السليمي والذي يعود بأصله إلى البركة[5] ببرقة وقد كان في أول حياته قاطعاً للطرق ثم سافر إلى مصر وسلك طريق التصوف وجمع حوله عدداً من المريدين، وتاب على يديه جماعات من قطاع الطرق اشتهر بفعل الخير وتوفي

---

(1) محمد بن غلبون: المصدر السابق، ص224

(2) عبد السلام بن عثمان الفيتوري: الإشارات إلى ما بطرابلس الغرب من المزارات (مطبعة الولاية، طرابلس، 1931)، ص102.

(3) السنهوري، المخطوط السابق، ورقة 23.

(4) الطيب المصراتي: فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر (دار الكشاف بيروت، 1969م) ص218 ـ 219.

(5) البركة موضع بمدينة بنغازي الحالية.
انظر: هنريكو اغسطيني: المرجع السابق. ج2 ص320.

بالقاهرة سنة 684هـ/ 1285م[1] ومنهم المتصوف الفقيه ـ عاش في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي ـ أحمد بن محمد زروق، ولد سنة 846هـ/ 1442م وله العديد من المؤلفات في الفقه والتصوف، مثل النصحية الكافية لمن خصه الله بالعافية، والقواعد في التصوف، وعمدة المريد الصادق في أسباب المقت في بيان الطريقة وحوادث الوقت[2] سافر إلى مصر وتلقى علومه على بعض علمائها مثل السخاوي والذهبي وقد دعا أحمد زروق إلى تصوف سني[3] وقد أقام حيناً من الزمن في واحة أوجلة بجنوب برقة، وأشاد بأخلاق أهلها، ثم غادرها إلى مصراته التي اتخذ بها زاوية[4].

ومنهم الفقيه والمتصوف الشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر ولد في عام 880هـ/ 1475م تفقه على عدد من الشيوخ من بينهم الشيخ أحمد زروق وقد ألف عدداً من المؤلفات في الفقه والتصوف والتفسير منها الأنوار السنية والتحفة القدسية وأسس طريقة صوفية في بلدته زليطن وكان شاعراً وعرض في شعره سوء الأوضاع في مدينة طرابلس بعد أن أقام فيها حيناً من الزمن وقد طرده واليها بسبب نقده لتلك الحالة السيئة بالمدينة فعاد إلى بلدة زليطن ومن شعره: ـ

إذا ظلم الأمير وكاتباه — وعم الحسد في كل البلاد

وقاضي الحكم تاه في هواه — وأظهر بالفجور والفساد

فويل ثم ويل ثم ويل — لكل فقير من قاضي البلاد[5]

---

(1) ابن شداد الملك الظاهر (تحقيق أحمد حطيط: فرانز بفسبيان 1983م) ص117.

(2) التمبكتي: نيل الابتهاج (تحقيق د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة، طرابلس، 1979، ط1) ص130 ـ 132.

(3) زروق: عمدة المريد الصادق (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 95 تصوف) ورقة 25، 158.

(4) د. خشيم: المرجع السابق، ص68، 69.

(5) ابن مخلوف: تنقيح روضه الأزهار (المكتبة الثقافية، بيروت د.ت)، ص90 ـ اسماء المليجي: سيدي عبد السلام الأسمر (مكتبة النجاح، طرابلس د.ت) ص114.

استخلص الباحث في نهاية هذا المبحث إلى عدم وجود أية مدارس نظامية في الإقليم خلال فترة البحث، بينما اقتصر تلقي العلم على ما يلقى في المساجد والكتاتيب والأربطة والزوايا، والتي اقتصرت على تعليم اللغة وعلوم الدين، كما قدم بعضها خدمات اجتماعية تتمثل في تقديم المعونة للحجاج والمسافرين كتوفير الطعام والإيواء.

وتبين من خلال هذا البحث بساطة هذا المؤسسات من حيث تخطيطها وتأثيثها. كما اتضح من خلاله زيادة حركة التصوف داخل الإقليم، إذ لجأ العامة للمتصوفة لحل بعض مشاكلهم، حيث اعتقد العامة بالإقليم في كرامات الأولياء، وكشف أن انتشار التصوف في برقة إنما يعود إلى الواقع المرير الذي كانت تعيشه العامة، بسبب نظام الإقطاع، وتركزت الثروة في أيدي فئة صغيرة من المجتمع، بينما ظلت الأغلبية من أفراده تعاني من الضنك والعوز فلجأ العامة إلى زوايا المتصوفة للهروب من واقعهم المرير. وتبين كذلك أن بعض مشايخ المتصوفة قد وقفوا ضد ظلم الحكام ونقدوا تصرفاتهم الظالمة.

وقد خلص الباحث من خلال هذا البحث إلى ما كان عليه أهل برقة من فصاحة في اللسان، وكيف أن لهجتهم كانت أقرب لهجات العرب إلى الفصحى، وقد نتج ذلك عن قلة اختلاطهم بغيرهم من الأمم، كما كان لوصول العرب الهلالية دوراً في ذلك كما تبين مدى تمسك العرب في برقة بموروثاتهم الثقافية والتي تتمسك بالمحافظة على الأصالة العربية، ويتضح ذلك في شغفهم بأشعار العرب التي تدعو إلى المثل العليا كالصبر والكرم والشجاعة، وذلك ما كفل استمرار سيرة بني هلال في الإقليم.

وقد خلص من هذا المبحث إلى أنه بالرغم من قلة العلماء في الإقليم بالنسبة إلى الأقاليم المجاورة، إلا أنه لم يخل تماماً من بعضهم ولا سيما في علوم اللغة والدين، وقد غلب على علماء الإقليم في فترة البحث نزوح أغلبهم إلى الأقاليم المجاورة مثل مصر وطرابلس وتونس، ويرجع الباحث ذلك إلى أن

إقليم برقة كان لا يحوي مدارس متخصصة تفي بحاجة من يريد أن يستزيد في طلب العلم فكان لا بد من اللجوء إلى مناهله. وخلص الباحث إلى أن بعضاً من علماء برقة قد بلغوا درجة كافية من التعليم بحيث عملوا بالتدريس والفتيا والوظائف في الأقاليم المجاورة.



بعد هذه الدراسة التفصيلية لتاريخ برقة من 400 ـ 925هـ، توصل الباحث إلى عدة نتائج منها :

أن بدء سيطرة العنصر البدوي بهذا الإقليم كانت سابقة لمجيء بني سليم واستقرارهم فيه، حيث كانت قبيلة بني قرة الهلالية على قدر كبير من النفوذ، وتبين أن الفاطميين لم يجدوا مناصاً من تولية بعض مشايخ هذه القبيلة لأمور الإقليم حيناً من الزمن.

وقد اتضح من خلال البحث تعدد الأسباب التي دفعت بالفاطميين لإرسال بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب، هي أسباب سياسية واقتصادية ومذهبية. وتبين أن خراب برقة أو تدهورها لم يكن بسبب قدوم بني سليم، وإنه لم يأت فجأة بل استمرت المراكز الحضارية في الشمال تؤدي دورها لحين من الزمن، ووضح أثر المسببات الأخرى في تدهور الإقليم، والمتمثلة في ضعف الحكم المركزي في الإقليم وحدوث الصراعات العسكرية مثل محاربة الصنهاجيين لزناتة، وحدوث الأوبئة، وتأخر الأمطار.

وأدت هجرة بني سليم إلى إقليم برقة إلى صبغه بالصبغة العربية، إذ أن الإقليم يختلف عن بقية أقاليم المغرب حيث أنه كان قاعدة للوجود العربي في المغرب، كما أنه ظل زمناً طويلاً لا تتنازعه الصراعات والفتن المذهبية، بحيث كان مكاناً آمناً لمن يريد البقاء فيه من العرب. إلا أن استقرار بني سليم بالإقليم أدى إلى تغليب العنصر العربي على باقي عناصره فانصهر البربر في البوتقة العربية من حيث اللغة والزي.

أوضحت الدراسة من خلال ما ورد في المصادر التاريخية المعاصرة للفترة الأيوبية مسؤولية صلاح الدين عن ضمه لهذا الإقليم إلى ممتلكات الدولة الأيوبية، لأسباب سياسية واقتصادية.

كما تبين من خلال تفحص المصادر المملوكية الأسباب الكامنة وراء ضم السلطان بيبرس لإقليم برقة، والتي تجلت في تخوفه من تطلعات الحفصيين التوسعية، وإلى رغبته في الحصول على موارد هذا الإقليم وحاجته إليها أثناء حروبه مع الصليبيين.

وأظهرت الدراسة امتعاض غالبية عربان برقة من التبعية لدولة المماليك ووقفوا ضد حملات المماليك بالاستياء أو بالرفض والمقاومة.

ووضح أن سلاطين المماليك قد طبقوا نظام الإقطاع في إدارتهم لهذا الإقليم وأن تبعيته الفعلية للمماليك لم تتعد نهاية عصر الظاهر برقوق.

من خلال البحث تبين ازدياد هيمنة زعماء قبائل بني سليم على أراضي الإقليم، وشهدت هذه الفترة الزمنية المتأخرة بداية قيام كيانات حضارية بوصول هجرات جديدة إلى الإقليم، تمثلت في العائلات الأندلسية التي استوطنت في درنة، والعائلات الطرابلسية التي توطنت في بنغازي.

اتضح من خلال البحث معالم الدور الحضاري الذي قامت به مدينة أوجلة الواقعة في جنوب الإقليم.

كما أظهرت الدراسة أن الإقليم كان يتمتع بثروات حيوانية ونباتية، أدت إلى قيام بعض الصناعات، ولا تمدنا المصادر بأية معلومات عن نمط بناء الأسواق أو عن وجود نقابات حرفية.

كما بينت الدراسة استمرار التعامل النقدي في برقة خلال عصر الفاطميين، بينما يرجح الباحث وجود عملة محلية بأوجلة خلال العهد الأيوبي واتضح أن نظام المقايضة هو الأسلوب التجاري المتبع طيلة العصر المملوكي.

خلص الباحث إلى استمرار الوجود الحضري في شمال برقة خلال العهد الفاطمي والأيوبي هذا ما يدحض الآراء القائلة بأن هذه المراكز قد انتهت واندثرت في برقة بعد هجرة بني هلال وبني سليم، وهذا ناتج عن تأثر بعض المؤرخين القدامى والمحدثين بما قاله ابن خلدون وهذا الوضع لا ينطبق إلا على بعض أجزاء الأقاليم الشمالية خلال عصر ابن خلدون ت 808هـ/ 1405م، حيث انعدم الحكم المركزي وتغلب مشايخ بني سليم على الأراضي الواقعة بالإقليم.

كما اتضحت معالم النشاط الاقتصادي الذي أحدثته العائلات الأندلسية في إقليم برقة، بما جلبوه من تقنيات جديدة في أساليب العمران والزراعة والصناعة، وبما أدخلته العائلات الطرابلسية إلى إقليم بنغازي من أنشطة اقتصادية.

إن شح المادة التاريخية قد أفضى إلى عدم استيفاء بعض جوانب الموضوع الاقتصادية والاجتماعية إلا أنه من خلال بعض الدراسات المتوفرة تبين وضعية الأرض إذ ساد نظام طبقي حسب نظام الإقطاع إذ تولى أمور الإقليم بعض أمراء المماليك أو وكلاء عنهم ثم تغير الوضع في آخر حكم المماليك وأصبحت قبائل بني سليم هي المسيطرة على غالبية الأراضي في الإقليم، وقد تبين بالتالي الدور الهام الذي سببه نظام الإقطاع مما أدى حسب رأي الباحث إلى انحسار المراكز الحضارية في الشمال وهجران المزارعين السابقين لمزارعهم، كما حدثت هجرات سكانية متتالية من الإقليم بسبب سوء الأوضاع الحياتية إلى أوجلة أو مصر.

كما تبين من خلال البحث ظهور وجود بعض الإشارات المتعلقة بالسحر وضرب الرمل ووجود مدعي التصوف وقطاع الطرق كما اتضح بعض المعلومات التي تشير إلى ما يتمتع به بعض العامة من ثقافة كمعرفتهم لبعض الألعاب الترفيهية كالشطرنج وقرضهم للشعر ومعرفتهم لأشعار العرب كما نجد من المتصوفة من وقف في وجه الظلمة ونقد أعمال الولاة وقد قام العامة في بعض الأحيان ضد أطماع الجباة من المقطعين وقاتلوهم.

واتضح من هذه الدراسة أن المرأة البدوية في الإقليم قد شهدت قدراً من الحرية بسبب الحياة الريفية إذ أنها كانت تساعد زوجها في رعاية المواشي وشؤون الحقل ولاقت قوافل المسافرين بمنتجاتها المنزلية، بينما اتضح من خلال أساليب البناء في الواحات القديمة في برقة أن المرأة في المدن أقل حرية إذ إنها كانت حبيسة بيتها لا تقوم إلا بتربية أبنائها وبواجباتها المنزلية.

واتضح من خلال البحث أيضاً مدى ما كان عليه أهل إقليم برقة من فصاحة إذ إن لهجتهم أقرب لهجات العرب إلى العربية الفصحى، كما إن الإقليم قد عرف عدداً من العلماء والمتصوفة الذين ألقوا دروسهم في المساجد والزوايا والربط. كما تبين أن غالبية علماء الإقليم تخصصوا في المجالات الدينية واللغوية إذ لا توجد أية إشارة حول العلوم العلمية، كما نزح بعضهم إلى خارج الإقليم من أجل الاستزادة في طلب العلم.

وأخيراً يجب أن نشير إلى أن نقص المادة العلمية وضبابيتها قد أثر سلباً على تغطية بعض جوانب الدراسة، مثل طبيعة نظام الأسواق، والهيئات التجارية والصناعية وعلاقات الإنتاج للمزارعين والتجار والصناع.

ملحق رقم (1)

قال العالم أحمد زروق: ـ عن إقامته في مدينة أوجلة عقب مغادرته لها إلى مدينة مصراته:

أوجلة قوم يسوقون عيرهم ... إلى مصر والسودان في طلب التبر
إذ ما رأوا نخلاً تطيش عقولهم ... إذا ما رأوا قفلاً فكلهم يجري
يحبون إكرام الفقير وعالم ... معاشرهم بالخير عون بالنظر
تجارهم يسعون في الخير دائماً ... مساكينهم يسعون في طلب الستر
وليس لهم عيب سوى ضيق النفس ... قلوبهم أصفى من اللبن إذ يجري
وكل الذي عاداهم فهو خاسر ... يثبتهم ربي على الخير بالنصر
ويلقى عليهم سابل الستر دائماً ... يعينهم ربي على الشرع بالظفر
ويحفظهم في المال والأهل كلهم ... ويكفيهم شر الشرور مع الضر
أهل لنا أحبابنا أهل ودنا ... وقرت أعين لنا والضمائر
بلادهم للأولياء بموطن ... يحبون أهل الخير في سائر القطر
فمن ضرهم يلقى خساراً وذلة ... ويتبعه ذل صغير إلى القبر
فلله ما أصفى قلوب جميعهم ... فلا حاسد يلقى لديهم ولا غدر
هم أول التجار آخرهم غداً ... وأكثرهم سفراً إلى سالف الحشر
ألا أيها التجار من كان تاجراً ... يرافقهم سفراً فيسعد في التجر
بلادهم هي للغريب بموطن ... يعين فيها من كان لله في يسر
فهي بلاد الخير ما دامت الدنيا ... وفيها بركات تجمع الأهل بالستر
اقمنا فيها والحمد لله ربنا ... فلا عيب علينا وعليهم ولا شر[1]

(1) محمد بشير سويسي: معالم تاريخ واحة أوجلة عبر العصور، ص 149 ـ 150.

ملحق رقم (2)

الأعمال التي كان يقوم بها الرحالة خالد البلوي أثناء مروره ببرقة والتي يذكر بأنه كان غير مقتنع بالقيام بها إنما اضطرته الضرورة إلى ذلك وقد صاغ تلك الأعمال شعراً ومن ذلك قوله:

أرقي الجمال وأرقي كل ذي وجع ويستريح بنفثي كل جذري
وأكتب الحرز للمحموم ينفعه واعقد الخيط مالي فيه من عي
ونشره الكسب[1] في حفظي إذا وضعت على الزريبة تنفي كل وحش
واعرف اليوم أشقاه وأسعده والليل أعرف فيه كل دري
وأضرب الحظ في رمل وأعرف من أشكاله كل مائي وتربي
وأحفظ الشعر للعربان انسبه لأهله من جذامي ولخمي
فهذه كلها في برقة سبب للعيش أن بات فيها كل غربي[2]

---

(1) نشرة الكسب: آيات وأدعية تقرأ لأبطال السحر والتحرز منه، د.جمال محمد سرحان: السحر والشعوذة. طرق وعلاج (دار أسامة، ط1، الأردن 1999) ص 24.

(2) البلوي: المصدر السابق، ص34 ـ 35.

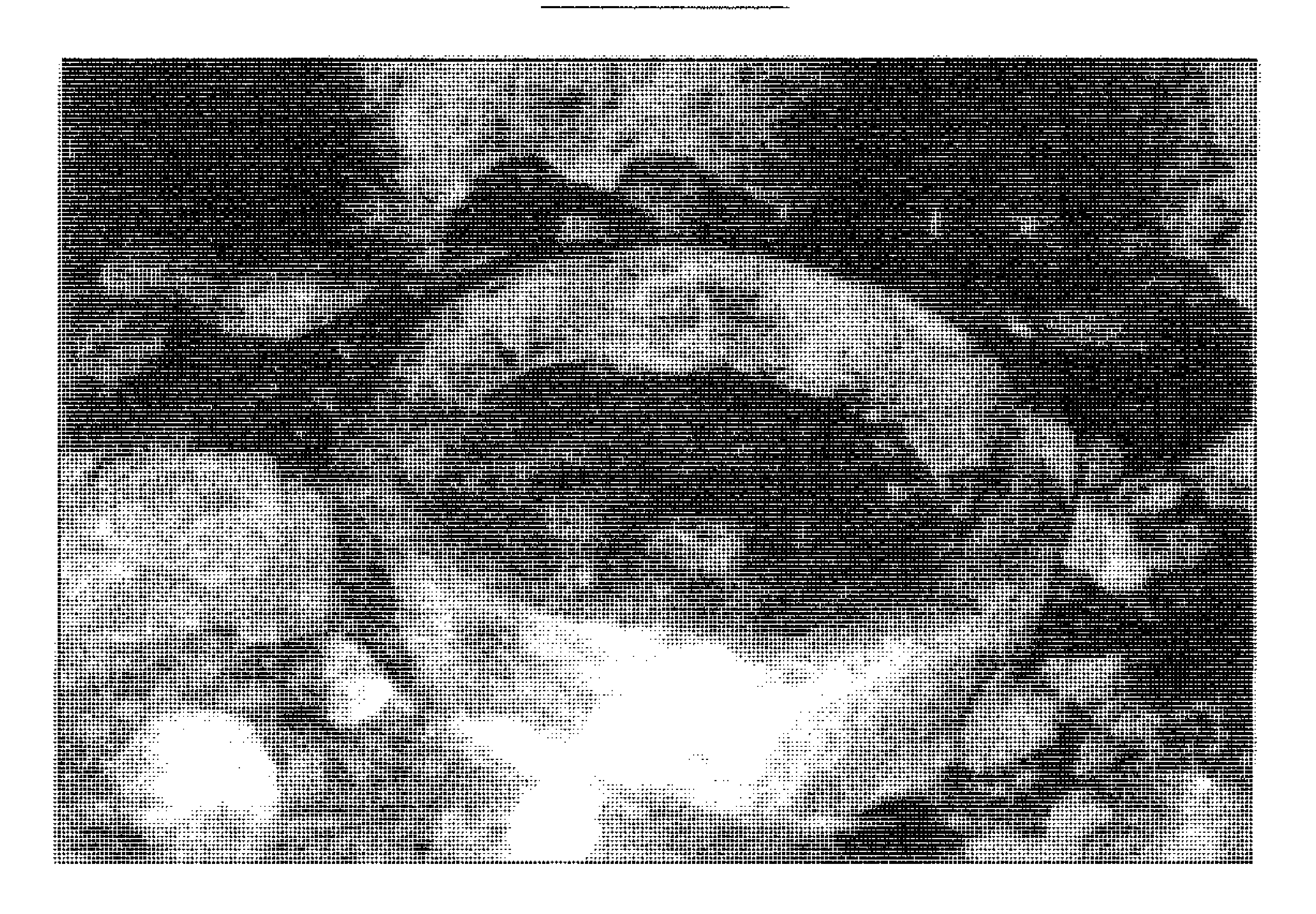
ملحق رقم (3)



صهاريج مائية أرضية بمدينة طلميثة تعود الى العصر الهلينستي
يُرجحُ الباحث استمرار استخدامها خلال فترة البحث لإغراض الري

تصوير الباحث

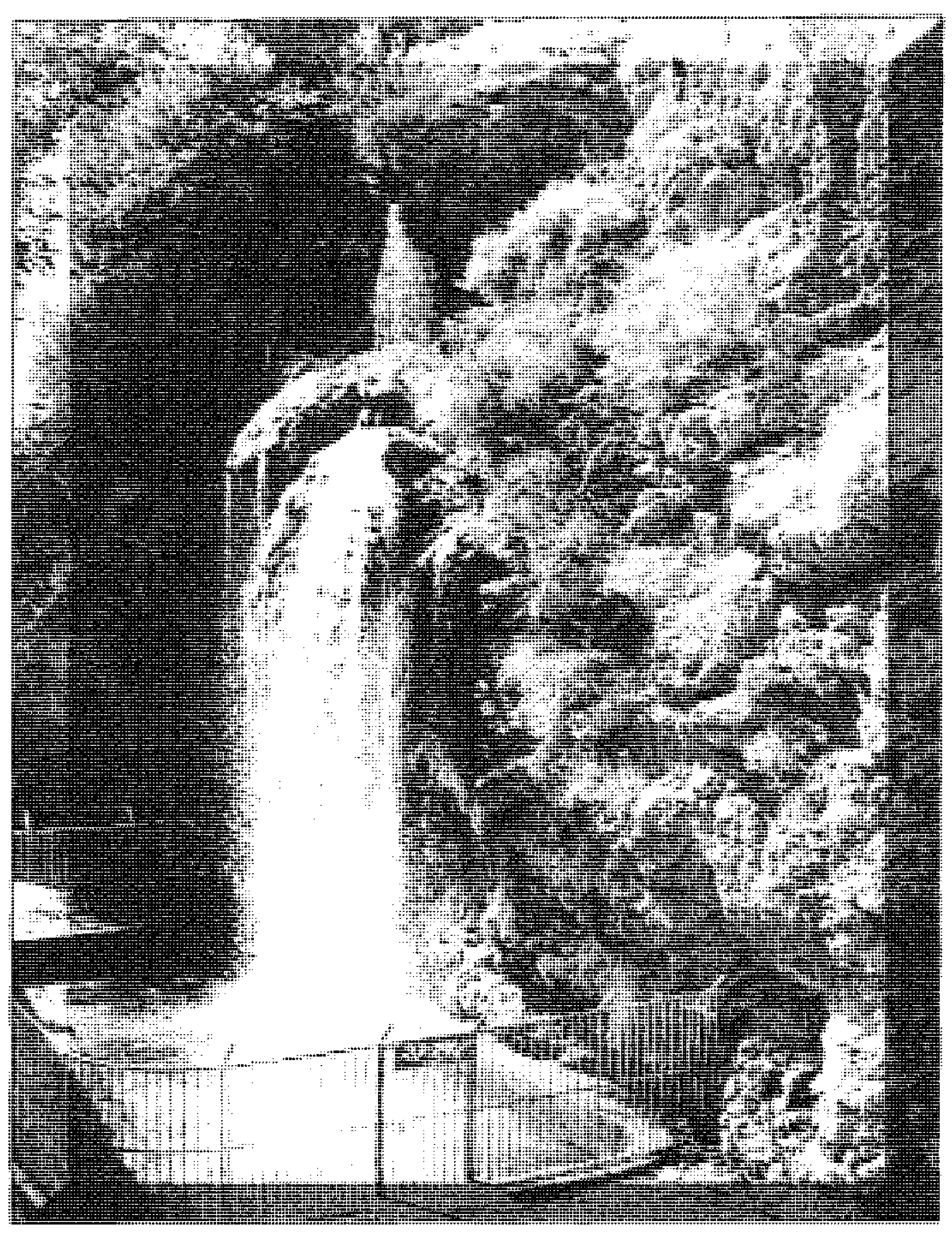
ملحق رقم (4)



بقايا إحدى معاصر الزيتون الرومانية بالقرب من مدينة طلميثة
والتي يُرجحُ الباحث استمرار استعمالها خلال فترة البحث

تصوير الباحث

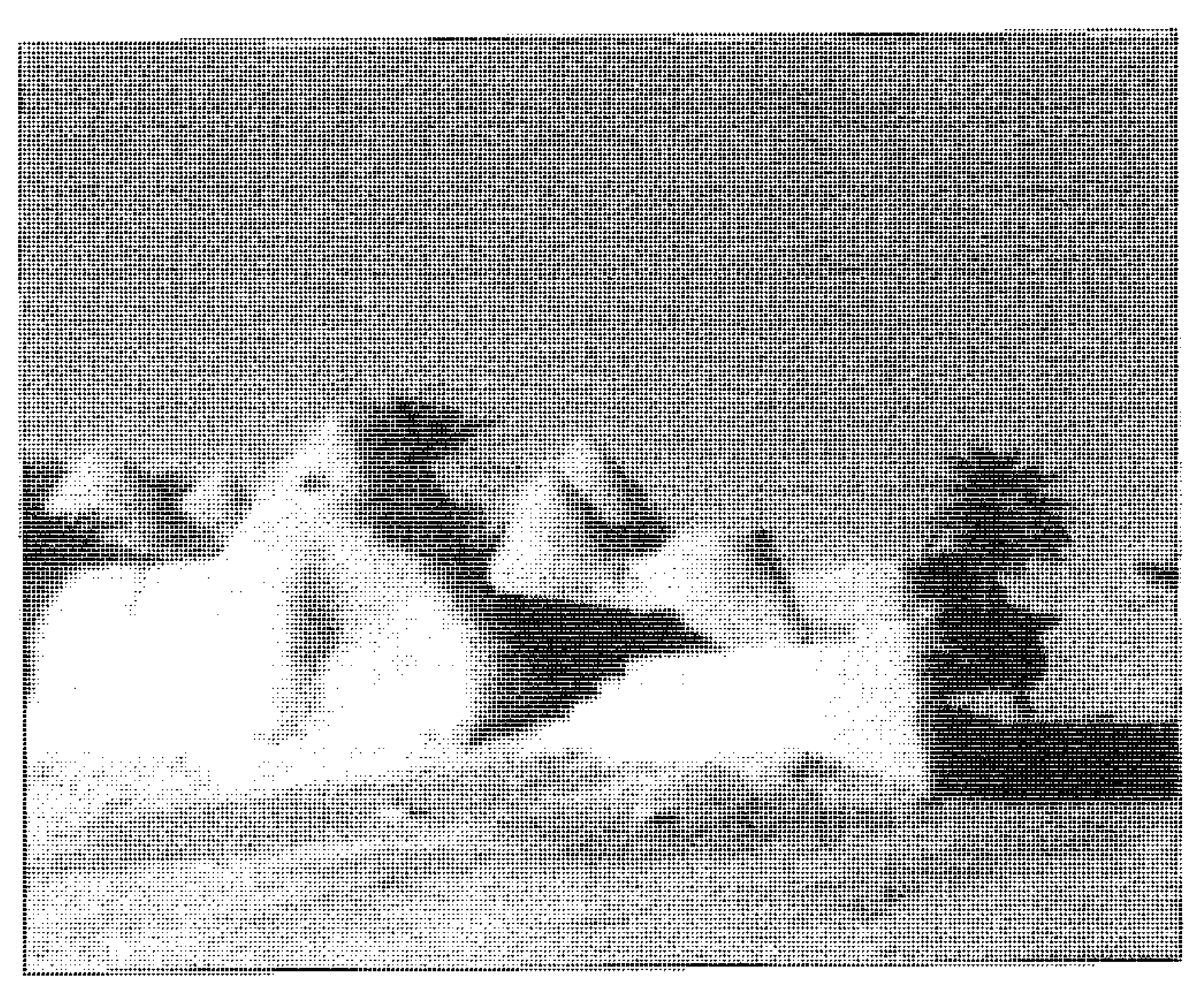
ملحق رقم (5)



شلال درنة سماه ابن سعيد المغربي بنهر درنة وقال عنه: «من جبالها ينزل نهر درنة ويصب في البحر المالح ولم أر في جميع بلاد برقة نهراً غيره»

انظر: كتاب الجغرافية، ص 146.

ملحق رقم (6)



مسجد أحمد الزروق بأوجلة

تصوير الباحث

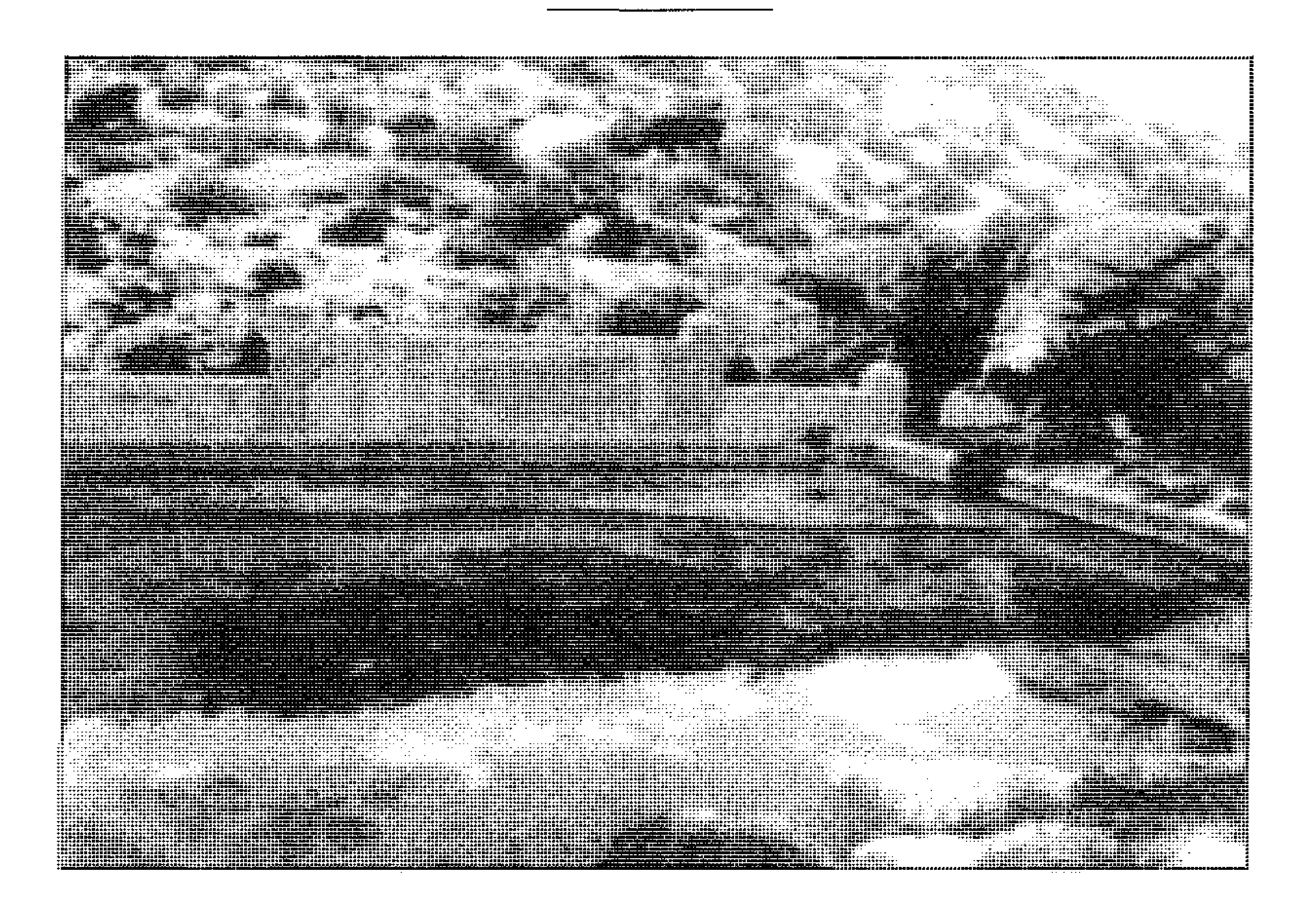
ملحق رقم (7)



أحد شوارع المدينة القديمة بأوجلة

تصوير الباحث

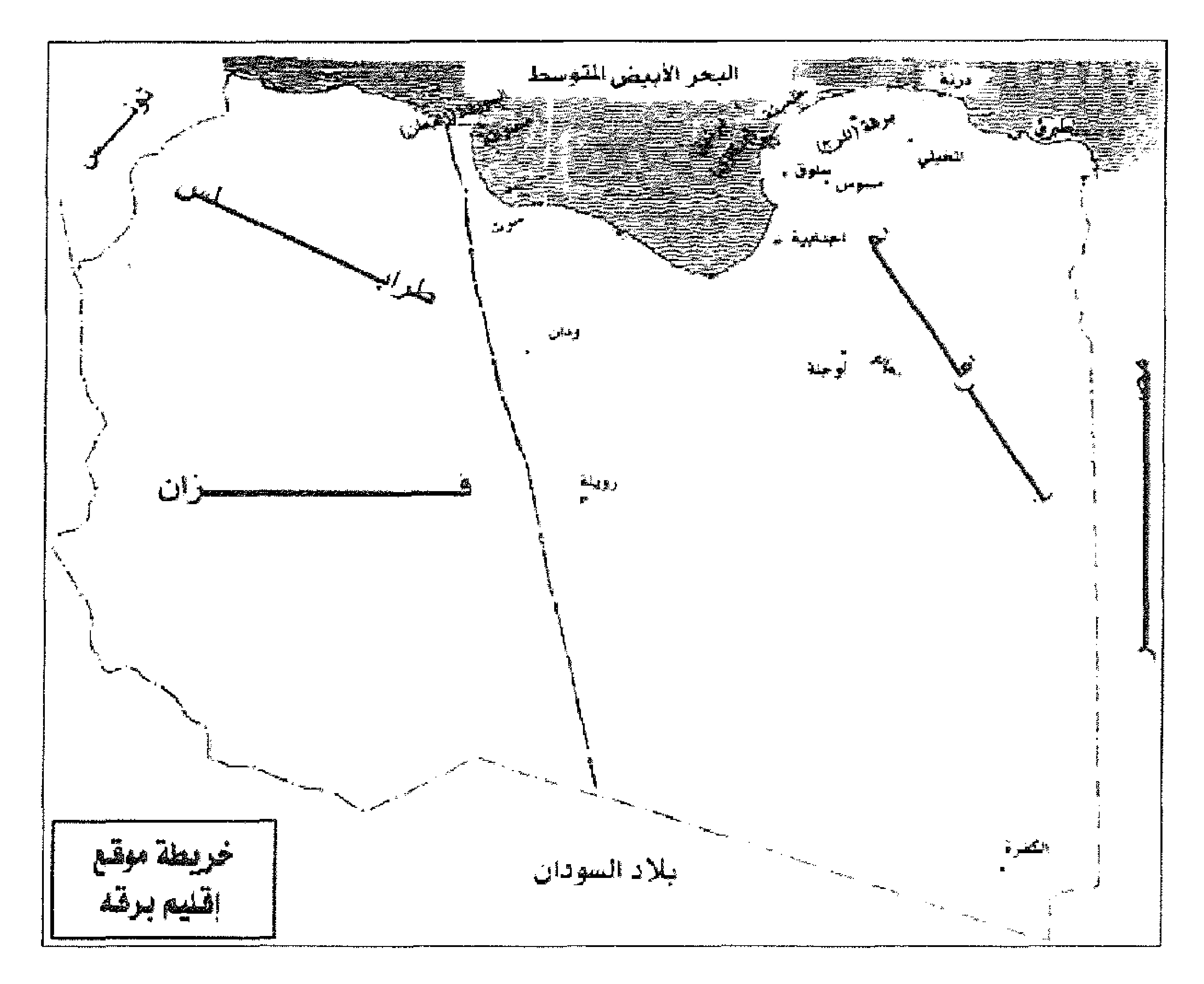
ملحق رقم (8)



عين أبي شمال الواقعة على طرق القوافل البرية ببرقة وقد وصفها الرحالة العبدري بأنها «عين غزيرة وعذبة»

انظر: الرحلة، ص 481.

ملحق رقم (9)



إعداد الباحث من خلال مصادر البحث

البكري: معجم ما استعجم، ج4، ص 1375

الحموي: المشترك وضعاً، ص 262

الحميري: الروض، ص 108

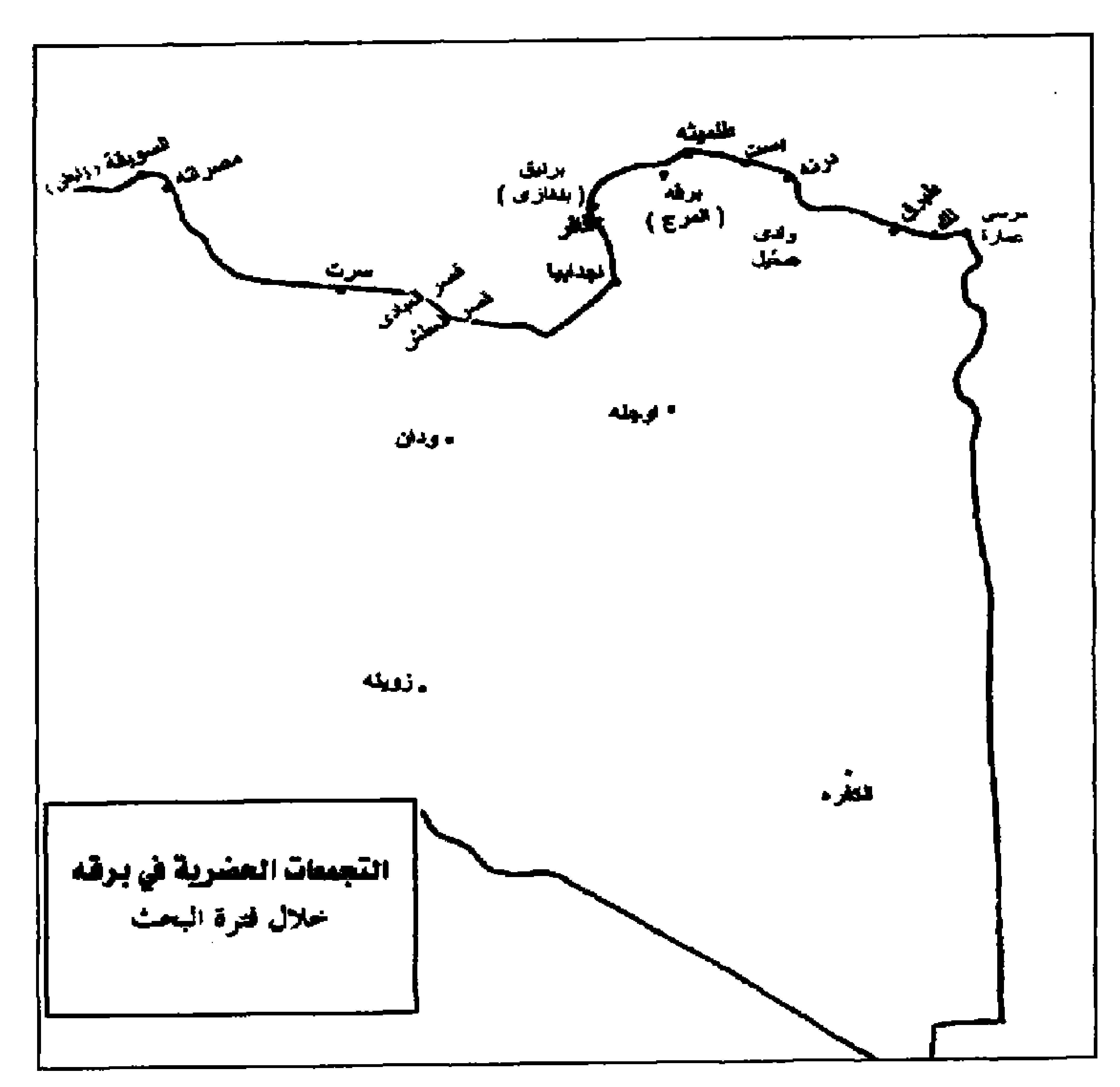
ابن خلدون: العبر، م6، ص291

ابن سعيد: الجغرافيا، ص11

شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص229

روبار برنشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، ج1، ص353

ملحق رقم (10)



إعداد الباحث من خلال مصادر البحث

السلفي: معجم السلفي، ج2، ورقة 236، 325

ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص 146، 147

بسط الأرض، ص80

الحميري: الروض المعطار، ص11، 608

العمري: مسالك الأبصار، ص136، 163

بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص50

ابن دقماق: الانتصار، ج5، ص115

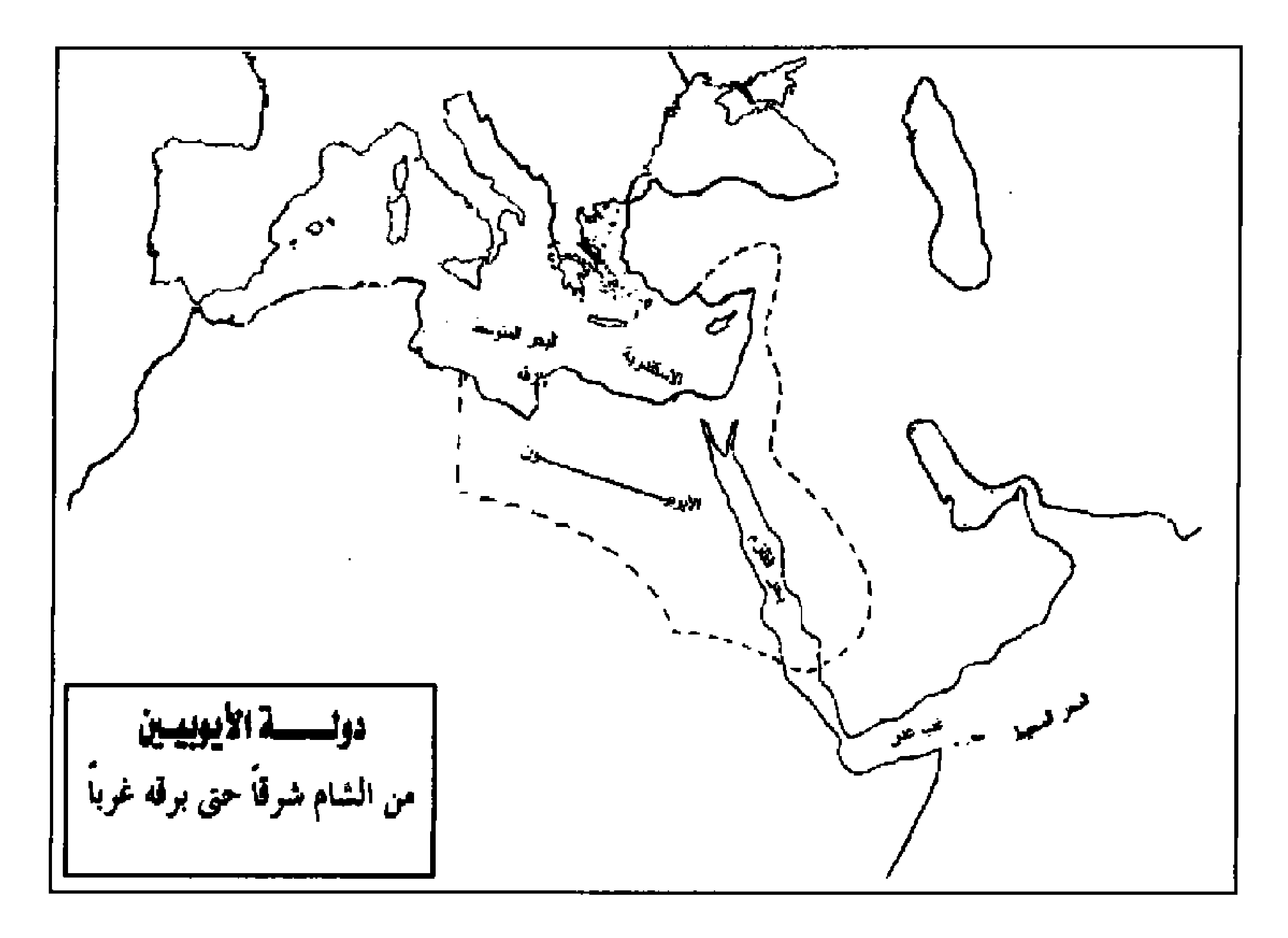
المقريزي: جنى الأزهار، ورقة 24

ابن إياس: نشق الأزهار، ورقة 18، 165

الوزان: وصف أفريقيا، ج1، ص 145، 155، ج2، ص111

ابن سباهي: أوضح المسالك، ورقة 187، 217

ملحق رقم (11)

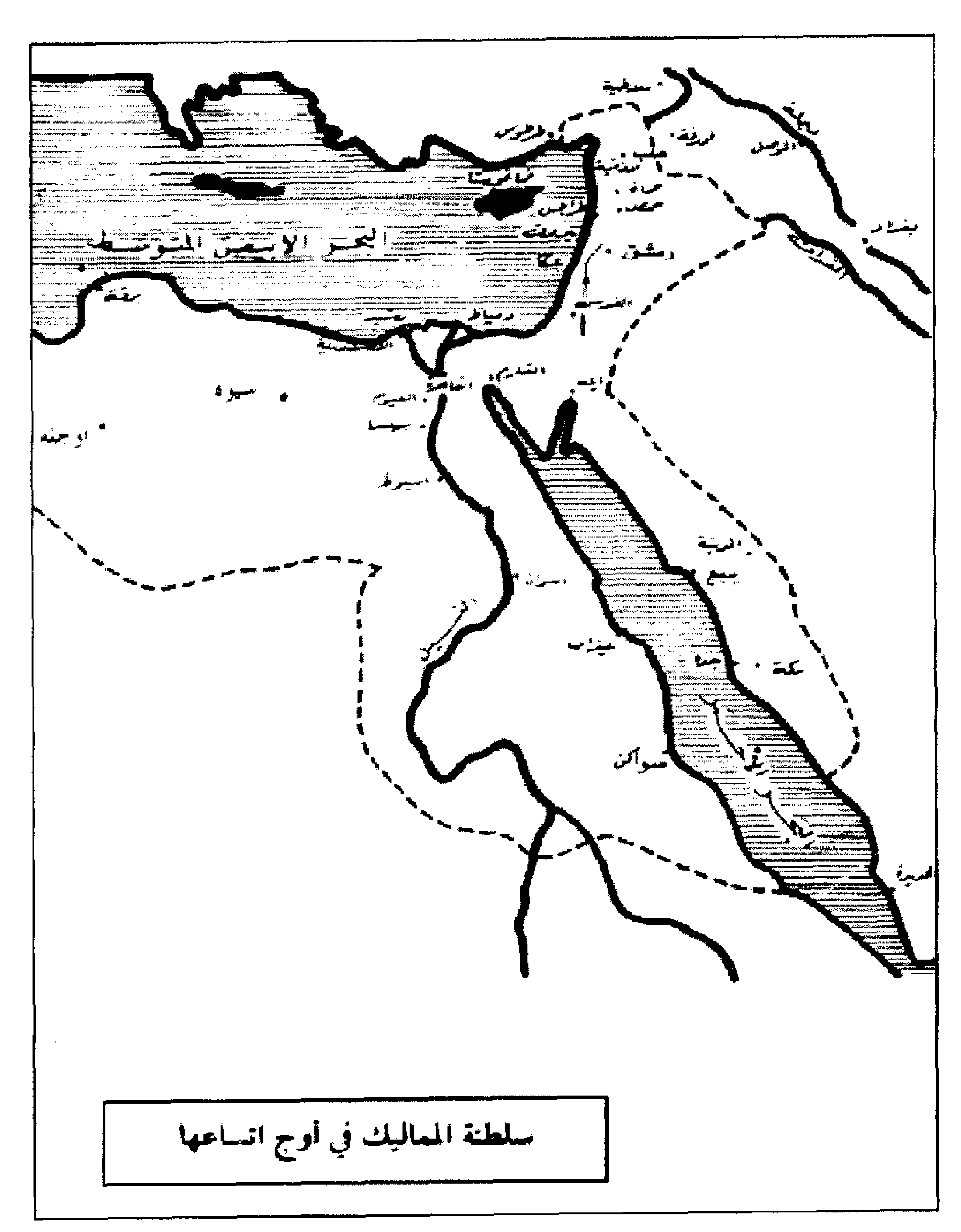


نقلاً عن:

1) هاري وهازارد: أطلس التاريخ الإسلامي (ترجمة وتحقيق إبراهيم زكي خورشيد، النهضة المصرية، القاهرة، 1954م) ص 19.

2) د. حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام (دار الزهراء، القاهرة، ط1، 1987م) ص304.

ملحق رقم (12)

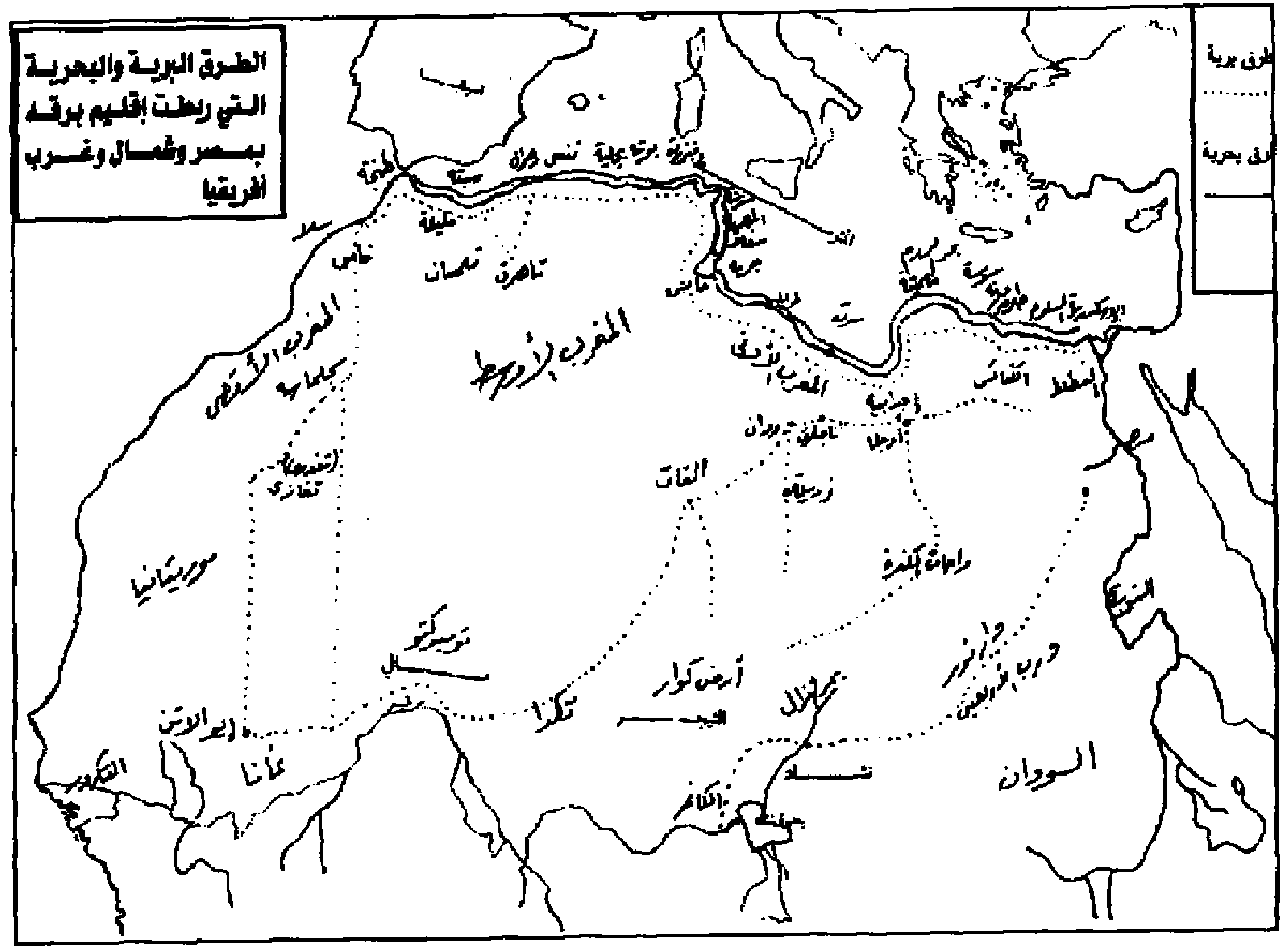


نقلاً عن:

1) سمير علي الخادم: الشرق الإسلامي، ص 557.

2) J. d. Fage, An Atlas of History Second Edition, Edward Arnold Ltd, London, Map. No.: 16.

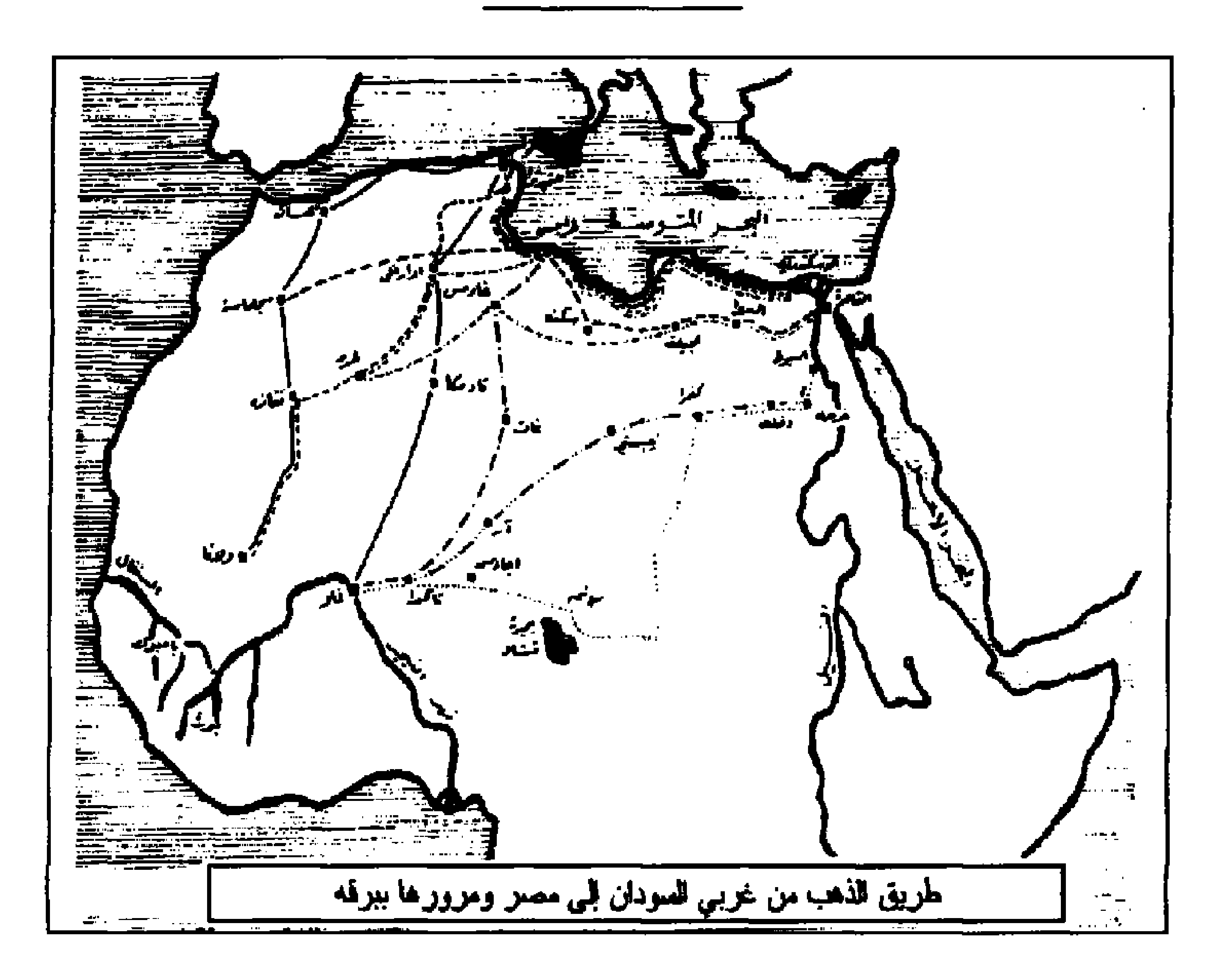
ملحق رقم (13)



نقلاً عن:

هيام عبد الرحمن سليم: العوامل الجغرافية وأثرها على تجارة مصر الخارجية في العصور الوسطى الإسلامية (دراسة في الجغرافية التاريخية) (رسالة دكتوراه، كلية البنات، قسم الجغرافيا، جامعة عين شمس، 1977)، ص 24.

ملحق رقم (14)



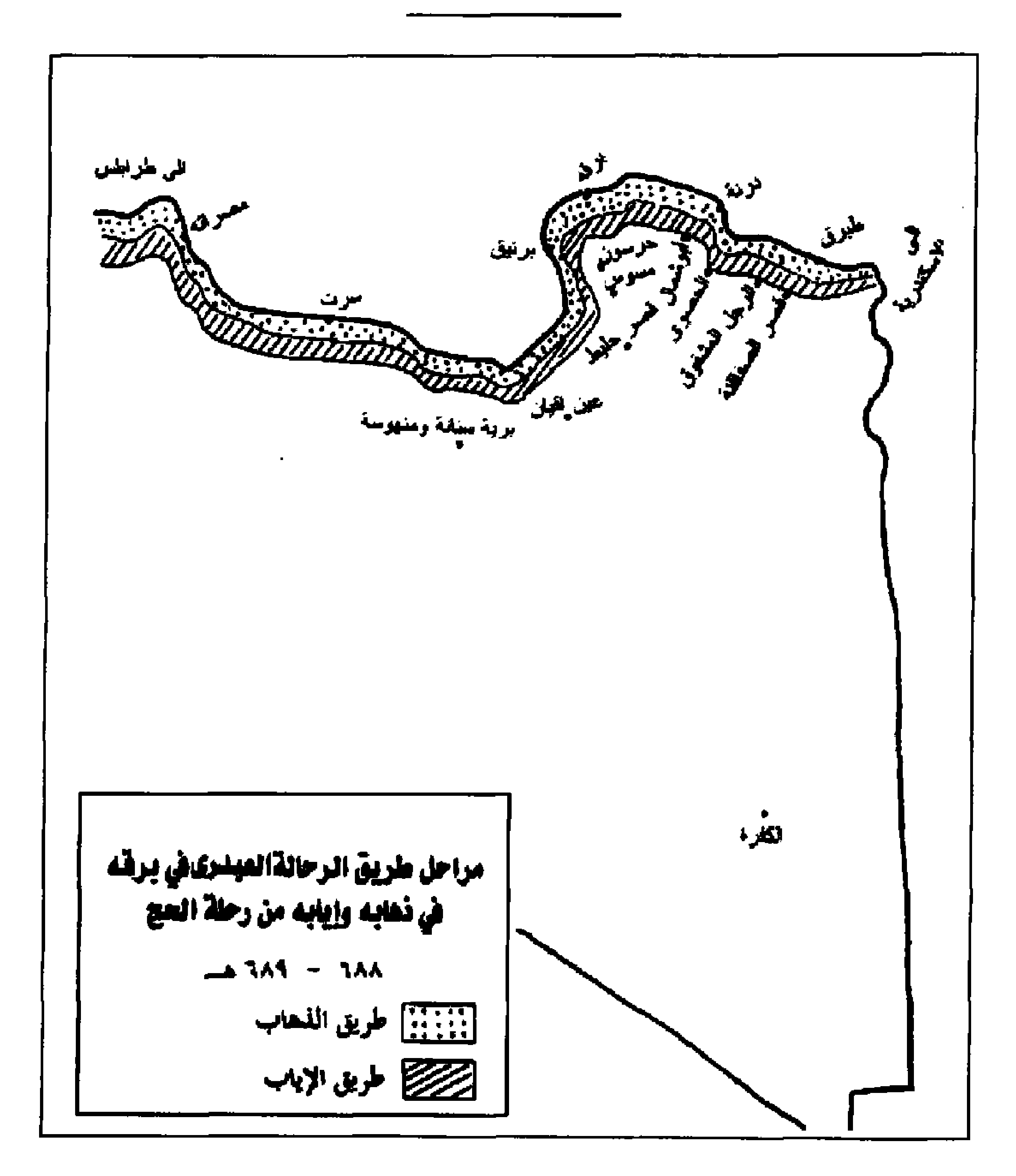
طريق الذهب من غربي السودان إلى مصر ومرورها ببرقه

نقلاً عن:

د. سمير علي الخادم: الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط 1450 ـ 1517م.

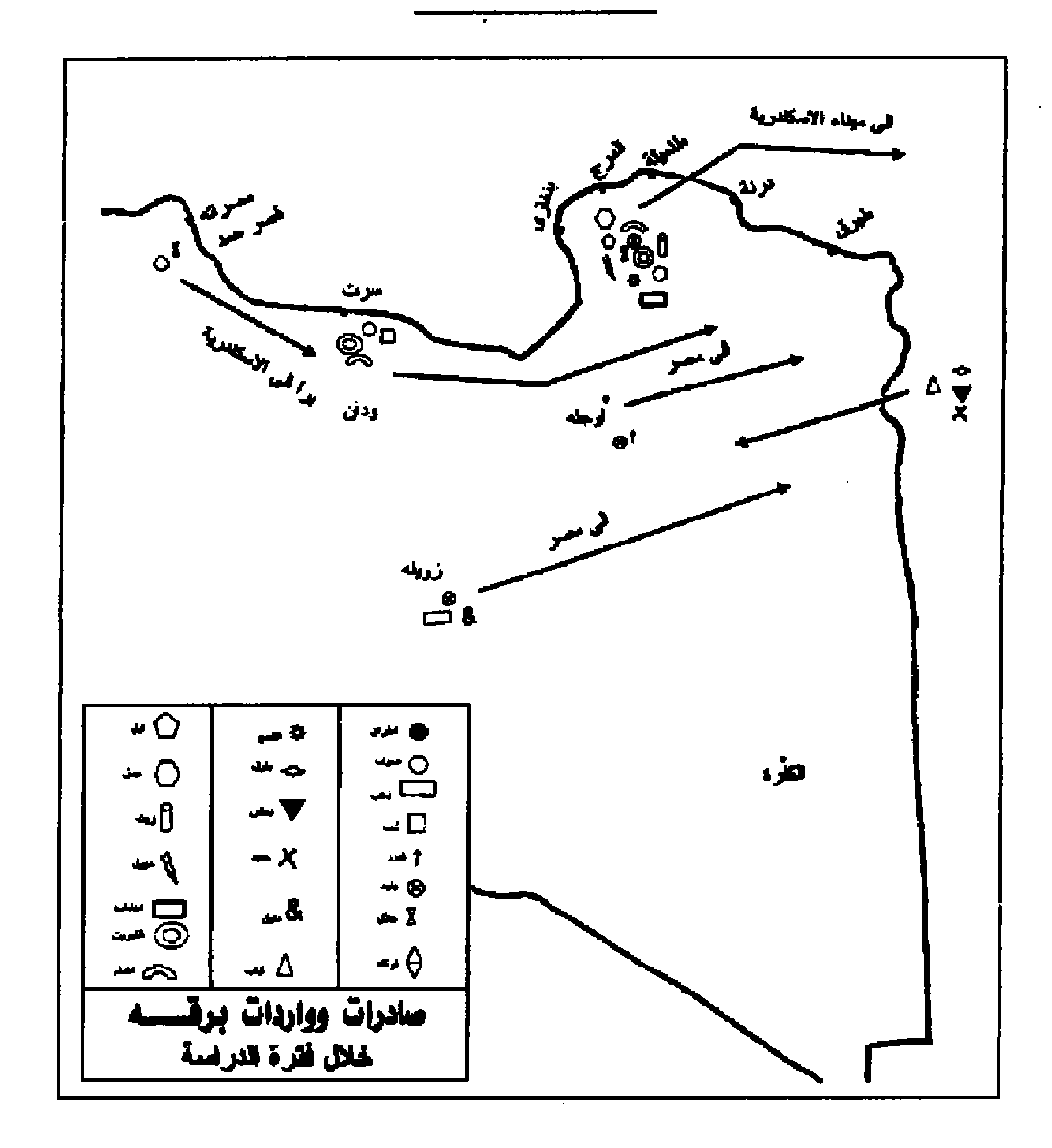
(دار الريحاني بيروت ط1، 1989) ص 556.

ملحق رقم (15)



العبدري: الرحلة ص 200 ـ 206، 480 ـ 483.

ملحق رقم (16)



إعداد الباحث من خلال مصادر ومراجع البحث:

ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 219، 415، الحميري: الروض المعطار، ص191.

المغربي: كتاب الجغرافيا، ص 146، بيبرس المنصوري: مختار الأخبار، ص 50.

التطيلي: رحلة بنيامين، ص 170، المقريزي: جني الأزهار، ورقة 24.

ابن إياس: نشق الأزهار، ورقة 18، الوزان: وصف أفريقيا، ج1، ص 111.

الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي، ص 181، جان كلود زليتز: طرابلس ملتقى أوروبا، ص20 ـ 23.

المصادر

أولاً: المصادر المخطوطة:

1 ـ **ابن الأثير** (علي بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت630هـ/ 1232م):

تحفة العجائب وطرفة الغرائب، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 499 جغرافيا، ميكروفيلم 41881.

2 ـ **الأجهوري** (علي بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف)

رسالة فى المغارسة، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 36 فقه مالك، ميكروفيلم 42110.

3 ـ **الإدريسي** (محمد بن عبد الله، ت588هـ/ 1192م):

أنس المهج وروض الفرج، نسخة مصورة عن طريق معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، سلسلة ج عيون التراث م7 المكتبة السليمانيه استانبول.

4 ـ **ابن إياس** (محمد بن أحمد، ت930هـ/ 1523م):

نشق الأزهار في عجائب الأقطار، مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم 279 ـ 6639 جغرافيا، أباظة.

5 ـ **البرتلي** (محمد البشير قام برحلته 1204هـ/ 1789)

مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 1052 جغرافيا ميكرو فيلم 46249.

6 ـ **البرزلي** (أبو القاسم محمد بن أحمد البلوي البرزلي، ت844هـ/ 1440م)
جامع مسائل البيان لما نزل بالقضايا من الأحكام، مخطوط بدار الكتب الوطنية تونس، رقم 8451.

7 ـ **الخالدي** (محمد بن لطف الله العمري ت927هـ/ 1520م):
المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى صناعة الإنشاء مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب ج1، ج2 تحت رقم ز 21031 ميكروفيلم 50244 ج1، 49982 ج2.

8 ـ **زروق،** (أحمد بن أحمد بن محمد بن البرنسي، ت899هـ/ 1493م):
عمدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وحوادث الوقت، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 90 تصوف تيمور عربي ميكروفيلم 26543.

9 ـ **ابن زنبل الرمال** (أحمد بن علي، ت960هـ/ 1552م):
تحفة الملوك والرغائب لمّا في البر والبحر من العجائب والغرائب، 711 جغرافيا.

10 ـ **ابن سباهي** (محمد، ت990هـ/ 1582م):
أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 19513 جغرافيا طلعت، ميكروفيلم 20753.

11 ـ **السلفي** (أحمد بن محمد أحمد بن سلفة الأصفهاني، ت577هـ/ 1171م):
معجم السلفي، ج2، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم تاريخ 3932 تاريخ، ميكروفيلم 5865.

12 ـ **السنهوري (سالم بن محمد ت1050هـ/ 1606م):**
مناقب سيدي عبد السلام الأسمر، مخطوط بمكتبة خالد سعد الفيتوري، البيضاء، ليبيا.

13 ـ **ابن شاهين اللمطي** (عبد الباسط بن خليل ت920هـ/ 1514م):
الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ج3، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 2403 ميكروفيلم 50703.

14 ـ **الطغتري** (محمد بن مالك كان حياً سنة 480هـ/ 1087م).
ظهر البستان ونزهة الأذهان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم 60 زراعة.

15 ـ **ابن عابد الفاسي** (أحمد بن محمد، قام برحلته سنة 1211هـ/ 1796م):
رحلة الفاسي، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 1403 تيمور، ميكروفيلم 30762.

16 ـ **الغرناطي** (محمد عبد الرحمن، ت565هـ/ 1169م):
تحفة الألباب، مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم 1164 ـ 7285.

17 ـ **المقريزي** (تقي الدين أحمد بن علي، 845هـ/ 1442م):
جني الأزهار من الروض المعطار في عجائب الأقطار مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 972 جغرافيا، ميكروفيلم 4624.

18 ـ **مجهول: أزجال مغربية**، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب تحت رقم 386، شهر تيمور، ميكروفيلم، 28921.

19 ـ **مجهول: إنسان العيون في مشاهير سادس القرون**، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 919 تاريخ تيمور، ميكروفيلم 50174.

20 ـ **مجهول**: مخطوط عن ملكية بعض الأراضي الزراعية لأسر أندلسية في مدينة درنة، مخطوط بمكتبة الأستاذ عاشور علي عزوز بمدينة درنة في ليبيا.

21 ـ **ابن ناصر الدرعي**: (أحمد بن محمد، ت1128هـ/ 1715م):
رحلة ابن ناصر الدرعي، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم 818 جغرافيا، ميكروفيلم 19393.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

22 ـ **ابن الأبار** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت658هـ/ 1260م):

الحلة السيراء، ج1 تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة 1985.

23 ـ **ابن الإجدابي** (إسماعيل بن إبراهيم ت650هـ/ 1252م):

كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ، تحقيق: د. السائح علي حسن، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، د.ت.

24 ـ **أبو شامة**: (عبد الرحمن بن إسماعيل، ت665هـ/ 1266م):

الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، دار الجيل، بيروت، د.ت.

الذيل على الروضتين: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، نشر عزت العطار القاهرة، 1974.

25 ـ **أبو الفداء**: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، ت732هـ/ 1331م):

تقويم البلدان، ج1، المكتب التجاري، بيروت، د.ت

المختصر في أخبار البشر، ج3، دار المعارف، ط القاهرة 1999م.

26 ـ **ابن أبي دينار** (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني، ت1092هـ/ 1681م).

المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، دار المسيرة، بيروت، 1993م.

27 ـ **ابن أبي الضياف** (أحمد بن أبي الضياف، ت1291هـ/ 1874م):

إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج1 الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.

28 ـ **ابن الأثير** (علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت630هـ/ 1232م).

الكامل في التاريخ، دار صادر ط1، بيروت، 1995.

اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت.

29 ـ **الإدريسي** (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، ت558هـ/ 1162م).

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، دار الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

30 ـ **الأصفهاني** (أبو عبد الله محمد بن صفي الدين، ت597هـ/ 2000م):

الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، الشركة الدولية، القاهرة، 2003م.

31 ـ **افتشيوس** (المكني بسعيد بن بطريق كان حياً سنة 333هـ/ 944م):

التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، الآباء اليسوعيين، بيروت 1909م.

32 ـ **الأنطاكي** (يحيى بن سعيد، ت458هـ/ 1066م):

تكملة تاريخ سعيد بن بطريق، الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.

33 ـ **ابن أيبك** (أبو بكر بن عبد الله، ت736هـ/ 1335م):

كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ن القاهرة 1972م.

كنز الدرر وجامع الغرر، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، د.ن، القاهرة 1972م.

34 ـ **ابن بصال** (عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطليطلي ت نهاية ق6هـ/ 12م).

كتاب الفلاحة، نشر وترجمة خوسى مارية جياسي بيكروسا، محمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1955م.

35 ـ **ابن بطوطة** (محمد بن عبد الله، ت779هـ/ 1377م):
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، ط2 بيروت، د.ت.

36 ـ **البغدادي** (قدامة بن جعفر الكاتب، ت337هـ/ 948م):
كتاب الخراج، دار البيان، بيروت، د.ت.

37 ـ **البغدادي** (موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف، ت629هـ/ 1231م):
الإفادة والاعتبار في الأمور الشاهدة والأمور المعاينة بأرض مصر، الهيئة العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1998م.

38 ـ **البغدادي** (الفتح بن علي ت643هـ/ 1245م).
سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.

39 ـ **البكري** (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت487هـ/ 1094م):
المغرب من ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، جزء من المسالك والممالك، نشر دي سلان، الجزائر، 1857م.
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج4، تحقيق: مصطفى السقا، لجنة التأليف، القاهرة 1951.

40 ـ **البلاذري** (أحمد بن يحيى بن جابر، ت279هـ/ 892م):
فتوح البلدان، شركة طبع الكتب المصرية، القاهرة 1318هـ.

41 ـ **البلوي** (أبو عبد الله بن محمد المديني، ت منتصف 4هـ/ 10م):
سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، المكتبة العربية، دار دمشق 1358م.

42 ـ **البلوي** (خالد بن عيسى، ت780هـ/ 1378م):
تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج2، تحقيق: الحسن السائح مطبعة فضالة المهدية، المغرب د.ت.

43 ـ **التجاني** (محمد بن عبد الله، ت717هـ/ 1317م):

رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس 1958م.

44 ـ **ابن تعزي بردي** (جمال الدين يوسف أبو المحاسن، ت874هـ/ 1469م):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ج5 القاهرة.

45 ـ **التطيلي** (بنيامين بن بونه ت في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ نهاية الثاني عشر الميلادي):

رحلة بنيامين، ترجمة وتحقيق: عزاز حداد، المطبعة الشرقية، ط1، بغداد 1945م.

46 ـ **التنبكتي** (أحمد بابا، ت1036هـ/ 1627م):

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة، طرابلس 1989م.

47 ـ **ابن جبير** (محمد بن أحمد، ت614هـ/ 1217م):

رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، دار مصر، القاهرة 1992م.

المسماة بذكرة بالأخبار عن اتفاقية الأسفار.

48 ـ **جلبي** (اوليا قام برحلته 1083هـ/ 1672م):

سياحتنامه، ترجمة، محمد علي عوتي، دار الكتب، القاهرة.

49 ـ **جوانفيل** (مذكرات جوانفيل القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام) تحقيق: حسن حبيش، ط1، القاهرة، 1986م.

50 ـ **الجوذري** (أبو علي منصور العزيزي، ت منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي):

سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق: محمد كامل حسين، الفكر العربي، القاهرة 1954م.

51 - **ابن الجوزي** (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ت654هـ/ 1257م):
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج17، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب المصرية، بيروت 1992م.
52 - **ابن حزم الأندلسي** (علي بن أحمد، ت456هـ/ 1063م):
جمهرة أنساب العرب، دار الكتب المصرية، بيروت 1998م.
53 - **الحميري** (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت. ق9هـ/ 10م):
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1975م.
54 - **ابن حوقل** (أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، ت380هـ/ 990م):
صورة الأرض، دار الجيل، بيروت، د.ت.
55 - **ابن خرداذبه** (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت300هـ/ 912م).
المسالك والممالك وزارة الثقافة، ط1، دمشق 1999م.
56 - **ابن الخطيب** (لسان الدين محمد، ت776هـ/ 1374م):
تاريخ المغرب في العصر الوسيط وهو الجزء الثالث من **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب، الدار البيضاء، 1964م.
الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، دار الخانجي، ط1، القاهرة 1974.
نفاضة الجراب في علالة الاغتراب،تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي، القاهرة.
57 - **ابن خلدون** (عبد الرحمن بن محمد، ت808هـ/ 1405م):
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، م4، م6 دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968م.
المقدمة: المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.

58 ـ **ابن خلكان** (شمس الدين أبو العباس أحمد، ت681هـ/ 1282م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: أحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1987م.

59 ـ **الدباغ** (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، ت696هـ/ 1296م):

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج3، المطبعة الرسمية، تونس 1320هـ.

61 ـ **ابن دقماق**: (صارم الدين إبراهيم محمد بن ايدمر العلائي، ت809هـ/ 1406م):

الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، عالم الكتب، ط1، بيروت 1985م.

الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج4، 5، المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، 1309هـ.

61 ـ **الذهبي** (أبو عبد الله الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت748هـ/ 1348م):

سير أعلام النبلاء، ج15، ج18، ج23، مؤسسة الرسالة، بيروت 1984م.

ذيل العبر: تحقيق: محمد رشاد عبد المطلب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، د.ت.

62 ـ **ابن رستة** (أبو علي أحمد بن عمر، ت في أوائل القرن الرابع هـ):

الأعلاق النفيسة، المكتب التجاري، بيروت، د.ت.

63 ـ **الروحي** (علي بن محمد، ت648هـ/ 1250م):

بلغة الظرفاء في تاريخ الحلفاء، تحقيق أحمد هلال، محمد حسني عبد الرحيم، سعاد محمود عبد الستار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2003م.

64 ـ **السخاوي** (محمد بن عبد الرحيم، ت902هـ/ 1496م):

الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة، تحقيق: جودة هلال، محمد محمود صبيح، الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، م1، د.ت، مكتبة الثقافة م2، 6، 9.

65 ـ **ابن سعيد** (علي بن موسى بن محمد، ت685هـ/ 1286م):

بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: حوان قرنيط خينيس، تطوان، 1958م.

كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجار، بيروت 1970م.

النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، دار الكتاب، القاهرة، 1970م.

المغرب في حلى المغرب، تحقيق: محمد زكي حسن، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة 2003م.

66 ـ **السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمن، ت911هـ/ 1505م):

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1968م.

67 ـ **ابن شاهنشاه الأيوبي** (محمد بن صفي الدين عمر، ت617هـ/ 1220م):

مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة 1968م.

68 ـ **ابن شداد** (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع، ت632هـ/ 1234م):

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مطبعة الأدب، القاهرة 1317هـ.

69 ـ **ابن شداد** (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، ت684هـ/ 1285م):

الملك الطاهر، تحقيق: أحمد حطيط، فرانز بفسيباذن، 1983.

70 ـ **الشماخي**: (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت928هـ/ 1522م):
كتاب السير، القاهرة د.ت.

71 ـ **شيخ الربوة** (شمس الدين محمد الأنصاري، ت727هـ/ 1326م):
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ليندج، 1923م.

72 ـ **الصفاقصي** (محمود بن سعيد مقديش، ت228هـ/ 1813م):
نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1988م.

73 ـ **ابن عبد الحكم** (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت257هـ/ 871م):
فتوح مصر وأخبارها، دار التعاون، القاهرة 1974م.

74 ـ **ابن عبد الظاهر** (محي الدين عبد الله، ت692هـ/ 1293م):
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر،تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، ط1، الرياض، 1976م.

75 ـ **العبدري** (محمد بن محمد بن علي البلنسي، قام برحلته 688هـ/ 1290م):
رحلة العبدري، تحقيق: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، ط1، دمشق 1999م.

76 ـ **ابن العديم** (كمال الدين عمر، ت660هـ/ 1261م):
زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: محمود سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1968.

77 ـ **ابن عذارى** (محمد بن عذارى المراكشي ت نهاية القرن السابع الهجري، 13م):
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار صادر، بيروت 1950م.

78 ـ **ابن العربي** (أبو بكر بن محمد ت543هـ/ 1148م):
ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، تحقيق: سعيد عراب، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1987م.

79 ـ **العياشي** (أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر، ت1090هـ/ 1702 م):

ماء الموائد، تحقيق: سعد زغلول وآخرون، منشأة المعارف الإسكندرية، 1996م.

80 ـ **العيني** (بدر الدين محمود، ت852هـ/ 1451م):

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، تحقيق: محمود رزق محمود، دار الكتب، القاهرة 2002م.

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث وتراجم، ج3، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1990م.

81 ـ **ابن غلبون** (محمد خليل، من علماء ق12هـ/ 18م):

التذكار في ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق: الطاهر الزاوي، مكتبة النور، طرابلس 1967م.

82 ـ **ابن الفرات** (محمد عبد الرحيم، ت807هـ/ 1404م):

تاريخ ابن الفرات، مطبعة حداد، البصرة، 1967م.

83 ـ **ابن فضل الله العمري** (شهاب الدين أحمد بن يحيى، ت749هـ/ 1375م):

التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دراسة وتحقيق: دوريتا كرافولوسكي، مطبعة بروفتانا الشرقية المركز الإسلامي، الجزائر، 1908م.

84 ـ **الفيتوري** (عبد السلام بن عثمان ألف كتابة 1094هـ/ 1683م):

الإشارات إلى ما بطرابلس الغرب من المزارات، مطبعة الولاية، طرابلس 1931م.

85 ـ **القزويني** (زكريا بن محمد، ت682هـ/ 1283م):

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، البابي الحلبي، ط1، القاهرة 1985.

86 ـ **القفطي** (جمال الدين أبي الحسن علي، ت646هـ/ 1248م):

ابناه الرواة على أنباه النحاة، دار الكتب المصرية، القاهرة 1990م.

87 ـ **القلصادي** (علي الأندلسي، ت891هـ/ 1486م):

رحلة القلصادي تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، تونس 1985م.

88 ـ **القلقشندي** (أحمد بن علي، ت821هـ/ 1418م):

ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، تحقيق: محمود سلامة، مكتبة الواعظ، ط1، القاهرة 1906م.

قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، بيروت 1982م.

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

صبح الأعشا في صناعة الأنشاء، تحقيق: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

89 ـ **الكاتب** (شافع بن علي، ت730هـ/ 1329م):

حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، مطابع القوات المسلحة، الرياض 1976م.

الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي الفتح قلاوون، الأكاديمية الشرقية، وارسو، 2000م.

90 ـ **الكتاني** (عبد الحي بن عبد الحكم من علماء القرن الثالث عشر هـ/ التاسع عشر الميلادي): **تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة**، فاس 1301هـ.

91 ـ **ابن كثير** (إسماعيل بن عمر، ت774هـ/ 1372م):

البداية والنهاية، ج12، دار الرشيد، حلب، د.ت.

92 ـ **الكندي**: (أبو عمر محمد بن يوسف، ت 350هـ/ 961م):

الولاة والقضاة، الآباء اليسوعيين، بيروت 1908م.

93 ـ **الكوهن**: (الحسن الفاسي):

طبقات الشاذلية الكبرى، القاهرة، 1347هـ.

94 ـ **مجهول**: (عاش في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي):

الإستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1958م.

95 ـ **مجهول**:

تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق: زيتر تشين، بريل، لندن، 1919م.

96 ـ **مجهول**:

كتاب الطبيخ في الغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق: أوير وزيبوا اوتش ورندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية عبد ربه المحلة 1029، 1960، 1961.

97 ـ **مجهول**:

أخبار القصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق: حسين مؤمن، الزهراء للإعلام، ط1، القاهرة 1991م.

98 ـ **ابن مخلوف**: (محمد بن محمد بن عمر):

تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت 1349م.

99 ـ **المراكشي**: (عبد الواحد علي التميمي، ت647هـ/ 1249م):

المغرب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة 1994م.

100 ـ **المسبحي**: (عز الدين محمد عبيد الله، ت420هـ/ 1029م):

تاريخ مصر، «أخبار مصر» في سنين 412 ـ 414هـ، الجزء الأربعون، تحقيق: أيمن فؤاد سيد نيازي بياتلي، المعهد العالي الفرنسي، ثلاث، الشرقية، القاهرة د،ت.

101 ـ **المقدسي**: (أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري، ت380هـ/ 990م):

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1909م.

102 ـ **المقري**: (أحمد بن محمد، ت1041هـ/ 1631م):

نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط2، بيروت 1968م.

103 ـ **المقريزي**: (تقي الدين أحمد بن علي، ت845هـ/ 1441م):

إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: ياسر سيد صالحين، مكتبة الآداب، القاهرة د.ت.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، مطبعة النيل، القاهرة، 1325هـ.

الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة، 1955م.

البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1961م.

السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة 1970م.

المقفى الكبير، ج2، ج3، تحقيق: محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991م.

اتعاظ الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث، ط2، القاهرة، 1991م.

104 ـ **ابن مليح**: (محمد بن أحمد القيسي قام برحلته): 1040 ـ 1042هـ/ 1630 ـ 1633هـ.

أُنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب، سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق: محمد الفاسي، وزارة الشؤون الثقافية والتعليم، فاس 1968م.

105 ـ **ابن مماتي**: (الأسعد بن مهذب، ت606هـ/ 1209م):

قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، القاهرة، 1943م.

106 ـ **المنذري**: (زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، ت656هـ/ 1258م):

التكملة لوفيات النقلة، م3، تحقيق: بشار معروف، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت 1988م.

107 ـ **المنصوري**: (بيرس ت725هـ/ 1324م):

التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1987م.

زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تحقيق: رونالد س، ريتشارد، الشركة المتحدة، رافع، لبيروت 1998م.

مختار الأخبار، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1993.

108 ـ **ابن منظور**: (جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم بن على ت711هـ/ 1311م).

لسان العرب، ج14، دار صادر، بيروت، 1956م.

109 ـ **ابن منكلي**: (محمد، ت784هـ/ 1382م):

أنس الملّا بوحش الفلا، دراسة وتحقيق: محمد عيسى صالحية، دار البشير، ط1، عمان 1993م.

110 ـ ابن ميسر: (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف، ت677هـ/ 1278م):

المنتقي من أخبار مصر، تحقيق: أحمد فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1978م.

111 ـ **الناصري**: (أحمد بن خالد السلاوي، ت1319هـ/ 1901م):

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، وزارة الثقافة، الدار البيضاء، 2001م.

112 ـ **النعمان**: (بن محمد بن منصور بن حيون، ت363هـ/ 173م):

المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، دار المنتصر، بيروت 1996م.

113 ـ **النويري**: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت733هـ/ 1332م):

نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تحقيق: حسين نصر ومراجعة عبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1983م.

114 ـ **هيردوت**: (ت425ق.م):

تاريخ هيردوت الكتاب الرابع، ترجمة محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، 2003م.

115 ـ **ابن واصل**: (جمال الدين محمد بن سالم، ت697هـ/ 1298م):

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج1، تحقيق: جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة 1957م.

116 ـ **الورثلاني**: (الحسين محمد، ت1193هـ/ 1779م):

نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، (الرحلة الورثلانية) دار الكتاب العربي، ط2، بيروت 1974م.

117 ـ **الوزان**: (الحسن بن محمد «ليون الأفريقي» ت944هـ/ 1552م):

وصف أفريقيا، جزآن، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

118 ـ **ياقوت الحموي**: (ياقوت بن عبد الله، ت626هـ/ 1219م):

معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الغرب الإسلامي، بيروت د.ت.

معجم البلدان، ج1، ج4، دار صادر، بيروت 1957م.

المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

119 ـ **اليعقوبي**: (أحمد بن يعقوب بن جعفر، ت284هـ/ 897م):

البلدان، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2002م.

تاريخ اليعقوبي، ج2، دار صادر، بيروت 1960م.

120 ـ **اليوسفي**: (عماد الدين موسى بن محمد يحيى، ت759هـ/ 1358م):

نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت 1986م.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

121 ـ **ابتسام مرعي خلف الله:**

العلاقات بين الخلافة الموحدية والشرق الإسلامي، 924 ـ 937، دار المعارف، الإسكندرية، 1985م.

122 ـ **د. إبراهيم أحمد زرقانة:**

جغرافية الوطن العربي، دار النهضة، القاهرة 1964م.

123 ـ **د. إبراهيم حسن سعيد:**

البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، الإسكندرية 1983م.

124 ـ **د. إبراهيم علي طرخان:**

النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة 1968م.

دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973م.

125 ـ **د .إبراهيم نصحى:**

إنشاء قوريني وشقيقاتها، جامعة قاريونس، ط2 بنغازي 1979م.

126 ـ **د. إحسان عباس:**

تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار صادر، ط1، بيروت 1967م.

127 ـ **أحمد صفر:**

مدينة المغرب العربي في التاريخ، تونس 1959م.

128 ـ **أحمد علي الفنيش:**

المجتمع الليبي ومشكلاته، دار مكتبة النور ط1، طرابلس 1967م.

129 ـ **ارشيبالد (ر.لويس):**

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500هـ ـ 1100م)

مراجعة وتقديم محمد شقيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، 1960م.

130 ـ **إسحاق المليجي:**

سيدي عبد السلام الأسمر، مكتبة النجاح، طرابلس، د.ت.

131 ـ **إسماعيل كمالي:**

طرابلس الغرب، ترجمة وتحقيق: حسن الهادي بن يونس، مركز الجهاد الليبي، طرابلس، 1997م.

132 ـ **اشتور. أ:**

التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عيلة، دار قتيبة، دمشق 1985م.

133 ـ **اغسطيني هنريكو:**

سكان ليبيا، ترجمة وتحقيق: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1990م.

134 ـ **د. أمحمد مصباح الأحمر:**

أفريقيا والعرب، شعبة التثقيف، ط1 طرابلس 1998م.

135 ـ **إيفانوف، نيقولاي:**

الفتح العثماني للأقطار العربية، 1516 ـ 1574م، ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي، ط1، بيروت 1988م.

136 ـ **باشو جان ريمون:**

رحلة إلى مرمرة وقورينا ونواحي أوجلة ومرادة، ترجمة: مفتاح عبد الله المسوري، دار الجيل، ط1، بيروت 1999م.

137 ـ **برنشيفيك روبار:**

تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن

الخامس عشر، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1988م.

138 ـ **بروشين نيكولاي:**

تاريخ ليبيا منذ القرن التاسع عشر حتى نهاية 1969م، مركز جهاد الليبيين، طرابلس 1998م.

139 ـ **بيتش، هنري وفرديريك:**

كتاب الأخوان بيتش والساحل الليبي 1821 ـ 1822م، ترجمة: الهادي مصطفى بو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، ط1996م.

140 ـ **تيسير بن موسى:**

غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين، الدار العربية للكتاب، طرابلس تونس، د.ت.

المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، ط1 طرابلس 1988م.

141 ـ **د. جمال حمدان:**

الجمهورية العربية الليبية، دراسة في الجغرافية السياسية، عالم الكتب، القاهرة 1970م.

142 ـ **جواتياين، س، د:**

دراسة في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة وتحقيق: عطية القوصي، رسالة المطبوعات، الكويت 1980م.

143 ـ **جوتشايلد. ر. ج:**

قورينا وابولونيا، إدارة البحوث التاريخية، طرابلس 1970م.

144 ـ **حاييم الزعفراني:**

ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شعلان، عبد الغني أبو العز، ط1 الدار البيضاء، 1987م.

145 ـ د. حسن إبراهيم حسن:

الفاطميون في مصر، المطبعة الأميرية، القاهرة 1932م.

146 ـ حسن سليمان محمود:

ليبيا بين الماضي والحاضر، سجل العرب، القاهرة 1961م.

147 ـ حسن محمود جوهر، محمد السيد أيوب:

اليمن، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1967م.

148 ـ حسن محمود جوهر وآخرون:

ليبيا، دار المعارف، القاهرة 1960م.

149 ـ حسين عبد الحي قاعود وآخرون:

العجول والأغنام والماعز والإبل، دار المعارف، ط2، القاهرة 2003م.

150 ـ د. حسين مؤنس:

تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر، بيروت 1992م.

151 ـ خير الله فضل الله أعطيوه:

رحلة الألف عام مع قبائل أولاد علي، الإسكندرية 1982م.

152 ـ داوود حلاق:

قوريني الوجه الآخر، مصلحة الآثار، ط1، بنغازي 2003م.

153 ـ رجب عبد الجواد إبراهيم:

المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الآفاق، القاهرة 2003م.

154 ـ د. رجب عبد الحميد الأثرم:

تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع ق.م حتى بداية العصر الروماني، مكتبة قورينا، بنغازي 1975م.

155 ـ **رفعت الجوهري:**

أسرار الصحراء الغربية، دار المعارف، القاهرة 1947م.

156 ـ **روسي أتوري:**

ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، ط2، طرابلس.

157 ـ **رولفس غير هارد:**

رحلة بين طرابلس إلى الإسكندرية، 1868 ـ 1869م، ترجمة: عماد الدين غانم، الدار الوطنية، ط1، بنغازي 2002م.

158 ـ **سالم سالم شلابي:**

ألبسة على مشجب التراث، الدار الجماهيرية، ط1، بنغازي 1990م.

159 ـ **د. سامية مصطفى مسعد:**

صور من المجتمع الأندلسي رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم، دار عين للدراسات، ط1، القاهرة 1998م.

160 ـ **د. سعد إبراهيم الدراجي:**

دراسة في العمارة الإسلامية، القيادة الشعبية، ط1، زليتن 2003م.

161 ـ **د. سعد زغلول عبد الحميد:**

تاريخ المغرب العربي، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية 1979م.

162 ـ **سمير الخادم:**

الأزياء الشعبية، وزارة الثقافة، الإسكندرية، 1961م.

163 ـ **سمير عبد المنعم خضري:**

العمارة الإسلامية في أوجلة، جامعة عمر المختار، البيضاء 2005م.

164 ـ **د. سمير علي الخادم:**

الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، دار الريحاني، ط1، بيروت 1989م.

165 ـ **د. سيدة إسماعيل كاشف:**

مصر في فجر الإسلام، دار النهضة، ط2، القاهرة 1970م.

166 ـ **د. السيد عبد العزيز سالم:**

تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.

المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.

167 ـ **شارل أندريه جوليان:**

تاريخ أفريقيا الشمالية، ج2، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الطبعة الثالثة، الدار التونسية 1985م.

168 ـ **شوقي عبد القوي عثمان:**

التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000م.

169 ـ **د. صالح مصطفى مفتاح:**

ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الشركة العامة للنشر، ط1، بيروت 1978م.

170 ـ **صبحي سليمان:**

تربية الإبل والجمال وأنواعها، يبتراك للطباعة والنشر، ط1، القاهرة 2001م.

171 ـ **الطاهر أحمد الزاوي:**

تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، ط2، القاهرة 1963م.

معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، ط1، طرابلس 1968م.

ولاة طرابلس منذ بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح، بيروت 1977م.

تركيب القاموس المحيط على طريقة المصباح وأساس البلاغة، ج1، مطبوعات دار الكتب العلمية، بيروت 1979م.

172 ـ **الطيب محمد حمادي:**

اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1994م.

173 ـ **د. عادل زيتون:**

العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق، ط1، 1980م.

174 ـ **عادل سعيد بشتاوي:**

الأندلسيون المواركة، دار أسامة، ط2، دمشق 1985م . .

175 ـ **د. عبد الحميد يونس:**

الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، جامعة القاهرة، القاهرة 1956م.

176 ـ **د. عبد الرحمن بشير:**

اليهود في المغرب العربي، دار عين، ط1، القاهرة 2001م.

177 ـ **عبد السلام قادربوه:**

أغنيات من بلادي، منشورات دار الكتاب، ط3، طرابلس 1982م.

178 ـ **د. عبد العزيز بوراضي:**

المناخ والبيئة دراسة في المناخ التطبيقي لبيئة دلتا النيل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991م.

179 ـ **د. عبد العزيز طريح شرف:**

جغرافية ليبيا، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط1، الإسكندرية 1962م.

180 ـ **عبد الكريم فضيل الميار دليل آثار مدينة قورينا**، الجمهورية العربية الليبية، مصلحة الآثار، طرابلس د.ت.

دليل آثار مدينة توكرة، مصلحة الآثار، طرابلس د.ت.

181 ـ **عبد اللطيف سليمان الساقزلي:**

ليبيا الثورة، جامعة القاهرة، 1389هـ.

182 ـ **د. عبد اللطيف محمود البرغوثي:**

التاريخ الليبي القديم منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، ط1، بيروت 1970م.

تاريخ ليبيا الإسلامي، دار صادر، بيروت 1973م.

183 ـ **عبد الله العروي:**

مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1964م.

184 ـ **عبد المنعم سيد عبد العال:**

معجم شمال المغرب تطوان وما حولها، وزارة الثقافة، القاهرة 1918م.

185 ـ **عثمان الكعاك:**

محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، المطبعة...، القاهرة 1958م.

186 ـ **د. عز الدين عمر أحمد موسى:**

دراسات في تاريخ المغرب، دار الشروق، بيروت 1983م.

187 ـ **د. عطا أبو ريه:**

اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ايتراك، القاهرة 2005م.

188 ـ **د. عطية القوصي:**

تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف، ط2، القاهرة 1981م

189 ـ **د. عفيفي محمود إبراهيم:**

الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب، دار الفكر العربي، القاهرة 2001م.

190 ـ د. علي عبد اللطيف أحميدة:

المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت 1998م.

191 ـ د. علي فهمي خشيم:

أحمد الزروق والزروقية، دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة المنشأة الشعبية للنشر، ط2، طرابلس 1980م.

192 ـ علي محمد برهانة:

سيرة بني هلال، ظاهرة أدبية، جامعة سبها 1994م.

193 ـ علي مظهر:

محاكم التفتيش، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة 1947م.

194 ـ عمر رضا كحالة:

معجم قبائل العرب، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985م.

195 ـ عياد موسى العوامي:

موسوعة الحيوانات الليبية، ط1، بنغازي 1991م.

الحيوانات البرية الليبية، منشورات جامعة عمر المختار، ط1، البيضاء 1997م.

196 ـ غوتية ف:

ماضي شمال أفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، دار الفرجاني، طرابلس 1970م.

197 ـ د. كمال السيد أبو مصطفى:

جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار المغرب للونشريس، مركز الإسكندرية للكتاب، ط1، 1997م.

198 ـ **لجنة من الجغرافيين من مصلحة المساحة، الأطلس الوطني**، طرابلس 1978م.

199 ـ **لمياء محمد سالم:**

بعض ملامح أزمة أفريقيا الاقتصادية، مركز جهاد الليبيين، ط1، طرابلس 1999م.

200 ـ **مانع بن فراس الدعماني:**

التقنيات التقليدية في البيئة البدوية، دار المعاجم، الرياض، 1414هـ.

201 ـ **ماير**. ل أ الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الهيتي وعبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية، القاهرة د.ت.

202 ـ **د. محمد إبراهيم حسن:**

دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي، جامعة قاريونس، بنغازي د.ت.

203 ـ **محمد حسين:**

المدينة والبادية بأفريقيا في العهد الحفصي، ج1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1999م.

204 ـ **محمد حسين المرتضي:**

طلائع الفتح الإسلامي في ليبيا، البيضاء 1992م.

205 ـ **محمد حماد:**

تخطيط المدن وتاريخها، مطبعة المعرفة، القاهرة 1965م.

206 ـ **محمد حمدي المناوي:**

نهر النيل، الدار القومية، القاهرة 1966م.

207 ـ **محمد رجب الزائدي:**

قبائل العرب في ليبيا، دار الكتاب الليبي، ط1، بنغازي 1968م.

208 ـ **محمد رمزي:**

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القسم الثاني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1994م.

209 ـ **محمد السنوسي الغزالي:**

السبك الحديث في تاريخ برقة القديم والحديث، مطبعة الأخوان المسلمين، القاهرة 1939م.

210 ـ **د. محمد سهيل طقوش:**

تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط1، بيروت 1989م.

211 ـ **محمد الطيب أحمد إدريس الأشهب:**

برقة العربية أمس واليوم، مطبعة الهواري، مصر 1946م.

212 ـ **د. محمد عابد الجابري:**

فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1994م.

213 ـ **محمد عبد الجواد محمد:**

ملكية الأرض في ليبيا منذ العهود القديمة حتى العهد العثماني، منشأة المعرف، الإسكندرية 1974م.

214 ـ **محمد عبد الله عنان:**

عصر المرابطين والموحدين في الغرب والأندلس، لجنة التأليف والنشر، ط1، القاهرة 1964م.

215 ـ **محمد عبده حتامله:**

محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة، دار الشعب، عمان 1977م.

216 ـ **محمد علي دبوز:**

تاريخ المغرب الكبير، ج2، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط2، القاهرة 1964م.

217 ـ **محمد المرزوقي:**

مع البدو في حلهم وترحالهم، الدار العربية، ط2، تونس طرابلس 1984م.

218 ـ **محمد مصطفى بازامة:**

ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، مكتبة الفكر بيروت.

بنغازي عبر التاريخ، ج1، دار ليبيا، بنغازي 1968م.

واحات الجنوب البرقي بين الأسطورة والتاريخ، دار الحوار، ط1، بيروت 1994م.

219 ـ **د. محمود إسماعيل عبد الرازق:**

الأغالبة وسياستهم الخارجية، دار عين، ط3، القاهرة 2000م.

سيسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الازدهار، الخلفية السوسيو ـ تاريخية، دار سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي، القاهرة، 2000م.

220 ـ **د. محمود سعيد عمران:**

معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، النهضة العربية، بيروت 1981م.

221 ـ **محمود طه أبو العلا:**

جغرافية الوطن العربي، الانجلو مصرية، القاهرة 1977م.

222 ـ **محمود ناجي:**

طرابلس الغرب، ترجمة: عبد السلام أدهم، محمد الأسطى، الجامعة الليبية، بنغازي 1970م.

223 ـ **د. مراجع عقيلة الغناي:**

علاقة الأمارة الصنهاجية بجيرانها، المكتبة الوطنية، ط1، بنغازي د.ت.

سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1988م.

224 ـ **مسعود رمضان شقلوف وآخرون:**
موسوعة الآثار الإسلامية، ج1، مصلحة الآثار طرابلس، 1980.

225 ـ **مصطفى عبد العزيز الطرابلسي:**
درنة الزاهرة، منشورات جامعة درنة، ط1، 1999م.

226 ـ **مصطفى عبد الله بعيو:**
المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا، ط1، الدار العربية، ليبيا تونس 1975م.

227 ـ **مصطفى كمال عبد العليم:**
دراسات في تاريخ ليبيا القديم، الجامعة الليبية، ط1، بنغازي 1966م.
تقرير جريجوري عن اتخاذ برقة وطناً قومياً لليهود، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة 1976م.

228 ـ **نخبة من الأساتذة المتخصصين بالجامعة:**
تاريخ البحرية المصرية، جامعة الإسكندرية 1973، الإسكندرية بالتعاون مع القوات البحرية بجمهورية مصر العربية.

229 ـ **د. نبيل محمد عبد العزيز:**
الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، الانجلو مصرية، القاهرة 1976م.

230 ـ **د. نعيم فهمي:**
طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية، القاهرة 1973م.

231 ـ **الهادي المبروك الدالي:**
مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، دار الملتقى، ط1، بيروت 1993م.

232 ـ **د. الهادي مصطفى بولقمة، د. سعد خليل القزيري:**

الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، الدار الجماهيرية، ط1، سرت 1995م.

233 ـ **د. هاشم العلوي القاسمي:**

مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 1995م.

234 ـ **هايد:**

تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج2، ترجمة: أحمد رضا محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1991م.

235 ـ **ويستنفلد. ف:**

جداول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة: د. عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، الانجلو مصرية، القاهرة 1980م.

رابعاً المراجع الأجنبية:

236 - **Barr (F.R)**

Geology and ArchoLgy of Northern Cyrenaica Libya Amsterdam, Holland Breumel holf, 1963.

237 - **Botoft (R.A):**

Cyrenaica, printed by the printing and sraionery services M.E.F, Benghazi, 1944

238 - **Dozy (R)**

Dictonn aire De taille Des noms Ve tement chez les Arabs, Amsterdam 1845.

239 - **Good child (R.G):**

Benghazi, the story of Acity lamin, press Benghazi, 2 ed edition, 1962, P.42.

240 - **Libya as amarket for Manufacture Product From developing** Countries International Trade, Center u: n.c.a.t.a.D GATT, Geneva, 1969.

خامساً الدوريات العربية:

241 ـ **د. أحمد مختار العبادي:**

سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، **صحيفة المعهد العربي للدراسات الإسلامية**، مدريد 1957. نقلاً عن السيد عبد العزيز سالم المغرب الإسلامي، ج2، ص66.

242 ـ **التقي العلوي:**

أصول المغاربة الهلاليون بالغربين الأدنى والأقصى، **مجلة البحث العلمي**، العدد 35، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، المغرب 1985م.

243 ـ **د. حسن علي حسن:**

الغزو الهلالي للمغرب أسبابه ونتائجه، **المجلة التاريخية المصرية**، 243، 1977م.

244 ـ **د. حسين مؤنس:**

غرناطة تحفة من تحف الفن وعجيبة من عجائب التاريخ، **مجلة العربي**، العدد 89، الكويت 1966م.

245 ـ **راضي دعفوس:**

العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال، **مجلة أوراق**، مدريد، إبريل 1981م.

246 ـ **د. رشيد الجميلي:**

العلاقات السياسية بين الأيوبيين والموحدين في المغرب الأقصى، **مجلة المؤرخ العربي**، بغداد، العدد 35، 1988م.

247 ـ **د. سعد زغلول عبد الحميد:**

فترة حاسمة في تاريخ المغرب، **مجلة كلية الآداب**، الجامعة الليبية، م1، 1958م.

248 ـ **سعد عبد الله بو حجر:**

حفريات ما قبل التاريخ في كهف الطير، **مجلة البحوث التاريخية**، مركز الجهاد الليبي، طرابلس، العدد الثاني، 1994م.

249 ـ **صالح ونيس:**

العملة العربية في ليبيا من خلال الدينار الأموي من الذهب، **مجلة البحوث التاريخية**، طرابلس، العدد الأول، 1992م.

250 ـ **د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم:**

الليبيون في مصر في القرن السادس عشر الميلادي، **مجلة البحوث التاريخية**، العدد الأول، طرابلس 1994م.

251 ـ **د. عبد السلام شلوف:**

مدينة الوادي، **مجلة الثقافة العربية**، العدد العاشر، السنة الخامسة، الدار الجماهيرية، مصراته 1997م.

252 ـ **عبد الكريم فضيل الميار:**

كهف الآثار بقرية سلنطة، **المجلة العلمية بكلية التربية**، جامعة قاريونس، البيضاء 1981م.

253 ـ **د. عز الدين عمر موسى:**

طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مصر في القرن السادس، **مجلة البحوث التاريخية**، العدد الأول، طرابلس 1983م.

254 ـ **د. علي أحمد:**

الموحدون وبني غانية، **دراسات تاريخية**، جامعة دمشق، العددان 31، 32، 1889م.

255 ـ **د. فضل علي محمد:**

مدينة مرسى لك والمدن القديمة والموانئ البحرية في مارماريكا، **مجلة البحوث التاريخية**، العدد الثاني، طرابلس 1997م.

256 ـ **لمياء محمد سالم:**

تجارة طرابلس في بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط، **مجلة البحوث التاريخية**، العدد الثاني، طرابلس، 2001م.

257 ـ **محمد بشير السويسي:**

معالم تاريخ واجلة أوجلة عبر العصور، **مجلة البحوث التاريخية**، العدد الأول، طرابلس 2001م.

258 ـ **محمد عياد:**

تنمية وصون الموارد البيولوجية في صحارى الوطن العربي، **مجلة عالم الفكر**، العدد الثالث، الكويت 1986م.

259 ـ **د. محمد مصطفى:**

تحف إسلامية، **مجلة ليبيا القديمة**، م2، مصلحة الآثار، طرابلس 1965م.

حفريات مدينة سلطان الإسلامية، **مجلة ليبيا القديمة**، م3، مصلحة الآثار، طرابلس 1966م.

260 ـ **د. محمود إسماعيل عبد الرازق:**

المالكية والشيعة بأفريقية أبان قيام الدولة الفاطمية، **المجلة التاريخية المصرية**، م23، 1976م.

سادساً: الرسائل الجامعية

261 ـ **إبراهيم علي الدين القلا:**

الحوف الغربي خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، فرع بنها 1999م.

262 ـ **أحمد عبد اللطيف حنفي:**

الدور السياسي والحضاري للمغاربة والأندلسيين في مصر في عهد الدولتين الأيوبية والمملوكية (567 ـ 923هـ) رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة طنطا 1992م.

263 ـ **أحمد محمد رحومة:**

الفكر الصوفي في ليبيا لدى العيساوية والعروسية والخليلية، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1995م.

264 ـ **آمال محمد حسن خليل:**

برقة وطرابلس خلال الثلاث قرون الأولى للهجرة، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس 1989م.

265 ـ **حورية عبده سلام:**

علاقات مصر ببلاد المغرب منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1974م.

266 ـ **رحومة حسن رحومة:**

الزاوية الأسمرية العلمية ودورها التربوي في ليبيا 1935 ـ 1957م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية التطبيقية، جامعة الفاتح 1999م.

267 ـ **سحر محمد محمد ماضي:**

عناصر السكان في مصر في العصر الفاطمي المتأخر 427 ـ 567هـ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس 2003م.

268 ـ **سمير عبد المنعم خضري:**

الأربطة الباقية بالقاهرة خلال العصر المملوكي 648 ـ 923هـ، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1998م.

الأربطة والزوايا الليبية في العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة 2005م.

269 ـ **صلاح عثمان أحمد عثمان:**

الحياة الاجتماعية والثقافية في برقة وطرابلس من القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة 2003م.

270 ـ **عازة عمر عبد الخالق:**

التنمية وتغير القيم في المجتمع القبلي الليبي، دراسة ميدانية لمشروع الجبل الأخضر الزراعي، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، جامعة الخرطوم 1998م.

271 ـ **عمر سليمان صالح:**

الحركة السكنية في مدينة بنغازي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قاريونس، بنغازي 2000م.

272 ـ **محمد محمود عبيد الله:**

واحة أوجلة وتجارة القوافل خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قاريونس 2005م.

الفهارس

1 ـ فهرس الأعلام
2 ـ فهرس القبائل والجماعات
3 ـ فهرس الأماكن والبلدان

1 ـ فهرس الأعلام

- غ -

- ف -

- ن -

- هـ -

بعون الله وحسن توفيقه، تم فهرس الأعلام، والحمد لله رب العالمين

2 - فهرس القبائل والجماعات

- ع -

- غ -

- ف -

بعون الله وحسن توفيقه،
تم فهرس، القبائل والجماعات،
والحمد لله رب العالمين

3 ـ فهرس الأماكن والبلدان

بعون الله وحسن توفيقه،
تم فهرس الأماكن والبلدان
والحمد لله رب العالمين.

ISBN 978-9959-23-195-1